الإفلات من عذاب غافر الزلات



دكتور

عبد الله تاج الدين

الإفلات من عذاب غافر الزلات

تأليف دكتور
عبد الله احمد تاج الدين

الطبعة الأولى
٢٠١٣م- ١٤٣٣ هـ

الكتـــــاب :

الإفلات من عذاب غافر الزلات

المـــــؤلف :

د. عبد الله تاج الدين

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :

١٣٣٧٢ لسنة ٢٠١١م

حاصل على موافقة مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر الشريف رقم ١٨١١٥ /٢١ في ٢٠١٣/٢/٢٥ م

التنفيذ الطباعي :

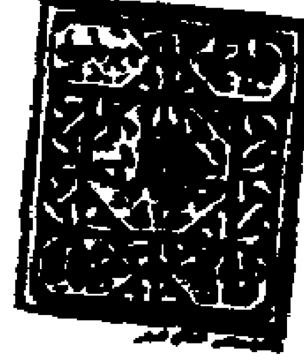
انبربرى للطباعة الحديثة ـ بسيون ـ غربية

ت : ٠١٠٠٧٦٤٣٢٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

AL AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
Research Writing & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتاليف والترجمة




١٨١١٥
٢١

السيد / عبد الله أحمد تاج الدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — وبعد

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : الإفلات من عذاب غافر الزلات تأليفكم ٢٢٦ صفحة

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

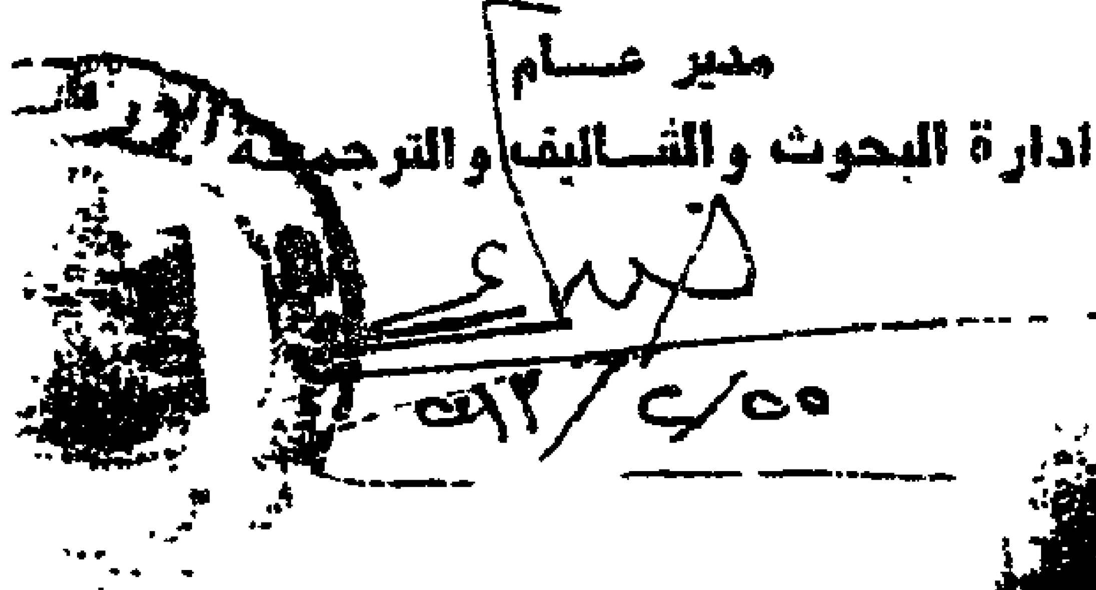
مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وفي حالة الزيادة أو النقصان يعتبر التصريح لاغيا

والله الموفق ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

مدير عام
ادارة البحوث والتاليف والترجمة

تحريرا في ١٥ / ربيع آخر ١٤٢٤ هـ
الموافق ٢٥ / ٦ / ٢٠٠٣ م








قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

[الزمر: ٥٣]

إهداء

***

أهـدي هذا العمـــل الى روح والــدي الأســتاذ / **أحمـــد تـــاج الديــن** الذي غرس الإسلام في قلبي بذرة وتعهدها بالرعاية نبتة حتى صارت شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ،

أرجو من الله سبحانه أن يصبح هذا الفرع جسراً أتمكن بواسطته ويتمكن معي كل قارئ لهذا الكتاب من الإفلات من عذاب غافر الزلات ...

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمد الحامدين العالمين أن الله وحده هو المحمود فحمدوه ، والشكر لله شكر الشاكرين المؤمنين أن الله وحده هو صاحب النعم فشكروه على أفضل نعمة أنعمها عليهم بعد الإسلام وهي نعمة المغفرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر: ٣]، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم رسل الله ، الذي حمل الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ،لا يزيغ عنها إلا هالك ... أما بعد :

فهذه رسالتي أبعث بها إلى نفسي و نفس كل عاص خالف أمرا من أوامر ربه بغفلة من شيطانه ويريد أن يعود إلى طريق الله غفار الذنوب ، لكن شيطانه يؤكد له أن ربه لن يقبل توبته بسبب ما أفضى من الذنوب ،وأنه لا يملك خيارا إلا الاستمرار على ما هو عليه ، بل وتنصحه نفسه الأمارة بالسوء أن يمضي مستمتعا بما هو عليه ليأخذ نصيبه من المتعة الحرام قبل أن يعذب في الآخرة، فشيطانه من ناحية يشجعه على الاستمرار ونفسه من ناحية أخرى تغلق عنه باب المغفرة ، فلأجلي ولأجل هؤلاء العصاة كتبت كتابي هذا ليكون رحمة من الله وبشارة بجنته بشرط اتباع ما جاء فيه من أوامر ربانية تمكننا من الإفلات من عذاب غافر الزلات .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧] .

المؤلف

العودة إلى الطريق المستقيم

لا يعيش الإنسان في هذه الحياة وحده داخل جسده ، ولا يفعل الشخص الذنب أو يقترف الإثم بمفرده وإن ظهر أنه يتصرف وحده ، فتصرفات الإنسان وليدة تفاعلات داخلية تمليها عليه أفكاره وشهواته وعاداته وتقاليده وغير ذلك مما تحتويه نفسه ، فالنفس داخل الإنسان شيء مهم جدا ونظرا لأهمية النفس في القرآن الكريم علمها ربها طريق الفجور وطريق التقوى أي طريق فسادها وضياعها وطريق سلامتها وفلاحها وترك لها حرية الاختيار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧ – ١٠] .

وعموما اختلف العلماء كثيرا في مفهوم النفس و في أنواعها و لكن اتفق الكثير منهم على الآتي :

النفس في القرآن ثلاثة أقسام -:

١- النفس الأمارة بالسوء :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣]

وهذه النفس تأمر صاحبها بإتباع طريق الخسران والندم في الدنيا ويترتب على إتباع نصيحتها الخسران في الآخرة ، ولنضرب مثلا لنفس قابيل قاتل أخيه هابيل قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[المائدة: ٣٠]

٣ -النفس اللوامة :

وهي نفس إذا ما أوحت لصاحبها بفعل السوء تراجعت عنه و أوحت له بالندم وبضرورة إصلاح ما أفسده وهي النفس الأكثر شيوعا بين البشـــر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ [القيامة: ١ - ٢]

٣- النفس المطمئنة :

وهي نفس الأنبياء و الرسل وعباد الله المخلصين والأمثلة كثيرة فـــي القرآن ومنها على سبيل المثال لا الحصر نفس سيدنا موسى عنـــدما حـــذره أصحابه من جنود فرعون فقال كلمة المطمئن الواثق في نصر الله له .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢]

وهذه النفس خاطبها ربها مباشرة قائلا لها ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٨﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴾[الفجر: ٢٧ :٣٠]

وسؤالي هنا هل تتحول نفس الإنسان من نفس أمارة بالسوء إلى نفـــس مطمئنة طامعة في مغفرة ربها ؟؟ ولنجيب على هذا الســـؤال دعنـــي أخـــي القارىء أسرد قصتي عليك فلربما تجد فيها الإجابة ، وتبدأ حكـــايتي عنـــدما قابلت صديقا عزيزا سافر إلى الخارج وفعل ما فعل من ذنوب واقترف مـــا اقترف من آثام ثم رجع فأغلق بابه على نفسه فذهبت لزيارته وعندما ســـألته هل سيعود للسفر مرة أخرى ؟ فانهار باكيا على كتفي قائلا لـــي : مســـتحيل السفر مرة أخرى ثم أضاف : ذنوبي كثيرة و لا اعرف إلي متي سأظل اجمع في هذه الذنوب ... وأخذ يحكي لي أشياء يبيض لها شعر الوليد لم يتحملهـــا عقلي وأخذ يبكي وبمرارة يذكرني أيام كنا نحفظ القرآن ونسهر لنصلي الفجر أيام كنا صغارا في رمضان وقال لقد ذهبت هذه الأيام ولن تعود مرة أخـــرى وأضاف :أنه عاد إلى أرض الوطن خوفا من الموت في أرض الخطيئة وأنه تذكر الرجل الذي هو من بني إسرائيل الذي قتل تسعا وتسعين نفســـا وقابـــل

عابدا وسأله هل له من توبة ؟ فقال له : لا ، فقتله وأكمل به المائة ثم قابل عالما آخر فسأله هل له من توبة؟ فقال نعم إن رحمة الله واسعة وأمره بالذهاب إلى أرض طيبة وقوم طيبين وأثناء ذهابه مات في الطريق فوجدوه أقرب إلى الأرض الطيبة منها إلى أرض الخطيئة فغفر الله له فدخل الجنة لذلك قرر صاحبي العودة إلى أرض الوطن حيث كان يصوم رمضان ويصلي الفجر في جماعة وقال لي أن قلبه كاد يطير ليسبق الطائرة حتى يصل قبله إلى الأرض الطاهرة أرض وطننا الحبيب ، وكان كل ما يخاف منه أن تسقط الطائرة به وهو قريب من أرض المعصية ، فقلت له إن الله رحمن رحيم يقبل توبة التائب فقال لي كيف ؟ إن ذنوبه كبيرة ، فقلت له الله أكبر ، فبكى وقال نعم الله أكبر ...الله أكبر فأحسست ساعتها بأن أحدا داخلي يحثني بل ويجبرني على ترك المكان والخلو إلى نفسي فربما كنت أريد أن أهضم الموضوع داخلي فتركته وخرجت مسرعا أحاسب نفسي بنفسي على جميع أخطائها متمنيا لي ولصديق عمري المغفرة من الله غفار الذنوب ، وإذا بنفسي تطلب مني إخراج القلم لأكتب هذه الجملة :

(الإفلات من عذاب غافر الزلات) :

وتحت هذا العنوان تواردت أفكار هذا الكتاب ، و أخذت أكتب العناوين واحدا تلو الأخر لأفتش عن موجبات الإفلات من عذاب غافر الزلات ، و أنصحك أخي القارئ قبل أن تبدأ في قراءة كتابي هذا أن تضع الملاحظات الآتية في ذهنك :

١- الغرض من كتابة هذا الكتاب هو البحث عن مخرج لإنسان مؤمن بالله سبق و أن ارتكب كبيرة من الكبائر توجب دخوله إلي النار ، لكنه تاب إلي الله و ندم واقلع عن هذه الكبيرة ، فنحاول هنا أن نجد له منفذا أو طريقا يمكنه من الإفلات من عذاب غافر الزلات .

٢-وفقنا الله تعالي أن نجد في كتابنا هذا طريقة لإجبار القارئ على قراءة الآية القرآنية المكتوبة و عدم قدرة القارئ التغاضي عنها ، حيث أن الآيات الموجودة في الكتاب هي عبارة عن جزء أصيل من سياق الحديث و عدم قراءتها من قبل القارئ يفقده القدرة علي فهم الموضوع مما يضطره لإعادة قراءتها إذا قرر التغاضي عنها .

٣-الآيات القرآنية التي جئنا بها في هذا الكتاب جميعها آيات سهلة القراءة و سهلة الفهم حيث أنها واضحة المعاني ، وذلك تيسيرا علي القارئ حديث الخبرة بقراءة القران الكريم .

٤-واجهتني مشكلة كبيرة لم أكن أتوقعها مع آيات الذكر الحكيم و هى حاجتي لإعادة استعمال الآية القرآنية كلها أو جزء منها عدة مرات في مواضع مختلفة غاية الاختلاف و هذا من عظمة و إعجاز القران الكريم .

٥-تعاملت مع الآية القرآنية علي أساس عموم لفظها و ليس بحدود زمانها أو مكان نزولها ، بمعني أنني اعتقد أن الآية التي في شكلها نزلت خاصة للرسول (صلي الله عليه وسلم) أو خاصة لحدث معين في زمن معين هي في واقع الأمر آية نزلت لكل البشر في أي زمان و في كل مكان فمثلا الآية القرآنية التي فيها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[الطور: ٤٨] لم تنزل علي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) تشجيعا له علي الصبر وحسب و لكن نزلت لجمع الصابرين من المؤمنين بالله في كل زمان و مكان

٦-تعاملت في هذا الكتاب مع القران الكريم و كأنه محيط من ماء عذب بارد في جو حار ، بدايته من حيث يقف كل إنسان أمامه وممتد إلي غير نهاية ، قصده الناس لحاجاتهم المختلفة ، فمن بحث لنفسه عن شربة ماء بارد يروي بها ظمأه ارتوي ومن بحث فيه عن سمكة تشبعه لليلة واحدة شبع ، و من بحث فيه عن لؤلؤة ثمينة تغنيه حينا من الدهر وجدها ، أما الطامع الذي

أراد منه ما يكفيه في دنياه و ما يغنيه في آخرته ظفر بما أراد ، بمعني أوضح : من أراد من القران الكريم آيات يفهم بها دينه و يصلي بها صلاته وجد ما يريد من آيات سهلة المعاني سهلة_الفهم و من أراد أن يتعمق قليلا ليفهم أكثر فهم أكثر ، أما من أراد أن يغوص بما آتاه الله من علم و قدرة و إمكانيات علي الإبحار و الغوص لشاهد كنوز القران منثورة حول آياته نورا يضئ الكون المظلم من حوله فيلتمس طريقه نحو جنان الآخرة ، وبمعني أكثر وضوحا : أن الرجل البسيط و الرجل العالم و المفكر لكل منهم ما يرضي نفسه من صيد ومن عطاء رب العالمين في محيط هذا القران العظيم كل علي قدر مجهوده و علمه و تدبره قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]

٧-تعاملت مع النص القرآني أيضا كما لو انه نزل علينا الآن ولم ينزل من قرابة ألف و أربعمائة واثنين وثلاثين عاما ، وتم تفسيره وقت نزوله بما يتفق وظروف من أنزل عليهم ، ولكن ظروفنا اليوم غير ظروفهم وبعض ما فهموه من القرآن غير بعض ما نفهمه ، فعلمنا أكثر من علمهم في بعض الجوانب ويجب أن يكون فهمنا لبعض الآيات أشمل من فهمهم ويتفق هذا مع أمر الله لكافة المؤمنين بالقرآن الكريم في كل حين و أوان بتدبر القرآن ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ وكلما حاول علماء عصر معين في زمان معين فهم القرآن وتذوقه لوجدوا فيه رحيقا مختلفا عما ارتشفه من سبقهم من العلماء ، لذلك تعرضت لبعض الآيات التي عندما تقرأها اليوم تشعر بمعان جديدة لم يشعر بها من سبقنا من العلماء وربما نفهمها بطريقة أفضل مما فهموها ليس لعيب في طريقة فهمهم ولكن لتغير الظروف التي أتاحت لنا ما لم تتح لهم ، لذلك اطلب من كل باحث متخصص يقرأ كتابي هذا أن يتدبر قولي في فهم آية معينه ويعيد تدبره لهذه الآية عدة مرات قبل إطلاق حكمه النهائي ، وبصدر رحب اسمع منه جيدا وأتقبل من الجميع كل نقاش هادئ غير

متعصب لفكر سابق يوصلنا معا إلي الحقيقة خاصة مع بعض الآيات التي عندما تمر علي قارئ قليل الخبرة يلاحظ انه يوجد تضاد في المعني مع إن الحقيقة إنها تؤكد معني واحد يصعب عليه الوصل إليه لذلك أتيت ببعضها ووفقت بين معانيها بطريقة مريحة .

وحتى لا ابتعد بك أخي القارئ عن الكلام في لب موضوع كتابنا هذا أقول لك انه من اجل صديقي المذنب سالف الذكر هذا و من اجل كل مذنب و من اجلي و أجلك عزيزي القارئ بدأت في كتابة كتابي هذا و أول ما بدأت فيه بنفسي أفتش بداخلها عن كل صغيرة و كبيرة و ابحث معها عن أول ذنب اقترفته في حقها و حقي و حق ديني وأن نصبح جميعا من الناجين الذين نجحوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

(آمين يا رب العالمين)

* * *

في العيادة النفسية

كي لا أصل إلى ما وصل إليه صاحبي في الفصل السابق، قررت أن أفتش في أعماق ذاكرتي، فقد تعودت منذ أن كنت صغيرا أن أخلو إلى نفسي أحدثها وتحدثني ...... أجادلها وتجادلني أسبها وألعنها بلعنات كثيرة فترد لي الصاع صاعين وربما ذكرتني بمواقف مخجلة تبرأت منها منذ زمن بعيد ،فأذكرها بمواقف أكثر إحراجا صدرت منها.

أما إذا استبد الخصام بيننا غيرنا الموضوع إلى آخر فأخذنا نضحك من أعماقنا وربما قضينا ساعات طوال نتجاذب أطراف الأحاديث الكثيرة المتنوعة في الدين والدنيا والآخرة.

ويمر الوقت سريعا لا نكاد نشعر به فمهما كنت في أي مكان وفي أي ظروف أعيش مع نفسي وأتعايش معها وأتلذذ بالعيش إلى جوارها أحبها وتحبني ويصبر بعضنا بعضا عند الشدائد ، وربما يسأل بعضنا الآخر من سيموت أولا ؟ وماذا سيفعل أحدنا بدون الآخر؟ فوجدت إجابة داخلي تقول لي أنني سأموت قبلها وقد تشقى هي من بعدي فسمعتها وهي تتمنى أن تموت قبلي حتى لا تعيش لحظة بدوني ، ورغم أننا نتبارى ونتنافس دائما إلا أن لكل منا مسافة لا يجب أن يتخطاها أحد تجاه الآخر هي مسافة احترام لا نتجاوزها في نقا شاتنا الكثيرة حتى لا يحرج بعضنا بعضا ومع ذلك لاحظت في فترة من الزمن أنني أقضي مع نفسي ساعات طوال دون جدوى هذه الساعات تسرق النوم من عيني وإذا نمت ربما أكملت نقا شاتي معها أثناء أحلامي ،فإذا ما احتد النقاش صحوت من النوم لأكمل نقاشي معها وينتهي الموضوع إما أن تهزمني نفسي أو أهزمها فلا فرق عندي أن أكون أنا المنتصر هذه المرة أو المهزوم في المرة القادمة .

شكوت إلى أحد الزملاء من الأطباء قلة نومي واستيقاظي المتكرر من النوم فنصحني بالذهاب إلى أستاذ كبير متخصص في التحليل النفسي فذهبت إليه وإذا به يطلب مني أن أتمدد على أريكة الكشف ونصحني بالاسترخاء التام وأخذ يسألني عن اسمي وعملي وظروفي الأسرية وأسئلة كثيرة لا أجد لها داعيا من وجهة نظري وربما كانت من وجهة نظره مهمة ، فأجبته بكل صراحة وشفافية فقال لي للأسف أنه لا يجد مبررا لمثل هذه المشاكل التي أعاني منها ثم نكس رأسه لبرهة من الزمن ثم رفعها وقال لي :سأسألك سؤالا أخيرا فقلت له تحت أمرك يا دكتور ، قال لي انس كل شيء سألتك عنه من قبل وعليك التركيز في هذا السؤال فكررت له تفضل يا دكتور قال عليك الآن أن تركز عقلك وأن تتذكر مشكلة خاصة بك راكدة في أعماق ذاكرتك تزعجك كلما فكرت فيها وتؤرق منامك تستحي أن تسأل أحدا عنها ولم يسبق لك أن أخبرت بها أحدا فقلت له لا توجد عندي مشكلة بهذا الشكل ، وإذا بنفسي تصيح من داخلي وتقول لي لا...بل توجد ثلاث مشاكل وليست مشكلة واحدة فانطلق لساني نعم يا دكتور هناك ثلاث مشاكل الأولى هي طريقة الموت فأنا لا أحب أن أموت فجأة بالسكتة القلبية أو الدماغية ولا أحب أن أموت مصعوقا بالكهرباء ولا في شجار ولا مختنقا بغاز ولا غارقا في الماء ولا محترقا ، كما لا أحب أن أموت في حادث سير أو تصادم ، كذلك لا أفضل أن أموت مسموما أو أثناء إجراء عملية جراحية كما أنني أرفض إصابتي بمرض لعين ينهش لحمي وينخر عظمي ويهتك أحشائي.. فقط أريد منك يا دكتور أن تدلني على موتة سهلة أتمناها لنفسي من بين ملايين الطرق المرعبة للموت فقد سئمت التفكير في الموتة التي تعجبني وتتمناها نفسي طالما أن الموت قدر لابد منه .

أما المشكلة الثانية فهي عملية الموت نفسه أقصد أثناء خروج الروح ، فقال لي الدكتور: وما الغرابة في ذلك إنها ليست مشكلتك وحدك

فالناس جميعا يموتون قلت له أعرف أن الناس تموت لكن لا أحد يرجع منهم ليحكي لنا ما و جده في الموت ، إن دخول شوكة رقيقة داخل الجلد تؤدي إلى ألم شديد جدا ربما لا يتحمله الكثير من الناس وهذا يعني موت عدد قليل من الخلايا التي تصادف وجودها في طريق مرور الشوكة إلى الجلد فيتسبب عن موتها ألم شديد ،فما قولك يا دكتور لو جاءت جميع خلايا الجسم لتموت مرة واحدة في طريق الشوكة كم سيكون حجم الألم وكم سيكون حجم الشوكة المطلوبة لانجاز المهمة ؟ ومن يستطع تحمله ؟ إن ما ينتظرنا في عملية الموت قاس ومرير جدا قد لا نتحمله من شدته فنهرول للموت هربا من هذا الألم ولا أحد يدري ولا أحد يستطيع أن يجيبنا ممن سبق لهم الموت هل يستمر هذا الألم وهذا العذاب معنا بعد موتنا أم ينتهي ؟ فأطرق الطبيب رأسه ينظر إلى قدميه من أعلى الكرسي الجالس فوقه وقد أمسك بقلمه الجاف محاولا وخز إبهامه بسن القلم بطريقة عفوية غير مقصودة ربما كان يتيقن من صدق نظريتي وذهب في صمت عميق ولم يتكلم فحرضتني نفسي أن أجذبه وأحضره إلى حوارنا مرة أخرى ودون أن آخذ ردا أو تعليقا منه على مشكلتي الأولى والثانية استطردت : أما المشكلة الثالثة يا دكتور... فلم أجد معي الدكتور فكررت أما المشكلة الثالثة يا دكتور.. دكتور!! فقال لي نعم ..نعم وكأنه استيقظ من نوم عميق:أنا معك أكمل .. أكمل فاسترسلت : مشكلتي الثالثة هي دخول القبر.

فاعتدل في جلسته مظهرا أنه مسيطر على خيوط الحديث قائلا لي: وماذا في دخول القبر ؟؟ . إن كلمة إنسان تعني الروح والجسد فالجسد يمكن تشبيهه بموتور والروح يمكن وصفها مجازا بأنها الكهرباء التي تحرك الموتور أو الآلة فإذا انقطعت الكهرباء عن الآلة وتركت الآلة بدون حركة أصابها الصدأ وتآكلت ،كذلك الجسد عندما تغادره الروح يتحلل إلى عناصره الأولى ويفنى متغلغلا في جنبات الثرى فأين المشكلة إذن !! قلت

له: يا دكتور كلامك هذا في حالة انفصال الروح عن الجسد أما أنا فأتحدث عن دخول الإنسان لقبره حيا دون انفصال الروح عن الجسد فسألني وهل يتم دفن الشخص داخل القبر إلا بعد موته !! فذكرت له أن لي صديقا يعمل لحادا يقوم بتغسيل ودفن الموتى ذكر لي الكثير عن حكايات غريبة مر بها وتتكرر من حين إلى آخر فكثيرا ما لاحظ أثناء قيامه بدخول القبور لدفن الموتى وجود الموتى السابقين في أوضاع غريبة داخل قبورهم فمنهم من جلس على ركبتيه وقام بتمزيق كفنه ومنهم من كسرت أصابعه أثناء قيامه بنبش قبره محاولا الخروج من داخله ومنهم من أوقع بعضا من طوب سقف القبر . فسألني الدكتور ماذا يعني هذا الكلام ؟ فقلت له أن هناك قانون شعبي في مصر يقول : (كرامة الميت دفنه) لذلك يسرع الأهالي بدفن الميت فور موته بوقت قليل جدا مما يؤدي في كثير من الأحوال إلى دفنه حيا ولا يتم الكشف الطبي الدقيق عليه ، وربما يتم التصريح بالدفن بمجرد عدم وجود شبهة جنائية في الموضوع وربما تعرض الشخص قبل دفنه حيا إلى غيبوبة كبدية أو سكرية تم على إثرها اتخاذ القرار بدفنه جهلا وغباء من أقاربه الذين كانوا يستعجلون تقسيم تركته ولا أحد يقدر حجم وشدة معاناة هذا المدفون حيا وكم مضى من الوقت عليه حتى مات فعلا..

وهنا توقفت عن الكلام عندما لاحظت الطبيب يحملق في وجهي ثم يبادرني بالسؤال الأتي : ماذا لو تم دفني حيا بعد إصابتي بغيبوبة ماذا أفعل داخل قبري و في أي جهة أنبش محاولا الخروج ؟ و من يؤكد لي أنني أنبش الباب في الاتجاه الصحيح؟ ثم أخذ يضرب فخذه بإحدى يديه في حالة هستيرية شديدة ويصيح في وجهي : هذا اليوم يوم أسود من أوله ... هذا اليوم يوم أسود من أوله ... ولما ازداد صوته ارتفاعا فتح الباب علينا مجموعة من المرضى المنتظرين دورهم في الكشف وإذا بالممرضة المساعدة للدكتور تسألني ماذا حدث للدكتور وماذا فعلت معه حتى تصدر

منه هذه التصرفات الهستيرية ..؟ فحكيت لها بعضا مما حدث وسردته على الدكتور وانجهت للجلوس على الكرسي بجوار الطبيب محاولا تهدئته وقد امسك رأسه بكلتا يديه فانفجرت الممرضة صائحة في وجهي : هل مازلت جالسا ؟؟ تفضل بالخروج فورا ولا تحضر هنا مرة أخرى ، وما إن اتجهت خارج الباب ووضعت قدمي في حذائي ولم أتمكن من لبسه جيدا ونزلت على السلم أجري كأنني سارق أو مرتكب جريمة ، ورغم كل ما حدث كنت أسمع ضحكاتها بصوت مرتفع لأنها تسخر مني وأوقعتني في شر أعمالي أتعرف من هي أخي القارئ؟ إنها ليست الممرضة ، إنها نفسي المتمردة المتسلطة التي أوحت لي بثلاثة أسئلة ، لم يسبق أن خطرت على بالي أو ربما لم يسبق وأن خطرت علي بال أحد من قبلى ونزلت إلى الشارع هاربا ولسان حالي يقول : هذه المرة هزمتني فيها الملعونة وهذه اخر مرة لها أما أنا فلا هزيمة لي بعد اليوم ، من الآن سيكون لها حدودا معي و لن اسمح لها بتجاوزها أبدا .

* * *

الزلة النفسية الأولى

خرجت من زيارتي السابقة لطبيب الأمراض النفسية بفائدة واحدة وهي أنه يجب على أن أقوم بالبحث في أساس المشكلة وعلي أن أفتش في الصغائر قبل الكبائر، فقررت وصممت أن أذهب إلى رحلة أتجول فيها داخل نفسي في أعماقها أحاسبها عن كل صغيرة كبرت لماذا كبرت؟ فلا يجب أن أترك نفسي تتحكم وتلعب بي من بعد اليوم ، يجب أن أتحكم فيها أنا ولا تتحكم هي في ، فكفاني ما حدث منها عند الدكتور لابد أن أكون أنا السيد أنا القائد أنا المحاسب ، وعندما قررت أن أغوص في أعماقها لاحظت كما سبق لي أن لاحظت مرارا ركنا مغلقا بباب أسود أقفاله غليظة لا أنكر أنني حاولت فتحه بعض مرة على استحياء لكنني لم أصر على ذلك ،ومع نصيحة الطبيب لي كي أقوم بحل أي مشكلة لابد أن أبحث في كل شيء وأغوص داخل نفسي في أدق التفاصيل، فلماذا لا أفتح هذا الباب المغلق في نفسي فلربما عثرت على حل لغز المشكلة مع نفسي ومع جسدي المتمثلة في عدم النوم المريح ،الآن لابد أن أفتح هذا الركن المغلق مهما كلفني ذلك وبعد معاناة نفسية شديدة قمت بفتحه وأخذت أغوص في داخله المظلم محاولا العثور على الصندوق الأسود لنفسي المتسلطة ،وأخيرا عثرت على بداية الحبل الأسود الذي طالما شعرت به يخرج من صندوقه كالثعبان ويتغلغل داخل أحشائي فيسممها ثم يرجع إلى صندوقه ويغلق بابه عليه مرة آخري .

الآن أمسكت بالبداية... بداية أول ذنب أتذكره في حياتي أو قل إنها الزلة الأولى لنفسي ، إنها مشكلة أم محمد جارتنا القديمة التي طلبت مني ذات يوم شراء ثلاث ربطات من الفجل وأوصتني أن أقول للبائع أنها تريد فجلا ذو رأس كبيرة وكان عمري يومها لا يكاد يتجاوز أو ربما تجاوز الثماني سنوات بقليل وأعطتني قرش صاغ أي عشرة مليمات وذهبت لشراء الفجل فوجدت بجوار بائع الفجل سيدة عجوز تبيع العسلية وهي نوع من أنواع الحلوى الأسطوانية

المحشوة بالمكسرات ، وسمعت إحدى السيدات الواقفات تخاطب بائع الفجل وهي تحاول تذوق إحدى رؤوس الفجل وتقول للبائع بشيء من الاشمئزاز والقرف : فجلك مر جدا يا عم إبراهيم ، فأدرت وجهي مباشرة إلى بائعة العسلية فإذا بطفل يقضم بين أسنانه عصا طويلة من العسلية محشوة بالمكسرات محاولا شفط بعض المكسرات الهاربة من بين شفتيه حتى لا تقع على الأرض ويلحق بالأخرى بإحدى كفيه حتى لا تسقط ، هنا انهارت معنوياتي أمام هذا المنظر الممتع وقررت شراء العسلية لأم محمد جارتنا بدلا من الفجل المر ، وظننت أنها ستكون سعيدة لتصرفي هذا ، وأخذت طريقي للعودة وكأنني غبت عن الوعي وانتبهت عندما وصلت عند باب أم محمد وقبل أن أدق الباب لأعطيها العسلية بدلا من الفجل فوجئت أن العسلية غير موجودة ووجدت يدي اللزجة تلتصق بها بعض المكسرات أما فمي ولساني فكانا منشغلين بطحن وبلع آخر أجزاء العسلية الملتصقة بأحد أصابعي فتركت الباب وذهبت مسرعا لأغسل آثار جريمتي دون أن أخبر والدتي بما حدث ، وجاء الليل فنمت وكنت سعيدا أن انتهى الموضوع على خير .

في الصباح جاءت أم محمد تشكو لوالدتي ما حدث مني بالأمس من أخذي الفلوس منها وعدم إحضاري الفجل لها فقامت أمي بإعطائها القرش صاغ ودخلت أمي إلى الغرفة لتوقظني وكنت مستيقظا وسامعا لكل ما دار بينهما، فحاولت جاهدا إقناع أمي أنني غارق في نوم عميق وتظاهرت بالتعب وأمضيت اليوم كله في سريري وكانت أمي مشغولة هذا اليوم في تنظيف وطهي دكر البط الذي كانت تسمنه منذ أكثر من شهر وكانت مشغولة كذلك في صنع المخروطة بالبخار كي تجهز طعام الإفطار، فاليوم مناسبة جليلة ، أمي صائمة وأبي صائم والجيران صائمون بمناسبة الاحتفال بليلة النصف من شعبان أما أنا فلم أكن صائما ولكنني اضطررت للصيام دون أجر هربا من المواجهة مع أمي وليتني لم أفعل ذ لك، ولو كنت واجهتها لكفاني ذلك شر المواجهة مع أبي عندما عاد من عمله وحكت له أمي ما حدث مني تجاه جارتنا ، فاستدعاني أبي إلى فناء

واسع أمام بيتنا كان يطل على ترعة ومساحة واسعة من الأراضي الزراعية وكان الوقت قبل المغرب وأخذ يحقق معي وبيده عصا خيزران طويلة ولاسعة سبق وأن جربتها ومرت على جسمي مرور الكرام قبل ذلك ، أما إحساسي بها هذه المرة أنها لن تمر مرور الكرام وقد كنا في فصل الشتاء والجو بارد ، نظرت فوقي لأراقب حركة العصا في يد أبي فإذا بالسماء من فوقها صافية والشمس تتململ ناحية الغروب والكل في انتظار ذهابها ابتهاجا بقرب آذان المغرب أما أمي فكانت منشغلة بوضع طعام الإفطار على الطبلية بينما كنت أشعر بهزال وضعف شديدين من خطورة ما فعلت وكوني لم أتناول طعاما طوال النهار أما العصا في يد أبي فهي نشيطة جدا وهي تلوح بالهواء فلا تشعر بجوع ولا ببرودة وهي تتهيأ في يد أبي لمعاقبة جسمي على ما فعلت بالأمس .

سألني أبي غاضبا : هل أخذت فلوس خالتك أم محمد ولم تحضر لها الفجل؟ فلم أرد وأضاف : هل ضاعت منك الفلوس؟ فقلت لا (ولم أكذب لأن الفلوس فعلا لم تضع) فتهيأ أبي ورفع يده ليضربني أول عصا وإذا بجارتنا أم محمد تمسك بيد أبي وتقول له أنه اختلط عليها الأمر وأعطت الفلوس إلى طفل آخر يشبهني وأنني بريء من ذلك وإلى الآن لم أعرف من أي جهة جاءت أم محمد فربما سقطت علينا من السماء لتنقذني فقد كان جسمي يرتعد وكنت أشعر بجفاف شديد في حلقي ، وبعد أن أنزل أبي يده وترك العصا أحسست بالقوة تسري في جسدي وتخيلت نفسي مظلوما وأوحت لي نفسي الفاسدة فقلت له وبعصبية المظلوم : أنا لم أفعل ذلك ..لم أفعل ذلك والله العظيم لم آخذ منها أي فلوس فنظر أبي إلى السيدة نظرة غضب وتركنا ودخل المنزل فإذا بالسيدة تغضب من نظرة أبي لها وتنظر لي بقرف واشمئزاز وتحملق في وجهي : أتحلف بالله يا كذاب؟ .. الكذاب يدخل النار .. لقد طلبت مني والدتك أن أفعل ذلك وأكذب على أبيك كي لا يؤذيك يا كذاب في هذه الليلة المباركة .

فانفجرت باكيا وقلت لها أنت أيضا ستدخلين النار، سألتني لماذا ؟ فقلت لها لأنك تكذبين على أبي والكذاب يدخل النار، فاحتوتني بذراعيها وقبلت رأسي

وقالت لي أنا سامحتك فلا تفعل ذلك مرة أخرى وذهبت وهي تضحك وتضرب كفا علي كف.

طأطأت رأسي وبكيت بمرارة ..كل هذا من أجل عود عسلية..!! من الذي دفعني لفعل ذلك ..؟ إن شيئا داخلي دفعني إلى شراء العسلية بدلا من الفجل إنه هو الذي أراد العسلية أولا إنه يحرضني على فعل أشياء كثيرة لا أحب أن افعلها ، وكانت هذه الحادثة هي أول مرة أتكلم فيها مع نفسي وألومها ومن يومها علمت أن في داخلي شخص آخر يعيش معي يأكل مما آكله ويشرب مما أشربه ، علمت فيما بعد أن اسمه (نفسي)ولم يخرجني من هذا الحديث الأول من نوعه مع نفسي إلا صياح أمي تلومني بشدة لماذا أنا واقف وحدي تحت هذا المطر الشديد ، والرعد والبرق من حولي..؟ ودون أن أنتبه فوجئت أن الغيوم تكاثرت من فوقي في السماء ، التي كانت صافية منذ قليل واشتد صوت الرعد ووميض البرق ،وهطلت السماء كما هطلت الدموع من عيني ،ولم يكن أحد واقفا في الشارع غيري فالكل دخل لتناول طعام الإفطار، أما أنا فظللت واقفا تحت المطر لا أشعر به ، وكيف أشعر بالمطر وفي داخلي براكين وزلازل وخزي وعار من أول زلة وضعتني نفسي فيها.

جذبتني أمي وبدلت لي ملابسي المبتلة وأجلستني على المنضدة وأعطتني كبد دكر البط الذي أحبه وطبق الحساء بالليمون والفلفل الأسود التي أعشقه،ولكني لم أجد نفسي تدفعني لتناول الطعام بنفس الرغبة الشديدة التي سبق وأن دفعتني بها من قبل لالتهام العسلية إنها تجبرني علي ترك الطعام وعدم الأكل مع أنني جائع ولم أتناول طعاما طوال اليوم إنها تأمرني فأطيعها ولا أعصاها، فقمت لأنام مكتفيا بكوب صغير من عصير الليمون المحلى بالسكر .

استيقظت بعد حوالي ساعتين على صوت ضيوف في منزلنا . وكعادتي ذهبت لأرحب بهم وأسلم عليهم بيدي واحدا تلو الآخر وهم يقبلونني . وعندما ذهبت عند آخر واحد منهم أصابني الرعب الشديد عندما مد يده ليسلم علي فوجئت أن يده بدون أصابع فتركته وخرجت إلى أمي مسرعا وكانت مشغولة

بصنع الشاي للضيوف ، ووصفت لها يد هذا الضيف التي لا توجد فيها أصابع مثل الموجودة عندنا ،فقالت لي أن هذا الرجل عندما كان شابا صغيرا سرق كمية من القطن وحلف بالله العظيم (كذبا) أنه لم يسرق القطن فكان جزاؤه من الله أن أصابه (البرص) فوقعت أصابعه واحدا تلو الآخر، فقضيت ليلتي أبكي من شدة الخوف وأضم أصابعي إلى بعضها خوفا من أن تسقط ، وهنا انهارت معنوياتي وحكيت لأمي الحقيقة كاملة ، وأنني كذبت عليهم وأخذت فلوس أم محمد واشتريت بها العسلية بدلا من الفجل ، فضمتني أمي إلى صدرها وقالت لي لا تخف ، لقد أعطيت أم محمد الفلوس وقد سامحتك والدليل أنها حضرت لتنقذك من علقة ساخنة وعليك ألا تفعل ذلك مرة ثانية حتى لا يغضب منك الله ، ولكنني لن أسامحك حتى تأكل طعامك ،فطرأت في نفسي فكرة ذهبت على إثرها للبحث عن جورب ارتديته في كلتا يدي و ربطتهما بمنديلين حتى لا تسقط أصابعي.

ولما لاحظت أمي أنني لا أستطيع تناول الطعام بيدي وتحت إصراري عدم فك يدي جلست بجانبي تطعمني بيديها ، ولم أنم طوال الليل ، أسمع أحدا يحدثني وأحدثه،أسمع صوته جيدا ولا يسمعنا أحد، وهنا كانت البداية بداية علاقتي مع نفسي،خرجت من هذه التجربة بفائدتين الأولى عدم الحلف كاذبا والثانية عدم أكل العسلية نهائيا إلى يومنا هذا،وبسبب العسلية كانت أول زلة نفسية واجهتها في حياتي.

* * *

وجادلهم بالتي هي أحسن

هل علينا هلال شهر رمضان المعظم وكان لدخول هذا الشهر الكريم فرحة ونشوة عظيمة ربما لا يشعر بها أطفال هذا الزمان فكنت ألاحظ كل شيء مسرورا وكل شيء فرحان.. الأشجار والزروع سعيدة أما الراديو فصار مبتهجا بأغاني رمضان الجميلة حتى أواني الطبخ في مطبخ أمي تتلألأ فرحا ..أمي سعيدة وأبي سعيد والجيران سعداء يهنئ بعضهم بعضا ، حتى أخي الصغير كان يرقص فرحا بفانوسه ولكن في نهاية أول يوم صيام وقفت مع من وقفوا على شاطئ الترعة ننتظر سماع آذان المغرب كان الجميع في حالة فرح إلا أنا وسبب حزني أنني رأيت بجانبي زوج جارتنا أم محمد يقف على بعد خطوات مني فتذكرت أم محمد وتذكرت فجلها أبو رأس كبيرة الذي لم أحضره لها وتذكرت القسم الكاذب الذي أقسمته أمام أبي فإذا بي أنتقل إلى صورة أصابع ضيفنا المبتورة بسبب يمينه الكاذب ووجدت نفسي أعيش نفس الظروف السابقة ونظرت إلى السماء فوجدتها وقد تلبدت بالغيوم فتوقعت حدوث الرعد والبرق وهطول المطر تماما كما حدث في المرة السابقة يوم صيام النصف من شعبان فأطبقت أصابعي الصغيرة وأدخلتها في جيبي وإذا بصوت أمي ينادي علي فانطلقت مسرعا فاحتوتني بصدرها وسألتها : هل أصابعي ستقع يا أمي ؟ فقالت لا.. لأننا في شهر رمضان يغفر الله فيه ذنوب عباده ويمحوها فقلت لها كيف يمحو الله الذنوب؟ فقالت لي تخيل أن يدك كانت متسخة بالطين ومررتها على زجاج شباك الغرفة ماذا سيحدث؟ فقلت لها سيتسخ الزجاج فقالت : وإذا أمسكت بقطعة من القماش ومسحت بها الزجاج ونظفته جيدا ماذا سيحدث للزجاج؟ فقلت لها سيصبح نظيفا جميلا أستطيع أن أشاهد من وراءه العصافير وهي تطير قالت كذلك يمسح الله

الذنوب من قلب كل إنسان أخطأ واستغفر الله فيعود قلبه نظيفا، والآن هيا بنا لنتناول طعام الإفطار

أنك كنت صائما اليوم فقلت لها : أنني لست جائعا فقد أكلت بعد الظهر ساندويتشا من البيض قالت : أعلم ذلك لأن الصغير يصوم حتى آذان الظهر ثم يأكل ساندويتشا ويشرب ماء ثم يصوم مرة أخرى ويفطر مع الكبار بعد آذان المغرب ، في العام القادم إن شاء الله ستصوم حتى آذان العصر وفي العام بعد القادم ستصوم حتى المغرب وتفطر مع ا لكبار ولا تنس أنك ستصلي صلاة التراويح بعد صلاة العشاء في المسجد مع والدك و جدك ..... هيا بنا .

بدأت وأنا عالق بين يد جدي و يد أبي أولى خطواتي الرمضانية إلى المسجد وقضيت الشهر كله مع صيامي المزعوم وذهابي وإيابي للمسجد وكلما قابلني أحد من الجيران إلا وقال لي: قواك الله يا شيخ عبد الله وكنت أشعر بسعادة إيمانية غامرة طوال اليوم والليلة إلا عندما أمر على بيت صاحبة الفجل فكنت أسرع الخطى حتى لا أقابلها ومنذ ذلك اليوم وحتى الآن لم تقع عيناي على عينيها ولا مرة واحدة في حياتي بعد ذلك ،ومضى شهر رمضان بين صيامي حتى آذان الظهر وصلاتي وحفظي للقرآن وحبي له ماعدا سورة واحدة هي سورة (الهمزة) فكانت كلماتها صعبة وغير مفهومة لي ولم أحفظها إلا بعد مرور سنوات كثيرة والسبب أنني لم أكن أفهم معناها وعندما فهمت معناها اكتشفت أنني كنت أحفظها منذ زمن بعيد .

اقترب العيد وفاحت رائحة الكعك والبسكويت من كل صوب وجهة ولكني وسط هذه الروائح الجميلة لمحت أمي يوم الخامس والعشرين من رمضان تبكي بكاء شديدا فتأثرت بها وبكيت معها وسألتها لماذا تبكين يا أمي؟ قالت بسبب أنه لم يبق من رمضان سوى أربعة أو خمسة أيام وينتهي

، فقلت لها خليه يا ماما شهر كمان قالت ليس بأيدينا أن نقصره أو نطوله فهو مرتبط بظهور الهلال فقلت لها الهلال الصغير ابن القمر الكبير؟فقالت الهلال يكون صغيرا ثم يكبر فيكون قمرا في نصف الشهر ثم يصغر القمر فيصير هلالا ثم يذهب فيأتي يوم العيد فقلت لها اتركيه يمر بسرعة يا ماما حتى يأتي العيد ، فضحكت وهي تجهز الحلبة والفول النابت والترمس للعيد كم كانت أيام جميلة .. لها لون وطعم ورائحة ليتها تعود مرة أخرى ، ومنذ هذه الأيام وحتى يومنا هذا الذي قاربت فيه الخمسين من العمر كلما أصبت ذنبا شعرت أن الدنيا تظلم من حولي حتى و لو كنت في غرفة مضيئة أو تحت أشعة الشمس في وضح النهار فيرتعد جسدي ويدق قلبي ، وقتها أشعر أنني في ذنب فأقلع عنه وعندما كبرت كنت أتناقش مع أبي وسألته كيف أعرف أن إيماني كبير أو قليل كيف أقيس الإيمان في نفسي ؟ فقال لي والدي هناك مقولة لا أعرف من صاحبها حفظتها منذ زمن بعيد أيام كنت طالبا أدرس في طنطا وجدتها مكتوبة بخط اليد على قرطاس فلافل اشتريته ذات يوم من أجل الإفطار حفظتها في عقلي وقلبي وجعلتها مقياسا للإيمان في صدري طوال حياتي، المقولة تقول : " إن قلب المؤمن أشد إرتكاضا من الذنب يصيبه من العصفور حين يغدق به " إن شكل الجملة أخي القارئ يشبه الحديث ولكنني بحثت في كتب الأحاديث فلم أجد عنها شيئا كذلك بحثت في أقوال الإمام علي كرم الله وجهه فلم أجد شيئا ولكنني خلصت بعد نقاش قاس مع نفسي أن هناك أشياء لم يرد ذكرها في كتب الدين نستفيد منها كالمتر والبوصة والقدم والفدان والدونم الخ .... ومع ذلك نستعملها في قياساتنا ، أما الجملة السابقة فهي تصف قلب المؤمن بأنه أشد رجفة ورعبا وخوفا من الله عندما يصيب الذنب كما لو كان عصفور قد تم حبسه في قفص وتم إغلاقه عليه ، وخلاصة القول أنني اعتبرت هذا الكلام عبارة عن ترمومتر أو مقياس لدرجة حرارة الإيمان في قلب المؤمن فلم يذكر لنا أحد قبل ذلك كيف نقيس الإيمان في قلوبنا

وهاأنا ذا قد وجدت ترمومترا خاصا بي وهو ما جعلني أفهم خلاصة المقولة السابقة على النحو الآتي : أن هناك علاقة رياضية عكسية بين الخوف والإيمان فكلما أصاب المؤمن ذنبا بسيطا وكان خوفه كبيرا وهلعه أكبر كان إيمانه كبيرا وكلما أصاب المؤمن كبيرة من الكبائر ولم يهتم ولم يشعر بأي تأنيب لضميره كان إيمانه ضعيفا وربما كان معدوما وهنا يجدر بنا أن نذكر حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن)رواه البخاري أي عند ارتكاب المؤمن لهذه الجرائم الثلاث ينزع من قلبه الإيمان أثناء ارتكابه هذه الجرائم والسؤال الآن من يضمن عند قيام المؤمن بارتكاب هذه الجرائم ، والإيمان تم انتزاعه من قلبه ألا يموت في هذه اللحظة فيلقى ربه وهو غير مؤمن به ، فلو كان ساعتها مؤمنا ومتيقنا بأن الله يراه واستشعر الخوف في قلبه لارتعدت فرائصه بل لن يقوم بمجرد التفكير في ارتكاب هذه الجرائم لو استيقن في قلبه وقع وصدق الآيات القرآنية الآتية كقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق:١٤] أو قوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥] وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤]

ولنضرب لك عزيزي القارئ مثلا لرجل اعتاد صلاة الفجر في جماعة منذ سنوات طويلة لم يترك صلاة فجر إلا صلاها في المسجد فحبسه الإرهاق أو النوم عن أداء صلاته المعتاد عليها مرة واحدة ، دعنا ننظر إلى هذا الرجل حين استيقاظه من نومه واكتشافه ضياع صلاة الفجر عليه وكأنما قامت قيامته فذهبت نفسه حسرات على ما فاته ويحيا أياما يتوقع فيها مصيبة ستحدث له ، فهذا رجل إيمانه قوي وثابت أما المثل الآخر فلرجل يقسم لك أنه سافر سفرا طويلا ليصلي صلاة الجمعة العام الماضي بمسجد سيدي (فلان) وهو في الحقيقة لا يصلي أصلا وذهب يلهو

ويشرب المنكرات ويشرك بالله في مولد سيده (فلان)ويوهم نفسه أنه من رجال الله الصالحين ، هذا الرجل لا إيمان عنده وكانت وجهته إلى غير الله ، أو ربما تضحك عندما تقابل لصا يقول لك أنه اعتاد أن يسرق عشرة من الضحايا كل يوم ويدعي أنه قد تاب الله عليه فلم يعد يسرق إلا اثنين كل يوم على قدر حاجته فقط ويدعي أن هذا من كرم الله عليه لأنه أصبح عنده أخلاق ومبادئ وينطبق عليه قول الله : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] . أي تكون على قلوبهم من كثرة ما اكتسبوا من السيئات الران وهي طبقة سوداء عازلة للتيار الكهربائي الإيماني عن الوصول إلى قلوبهم ولو أسمعتهم كل الكلام الطيب ما وصل إلى مشاعرهم منه شيء وهنا ينطبق عليهم قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الإسراء: ٤٦] .

ولكي تصل الكلمة الطيبة إلى قلب وعقل مستمعها يلزمها جهاز استقبال نظيف كي تستوعبها نفس إنسان مؤمن وتعيها جوارحه وهنا أتردد كثيرا أخي القارئ في سرد قصة بسيطة غاية في الغرابة أقدم لك اعتذاري بأنني لن أستطع تغير شيء من ألفاظها وربما التمست لي العذر في ذلك بعد أن أسردها عليك: فقد استدعاني أحد المواطنين للكشف على طيوره المنزلية فقلت له هل أحضر إليك في الصباح الباكر؟ فقال لا بل بعد صلاة الظهر فلنصل معا الظهر في المسجد ونتقابل فهو لا يستطيع الاستيقاظ من النوم إلا قبل صلاة الظهر بقليل ولا يتناول إفطاره إلا بعد الظهر فسألته ما السبب؟ فقال: اسأل الشيخ زغلول الله يرحمه... والشيخ زغلول هو اسم الشهرة لوالدي الأستاذ أحمد تاج الدين رحمه الله واسترسل يحكي لي أنه أثناء صلاة العصر مر عليه والدي ليؤم المصلين في صلاة العصر في مسجد مجاور لمحل التصوير الذي يعمل به وكان قد اشترى أجهزة طبع أفلام حديثة تعمل من وراء فاترينات المحل الزجاجية

وكان منظر الماكينات جميلا وملفتا للنظر وعندما رجع والدي من صلاة العصر كان الرجل واقفا يعمل بالمحل ولم يذهب للصلاة بالمسجد فدخل عليه والدي وبارك له على الأجهزة الجديدة وقال له أنا أعرف أنك لم تحضر لصلاة العصر بسبب انشغالك بالمكن الجديد غفر الله لك فأنت إنسان طيب وأنا أظن أنك تعوض ما فاتك من ثواب في قيام الليل وصلاة الفجر حاضرا كل ليلة فلا مشكلة إذن أنك تعوضها في الفجرّ وكرر الكلام عليه أكثر من مرة حتى احمر وجه الرجل خجلا وقال الرجل: يا شيخ زغلول أنا لا أحب الكذب ولا الرياء أنا لا أصلي الفجر نهائيا فأنا أنتهي من عملي تمام الساعة الثالثة والنصف صباحا فأرجع إلى منزلي وما أن أضع رأسي على سريري حتى أنام ولكنني عندما أذهب إلى دورة المياه في المسجد أصلي جميع الصلوات التي فاتتني مع بعضها ولي عذري لأن الوقت لا يكفي وأكل العيش مر فلو ذهبت كل مرة لأداء الصلاة في وقتها لأضعت ساعة في دخول الحمام ثم الوضوء ثم الصلاة ثم العودة من المسجد المجاور ولأثر ذلك في رزقي ورزق أولادي وقد ذكرت لك أن إرهاقي الشديد بعد عناء يوم عمل يمنعني من أداء صلاة الفجر فكيف لمثلي من المكافحين المجاهدين طلبا للقمة العيش الحلال أن يستيقظ وهو في شدة التعب لأداء صلاة الفجر؟؟ إن الله حتما سيقدر لي ذلك ولن يحاسبني ، فابتسم والدي ابتسامة المهزوم وقال له لقد غلبتني يا رجل بإمكانياتك العظيمة في الإقناع إنك مثال جيد للمسلم الحقيقي !! فهز الرجل رأسه ابتهاجا بالنصر على والدي ، وعندما هم والدي بالانصراف و مغادرة المحل صاح الرجل: يا حاج زغلول ألا تعلم بأن العمل عبادة ؟.... العمل عبادة ... نحن بعملنا في محلنا نعبد الله ، فطأطأ والدي رأسه وانسحب بهدوء شديد انسحاب المهزوم تاركا الرجل منتشيا بانتصاره ولم يكن يدري المسكين أن أبي قد أرخى له حبل النقاش ليلفه حول رقبته فإذا ما سحبه والدي بطرف لسانه اختنق الرجل وهو ما حدث فعلا فبعد صلاة

العشاء وأثناء عودة أبي من الصلاة مر على الرجل وهو جالس يعمل في دكانه فألقى عليه السلام فخرج الرجل مسرعا وجذبه من ملابسه وقال له لابد أن تشرب الشاي معي لقد أغلظت لك القول يا عم زغلول عصر اليوم ولكن كان يجب أن أقنعك بالحجة القاطعة لأبين لك قوة موقفي فأنا متعلم وحاصل على شهادة وأستطيع أن أجادلك بالعلم والدين وأقنعك فلا تغضب مني أنت مثل والدي تفضل الشاي يا حاج ، فأخذ أبي يرتشف الشاي بلطف ثم رفع رأسه ونظر إلى الرجل وقال له سأسألك سؤالا بسيطا جدا : لقد ذكرت لي أنك تعود للمنزل وتكون في غاية التعب والإعياء ولا يوجد شرع ولا دين في نظرك يجبرك وأنت متهالك أن تقوم من نومك لتؤدي صلاة الفجر فالدين من وجهة نظرك يسر وليس عسر ويمكنك تأجيل صلاة الصبح حتى تصحو من النوم ، فقال الرجل نعم ...نعم فقال له والدي : لو أصابك مغص قوي وإسهال شديد وتعرضت بطنك لألام شديدة اثناء نومك هل ستقوم بالإسراع بدخول الحمام أم ستؤجل ذلك إلى الصباح؟ فسكت الرجل للحظة ثم قال في صوت ضعيف : وهل الإسهال والمغص الشديد يمكن تأجيله؟ هذا أمر ضروري سأذهب مباشرة إلى دورة المياه ، فقال والدي له : رغم تعبك وإجهادك؟؟ فرد الرجل : رغم كل شيء هذا الأمر لا يمكن تأجيله ، فقال والدي : ستلبي الأمر؟ فرد الرجل وبتحدي شديد نعم سألبي الأمر، فخرج أبي من هدوءه المصطنع وهجم على الرجل بصوته هجوم الأسد وكأنه يزأر في وجهه :أتجيب أمر داعي الإسهال حينما يأمرك بالذهاب إلى مكان قذر كدورة المياه ولا تجيب أمر داعي الحق والخير إله العالمين خالقك ورازقك حينما يأمرك بالخير ويقول لك حي على الصلاة حي على الفلاح ويأمرك بالذهاب إلى المسجد الطاهر لأداء صلاة الفجر؟..
يا بني لقد ذكرت لي أن العمل عبادة وأنا أرد عليك قولك بأن العمل في أوقات الصلاة لله هي عبادة للمال والشيطان ، ثم ألقى عليه قول الله:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا

وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤] . فانفجر الرجل باكيا وكانت المفاجأة عندما ذهب أبي ليؤم الناس في صلاة الفجر فإذا بالرجل يقف بالصف الأول فتعمد أبي وقرأ نفس الآيات السابقة.. وتنتهي الصلاة ويذهب الرجل لتقبيل والدي وهو يبكي ويقول له إن الثمانية أشياء التي ذكرتهم الآية لن أضعهم في كفة واضع ديني في كفة حتى لا أكون من القوم الفاسقين الذين لا يهديهم الله رب العالمين ومن يومها تبدل حال الرجل وانتظمت حياته فقط بتأخير ميعاد نومه حتى يصلي الفجر ويستيقظ من نومه قبل الظهر ليؤدي صلاة الظهر جماعه ويباشر عمله المعتاد وفتح الله عليه فتوحا ووسع له في رزقه وبارك له في صحته وفي ذريته ، وكان هذا الدرس الذي جاءني من أبي بطريقه غير مباشرة بعد وفاته عاملا مؤثرا في حياتي ، وفي هذا الرجل الذي استجاب لنصيحة والدي ينطبق عليه قول الله سبحانه وتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٨] .

أعتذر لك أخي القارئ أنني أخذتك بعيدا عن خط الحديث الذي بدأناه معا إلى حديث آخر عن والدي وصاحبه ولكن الكلام معك أخي القارئ له متعة خاصة وكي لا تتوه مني أذكرك أنني كنت أتحدث معك عن حكاياتي وأفكاري وذكرياتي عن أول شهر رمضاني أذكره في حياتي مع أول زلة نفسية حدثت لي منذ أن كنت صغيرا، لذلك سأعود لك صغيرا مرة أخرى في الفصل القادم إن شاء الله تعالي .

* * *

الهندوسى وصاحب البقرة

اليوم هو يوم العيد وهو أول عيد أذكره في حياتي ، فكل شيء جديد، ملابسي الداخلية والخارجية وجوربي وحذائي ، حتى الدنيا أشعر بأنها جديدة ،استيقظت مبكرا جدا وأثناء قيام أمي بتجهيزي للعيد كنت أنظر إلى السماء من خلف زجاج النافذة فإذا بالسماء صافية وبها سحب بيضاء جميلة تتجمع وتتفرق، فهي تشبه مرة شكل شجرة أو سيارة أو مركب ،وكنت أتخيلها أحيانا حصانا أو بقرة أو جملا أو أشكالا كثيرة في السماء ، سألت أمي : هل سامحني الله على فعلتي مع أم محمد؟ فقالت نعم إن شاء الله ،وهل أصابعي ستظل سليمة ولن تسقط على الأرض؟ فقالت نعم ،فقلت لها أين يوجد الله ؟فقالت في السماء فأخذت أحملق في السماء وكانت جميلة جدا ولم أشاهد السماء مرة أخرى في حياتي بأروع ما كانت عليه في هذا اليوم الجميل فقد كنا في نهاية موسم الشتاء والربيع على الأبواب ،حملقت كثيرا في السماء فلاحظت أمي ذلك وقالت لي لا ترفع رأسك وتنظر في السماء كثيرا حتى لا يضعف بصرك، فقلت لها إنني أبحث عن الله، ألم تقولين أن الله في السماء؟ فقالت: إن الناس لا يررن الله وهو يراهم، فقلت لها الله ينظر إلينا ويرانا من فوق السماء؟ قالت نعم فسألتها لماذا لانراه ؟ إن السماء صافية وجميلة فأدارت وجهها عني وخرجت من الغرفة ،ومنذ ذلك اليوم إذا فعلت شيئا وأحسست بغيوم سوداء تحيطني مثل غيوم يوم صيام النصف من شعبان (يوم العسلية) أعلم أن الله غاضب علي ، وإذا أحسست بسحب قطنية بيضاء جميلة كسحب يوم العيد أعلم أن الله راض عني وأصبح هذا أحد أساليبي في الحكم على الأمور طوال حياتي .

عادت أمي فعاودت طرح الأسئلة الكثيرة عليها ولم يرحمها مني إلا دخول أبي عائدا من صلاة العيد ،فتوجهت له بالأسئلة :هل الله عنده أولاد؟؟ وهل يلبسون الملابس الجديدة في العيد ؟؟فاندهش أبي لأسئلتي وخرجت أمي مسرعة وسلمتني لأبي كي تسلم من لساني، فما كان من أبي إلا أن طلب مني قراءة سورة الإخلاص على مهل وقال لي من أين تأتي بهذه الأسئلة ؟فقلت له إن أحدا يقولها لي في أذني ،فقال كلما حدث لك ذلك فاقرأ سورة الناس، فقلت له إنك طلبت مني أن أقرأ سورة الإخلاص قال نعم وفيها يأمرنا الله أن نقول أنه واحد أحد لا يلد أي ليس له ولد وعليك أن تقتنع بذلك وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم لأن هذه وساوس شيطانية فأخذت أقرأ سورة الإخلاص وسورة الناس طوال الليل والنهار حتى يخرج الشيطان من رأسي ولكني لاحظت عدم خروج الشيطان بدليل أن الأسئلة التي أسمعها بأذني وأجدها في رأسي ما زالت موجودة ، ولم أتوقف عن قراءة هاتين السورتين الصغيرتين حتى سمعتني أمي أقرأهما داخل دورة المياه فزجرتني وقالت: لا يصح قراءة القرآن في الحمام وإلا ركبك عفريت، ولو كنت أفهم يومها لقلت لها الحقيقة.. حقيقة أن ما يركبني ليس عفريت يا أمي بل نفسي الشيطانية أقوى من عفاريت الدنيا كلها، المهم في الموضوع أنه أصبح بيني وبين سورة الإخلاص مشاكل كثيرة لم يتم حلها إلا في التاسعة والثلاثين من العمر أي حوالي أكثر من ثلاثين عاما بيني وبين هذا الموقف، وعلى مدى الثلاثين عاما وكلما سألتني نفسي سؤلا غريبا قرأت لها سورتي الإخلاص والناس ،وكنت أسأل نفسي دائما لماذا يقول الله سبحانه وتعالى : قل هو الله أحد وليس قل هو الله واحد ؟حتى سمعت الإجابة في برنامج العلم والإيمان للدكتور مصطفى محمود رحمه الله يقول : أن الأحد هو الذي لا يتكون من أجزاء، ثم بّحثت بعد ذلك وقرأت كثيرا لأصل بنفسي إلى المفهوم الآتي :أننا تعلمنا في المرحلة

الابتدائية أن هناك خانه في مادة الحساب تسمى خانة الآحاد وهي تحتوي على الأرقام من واحد إلى تسعة ووجدت أنه يجب أن تكون هناك خانة قبلها تسمى خانة أحد تحتوي على رقم واحد فقط ، وإذا فحصنا الخانتين لوجدنا رقم واحد في خانة أحد ورقم واحد آخر في خانة الآحاد فما الفرق بينهما ؟ الفرق أن الواحد في خانة الآحاد ينقسم إلى نصف وربع وثمن إلى آخرة ويتضاعف إلى اثنين ثم ثلاثة وحتى الرقم تسعة أما الواحد في خانة أحد فهو رقم صحيح لا ينقسم إلى أجزاء أصغر ولا يتضاعف إلى أرقام أكبر وعلى هذا الأساس فأنا لا أحب أن أقول إن الله واحد وأسكت ولكن الله واحد أحد أو الله أحد.

أما معنى كلمة الصمد فوجدت فيها معنيين الأول أن الله يصمد(بضم الياء وتسكين الصاد وفتح الميم) إليه في الحوائج أي يلجأ الناس إليه لقضاء حوائجهم ثم سمعت في إذاعة القرآن الكريم لقاء مع أحد الضيوف من الأزهر الشريف ارتاح قلبي إليه وهو يفسر أن أساس كلمة الصمد هي كلمة الصمت (بفتح الصاد والميم وتسكين التاء)حيث قلبت التاء دال للتخفيف في النطق والصمت بالتاء هو من لا جوف له، فالله ليس له جوف فلا يأكل ولا يشرب ولو أكل وشرب لأصبح محتاجا وهو نوع من النقصان لا يجب أن يتم وصف الله به والأساس أن الله يحتاج إليه الخلق ولا يحتاج هو إلى أحد ، وأثناء قراءتي لسورة المائدة في الآية ٧٥ وجدت أن الله نفى الربوبية عن سيدنا عيسى عليه السلام وعن أمه الصديقة لأنهما كانا يأكلان الطعام أي أنهما كانا محتاجين والله لا يحتاج إلى طعام لأنه صمد صمت يعتمد على ذاته تصمد إليه الخلائق جميعا ولا يصمد هو إلى أحد ،هنا وجدت أن التفسيرين قد إلتقيا وحمدت الله في نفسي على ذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ

صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ [المائدة: ٧٥] .

أما معنى (لم يلد) فسبق أن ذكرت أنني وأنا صغير سألت أبي يوما أليس لله أولاد ؟ فقال لا ، فقلت له : لماذا ؟ . فقال لي أن الله ليس له زوجة ، ولما تهيأت لأن أسأله سؤالا آخر زجرني وطلب مني الخروج من المكان بسرعة لأنني مزعج وأسبب له الصداع وتكرر اللقاء وتكرر نفس السؤال مرات عديدة فإذا بنفس الإجابة ، فعرفت أن هذه مسألة شائكة لا يجب الخوض فيها مع أحد، و لو عاش أبي ليناقشني بعدما كبرت ودرست الطب لربما أصيب بالجنون عندما أذكر : أن عملية التوالد والتكاثر ربما لا تحتاج الزوجة فيها إلى زوج كي تلد ، فالنعجة دوللي تم استنساخها بدون أب ، وملكة النحل تنجب الذكور عن طريق بيض غير ملقح ، والبكتريا تتكاثر بالانقسام ، فأنا لم أسأل والدي عن الطريقة التي ينجب بها الله ولكن سألته هل لله ولد أم لا ؟... ولما كبرت وقرأت في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]

اكتشفت أن السؤال في هذا الموضوع ليس عيبا وليس حراما، لكنه يسبب حساسية وضيقا لأبي فأخذت أبحث وحدي فلم أجد أي إجابة وكنت قد وصلت يومها إلى السابعة عشر من عمري فبدأت أسأل بعض المشايخ وما إن سألت أحدهم حتى انفجر في وجهي وقال لي : اتق الله ...اتق الله أنت ستكفر يا أخي ؟ أعوذ بالله، فقابلت أحد الأصدقاء المتدينين الذين يكبروني سنا وقلت له أريد أن أسألك سؤالا ولكن أرجو منك أن لا تقول لي اتق الله لأن هذه الجملة تثير جسدي وعقلي وتحرق دمي وأعصابي فهي اتهام من بعض من أسألهم لي بأنني لا أتق الله، فضحك وقال لي هل

تغضب عندما يقول لك أحد الإخوة اتق الله ؟؟ فما قولك في أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١]

هل غضب الرسول (ﷺ) ؟ يا أخي سأعلمك شيئا : عندما يقول لك أحد إخوانك اتق الله فقل له :اللهم اجعلنا من المتقين، فقلت : اللهم آمين ..آمين ،وإذ به يستأذن وينصرف دون أن يجيبني عن سؤالي القديم : هل لله ولد؟... وعلمت ساعتها أنه انسحب من الموقف بكياسة وذوق حتى لا يحرج نفسه ويظهر لي عدم معرفته للإجابة فعلمت أن السؤال صعب جدا ولا بد أن أتجه إلى شيوخ كبار في السن والعلم ليجيبوني على سؤالي ، وكلما سألت واحدا منهم لم أفهم منه شيئا وربما قال لي الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[المائدة: ١٠١] . ورغم أن هذه الآية ليس لها علاقة بموضوع سؤالي فأنا أسمعها من الكثير بدون مناسبة ، ولما سدت في وجهي جميع السبل لم أجد غيرها لتفتيني وتفسر لي معنى كلمة(لم يلد)أتعرف من هي يا عزيزي القارئ ؟إنها نفسي التي قضيت معها أياما كثيرة أحدثها وتحدثني حتى وصلت معها إلى حل رائع ومريح هو أننا (أنا وهي) مازلنا صغارا ولم نتعلم في الدين إلا القليل والعلم يملأ المكتبات والمدارس والجامعات ولم نحصل منه إلا على أقل القليل وأمامنا طريقان لحل المشكلة الطريق الأول أننا نظن كما ظن اليهود والنصارى أن لله ولد وقد نكتشف خطأ ظننا يوما فنندم أو نظل كما نحن عليه مسلمين كما ولدتنا أمنا ونعتقد أن ليس لله ولد ، هنا أحسست أنني اطلب من عقلي المستحيل و أردت أن أوقف عقلي عن العمل و التفكير في هذه المسألة و كما قالوا : إن أردت أن توقف عمل العقل فعليك بالبحث عن قانون يقبله العقل ، وكنت في أواخر السبعينات من نهاية الألفية الثانية من القرن الماضي وكان الناس مبهورين بجهاز جديد يدخل البيوت على

استحياء بسبب ارتفاع سعره وهو جهاز الكمبيوتر وسمعنا أنه رغم عظمة ما يقوم به من تجميع وحفظ معلومات إلا أنه يسهل التعلم على اســتعماله وتشغيله من قبل البشر، وسألت نفسي : لو أحضرنا حمارا وكمبيوتر هــل يستطيع الحمار تشغيل الكمبيوتر؟ وجاءت الإجابة بلا . وسألت نفسي هل معنى عدم استطاعة الحمار تشغيل الكمبيوتر ينفي وجود الكمبيوتر أصلا ، أم أن الكمبيوتر حقيقة واقعة لا يستطيع عقل الحمار إدراكها ؟وعدم إدراك الحمار لها لا يعني عدم وجودها، وهنا رقصت مع نفسي فرحا فقد وجدت الحل لكل مالا أستطيع إدراكه بعقلي،إنه ربما يكون حقيقة واقعة وعقلي لا يستطيع إدراكها لقصور في عقلي وليس لقصور فيها فعدم وجــود تلفــاز معي لا يعني عدم وجود بث تليفزيوني يحمل الصوت والصورة لأن عقلي لا يستطيع استقبال هذا الصوت وهذه الصورة فعدم قدرتي على إدراك مالا استطيع إدراكه هو لعذم وجود جهاز إدراك ملائم قادر على فك شفرة مالا أستطيع إدراكه،إذا فقد وضعت بنفسي قانونا يقول: أن هناك الكثيــر مــن الحقائق موجودة فعلا ولا نستطيع إدراكها ،مثل الحمار الــذي لا يــدرك حقائقا بعقله قد ندركها نحن بعقولنا حيث تمتلك عقولنا قدرة فهم لا يملكهــا عقل الحمار وأطلقت على القانون مجازا اسم (الحمار والكمبيوتر) وهنــا وجدت قانونا لي يقبله عقلي .

مضت الأيام وتخرجت من كلية الطب البيطري جامعة الإسكندرية وسافرت للعمل في دولة العراق الشقيق وفي إحدى ليالي الشتاء ذهبت لتناول طعام العشاء في مطعم المشروع فوجدت كبير طباخي المطعم يبكي بكاء مريرا وفي حالة انهيار تام وكان بنغالي الجنسية من أصل هندي، وكان يدين بديانة هندية غير سماوية فسألته عن سبب بكائه ففضل عدم اجابتي. ولما ضغطت عليه لأستفسر عن حالته قال لي: أنه هندوسي وأنه أحضر من الهند كمية من الخشب المبارك كما يفعل كل من يأتي للعمل من

زملائه فإذا ما مات تم حرقه بهذا الخشب حتى يصير رماداً ...
يضعوه في وعاء من الفخار ويرسل به إلى أهله كي ينثروه في أحد الأنهار المباركة، ولكنه اكتشف أن الخشب الخاص به قد سقط عليه ماء المطر وتعفن ولم يعد صالحا لعملية الحرق وهو في هذه الليلة من ليالي الشتاء البارد أصابه الصداع ويخشى الموت خاصة في حالة عدم وجود خشب صالح للحرق ولم تنته المشكلة إلا عند دخول أحد زملائه وسأله عن سبب بكائه فذكر له السبب فأخبره بأنه يحتفظ بكمية كبيرة من الخشب المبارك بحالة جيدة وصالحة للاستخدام ولما سألته لماذا يحرقون الموتى ويلقون برمادهم في النهر قال لي أنهم يخشون من عذاب ما بعد الموت ولكن بعد حرقهم ونثرهم في النهر لا يستطيع ربهم تعذيبهم وهم بهذه الصورة لأنه يستحيل على ربهم تجميعهم للحساب مرة أخرى وهنا تذكرت قوله تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [ق: ١ – ٤] ، وخلاصة الآية أن الله عز وجل يبين لنا أن لديه كتابا محفوظا فيه نسب ما أكلت الأرض من أجسام من يموتون وهو يرد بذلك على استنكار الكافرين أنهم سيبعثون بعد موتهم وتحولهم إلى تراب بل يرد بصورة أقوى وأدق أنه قادر أن يرجع بصمة أصابع من أبلاهم الثرى بعد موتهم وذلك في سورة القيامة قوله تعالى ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣-٤]

فشعرت بعزة وثبات إيماني عظيم بعد قراءتي لهذه الآيات وتعجبت لفساد عقيدة هذا الهندوسي وتوجهت له بسؤالي : لماذا لا تصبح مسلما وتدعك من هذه الخرافات؟ خاصة وأن الأغلبية الساحقة من زملائك البنغال مسلمون فتسلم مثلهم وتصلي معهم؟فقال لي انه فكر في هذا الموضوع لكنه لاحظ إن المسلمين يغتسلون ويتوضئون كثيرا والدنيا برد

ولا يستطيع هو تحمل ذلك ، ثم نظر مبتسما وقال لي أرني صورة إلهك كي انظر اليه فإن أعجبني وكان أجمل من إلهي اتخذته إلها فقلت له نحن لا نرى الله قال : دعني أريك صورة إلهي ، فوجدت صورة لسيدة جميلة تنام على أريكة وحولها يطير مجموعة من الطيور الجميلة وأضاف أن وجه ربه يشبه وجه سيدة رائعة الجمال وأنه طيب لا يحاسب أحدا ولا يدخل أحدا النار ولا يطلب من أحد أن يتوضأ خمس مرات في هذا البرد الشديد ثم استطرد وأعطاني صورة لطفلين صغيرين يسكبان بعض اللبن على الأرض فأخذت انظر إلى الصورة جيدا وإذا بالهندوسي يقاطعني : كم يمتلك إله المسلمين من الأطفال ؟ فأجبته على الفور إلهنا ليس له ولد وليس عنده أي أطفال فقال لماذا؟..إن الأطفال مخلوقات جميلة ورائعة كيف لي أن أعبد إلّها لا أستطيع مشاهدته وليس عنده أطفال ؟ولا يأكل ولا يشرب كما سبق أن ذكرت لي فكيف يعيش إلهكم وماذا يفعل ؟... كل هذه الأسئلة لاتهمني وعندي لها إجابات كثيرة إلا سؤالا واحدا لماذا لا ينجب الله أولاداً ؟ .

فار الدم في عروقي وأحسست بضيق شديد وتجنبت الكلام مع الهندوسي نهائيا ولم أفتح أي نقاشات معه مرة ثانية، أما النقاشات الحامية والكثيرة فتشعبت بيني وبين نفسي ...لماذا لا نرى الله؟ بحثت في كتبي فوجدت أن الله خلقنا بقوة تحمل معينة للضوء فإذا ازداد الضوء عن قدرة تحملنا هلكنا وهو ما يحدث أثناء ضوء البرق الذي قد يخطف أبصارنا كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٠]

فإذا كان ضوء برق الدنيا يخطف بالأبصار لأن أعيننا قد صممت للرؤية وليس لنحمل شدة الضوء، فما بالك بسنا ضوء نور إله؟ فالله نور ، وأمي كانت تنهرني عندما أسألها هذه الأسئلة وبعدما كبرت اكتشفت أنني لم أقترف خطأ عندما سألتها هذا السؤال فرسول الله موسى سبق وأن سأل

الله أن يــــــــراه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعـراف: ١٤٣]

هنا صعق موسى لأن تركيبه العصبي والبصري كـان مجهـزا لرؤيـة مخلوقات الله في الدنيا ولم يكن مجهزا لرؤية نور خالق الدنيا والغريب أنه أصابته صدمة عدم استقرار الجبل في مكانه فما رأيك يا أخي القارئ لـو أصابته صدمة التعرض مباشرة لنور الله ؟ ثم إن عدم رؤيتنا لله لا تعنـي عدم وجوده لأن هناك أشياء كثيرة لا نراها مع أنهـا موجـودة ونشـعر بوجودها فالهواء لا نراه وكذلك الأشـعة الكهرومغناطيسـية والموجـات ،والميكروبات،والفيروسات التي تفتك بالإنسان والحيـوان، لا نراهـا لأن عيوننا ليست مؤهله وليس لديها القدرة على رؤيتها ، وكذلك عندما تنظـر حولك إلى السماء وما احتوت من شمس وقمر ونجوم .والوظيفة التي يقوم بها كل مخلوق خلقه الله، ألا تشعر أن هناك أحدا يتحكم فيهم ويشرف على كفاءة أدائهم في هذه الحياة ؟ ثم إن هناك شيئا مهما جدا هو أنه لو استطاع الناس رؤية الله فما الحاجة إذن إلى الإيمان في حياتهم،وما الفـرق بـين مؤمن بالله وكافر به (إن وجد أصلا) فالكل أصبح سواء في رؤية ومعرفة الله ولن يصبح هناك أي معنى أو قيمة للإيمان والتصديق بوجـود الله لأن الإيمان حينئذ سيصبح حقيقة واقعة لا جدال فيها ولن يصبح هناك أي قيمة للحساب أو للعقاب على ترك الإيمان .

أما إجابة السؤال الثاني ماذا يعمل الله ؟ فلله في خلقه شؤون، يـدبر أمر مخلوقاته من الإنسان والحيوان والطيور والنباتات وغيرهم من بـاقي المخلوقات في السماوات والأرض، فيقسم لهم رزقهم ومنبتهم ومآلهم، هذا ما نعلمه مما نراه أمام أعيننا ولابد أن نقتنع في أنفسنا ونؤمن أن الله لـه

خلق آخر وأملاك أخرى ليس لدينا أي علم بها يدبر أمور أملاكه ما نعلمه منها ومالا نعلمه وذلك في قوله تعالى ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]

أما السؤال المزمن القديم الجديد وهو لماذا لا يوجد لله أولاد؟ فكرت كثيرا واسترجعت مع نفسي ما سبق من نقاشات كثيرة معها، وسألتني نفسي: لماذا الحيرة والحل موجود مؤقتا وهو قانونك الخاص بك عندما تعجز عن حل لغز،قانون(الحمار والكمبيوتر) الذي سبق وأن شرحناه قبل ذلك مرارا ،إن عدم فهمي لهذه القضية يساوي عدم فهم الحمار لقضية الكمبيوتر ، فالكمبيوتر موجود حقيقة واقعة والحمار لا يدركها بعقله وهناك أمور موجودة فعلا و لا يستطيع عقلي إدراكها وما علي إلا الصبر حتى يجعل الله لعقلي من بعد عسر يسرا.

رجعت إلى مصر بعد عدة سنوات لم أفكر خلالها في هذا الموضوع لكنني كنت أشعر دائما أن هناك خراجا متحجرا في عقلي لم يأت الوقت عليه كي يطيب وينفجر وأستطيع تنظيف ما فيه من قيح ودم بسبب عدم عثوري لإجابة سؤال: هل لله ولد ؟إلى أن أتاني أحد مربي الماشية يستدعيني لإنقاذ بقرة عنده، وما إن دخلت إلى فناء منزله حتى أدهشني منظر البقرة حيث كانت كبيرة الحجم جدا لم يسبق لي أن شاهدتها في الحقيقة ولا حتى في الصور الأجنبية الخاصة بسلالات الأبقار المختلفة وكانت البقرة تعاني من الإعياء الشديد ، فسألت صاحب البقرة عن قصة هذه البقرة وإلى ما آلت إليه من مرض فقال أن هذه البقرة عنده منذ أكثر من عشرة أعوام وأنها سلالة أجنبية جاءت بالسفينة من الخارج وهي نقية تماما وتدر عليه كمية هائلة من الحليب وأنه أخذها من صاحب مزرعة كبيرة لإنتاج الألبان نظير قيامه ببناء أحد العنابر الجديدة في فترة زمنية وجيزة وأنها تنجب له كل عام مولودا جديدا رائعا وهي الآن في المرحلة النهائية من فترة ما قبل الولادة . فأصابها ما أصابها من مرض وهزال

على أثارهما قام باستدعائي لإنقاذها وإنقاذ جنينها وأضاف: أن هذه البقرة هي سبب سعده وسعادته في هذه الدنيا فهو يبيع ابنها عمر يوم بثلاثة آلاف جنيها، فتعجبت لأن أفضل بقرة مصرية أو خليط في هذا الوقت كان لا يتجاوز ثمنها مع ابنها ثلاثة آلاف من الجنيهات ،وسألته عن السبب فقال أنه يتم تلقيحها صناعيا بنطفة مستوردة من الخارج، ثم أصابه قلق مفاجئ وهو يحدثني ويقسم بالله العلي العظيم أنها إذا قامت بالسلامة من مرضها هذه المرة وكان ولدها أنثى ما باع ابنتها ولا بخمسة آلاف جنيها ، فسألته لماذا أقسم ؟ قال : يا دكتور إنها كبيرة في السن وربما تموت قريبا فالموت حق على الإنسان والحيوان والكل سوف يموت ، ولما كان احتمال موتها واردا بسبب كبر سنها وتدهور صحتها فيجب عليه أن يربي منها سلالة لتكمل مسيرة العطاء المستمر من اللبن وأنه أخطأ في الماضي لأنه لم يقم بتربية إحدى بناتها ولو كان فعل ذلك من قبل لقلل ذلك من صدمة احتمال فراقها له هذه الأيام، ثم أدار وجهه ونظر في وجهي قائلا لي :في هذه الحياة يا دكتور الرجل يتمنى أن يعيش أولاده من بعده ليخلفوه في البيت والغيط والمزرعة وأشار إلى صدري وقال : وأنت كذلك يا دكتور تتمنى أن يرثك ابنك الذي هو من صلبك في مزرعتك وبيتك وسيارتك وكذلك في أموالك ،وطالما أننا أموات أولاد أموات وحتما ذاهبون فليأت أبناؤنا ليكملوا مسيرة الحياة بعدنا لأننا سنموت بعد عمر طويل إن شاء الله ويموت أبناؤنا من بعدنا إلى أن يأتي الله ويرث الأرض ومن عليها .

أحسست ساعتها أنني كنت أغبى رجل في العالم وكنت أعيش مع نفسي في جحيم ،وإذ ا بالرجل ينقذني من جحيم نفسي ويلقي بجسدي ونفسي المشتعلين في ماءه البارد .وما إن أفقت من غيبوبتي الفكرية حتى اندفعت إلى رأس هذا الرجل الفلاح الأمي أقبلها وأحتضنه بين زراعي وأقول له فتح الله عليك يا أخي فتح الله عليك، لقد قمت بحل أكبر مشكلة نفسية لي

في حياتي بيني وبين ديني الذي أجد فيه أن إلهي لا ينجب بينما إلههم فـي دينهم ينجب ، فسألني ما هي المشكلة بالضبط ؟ فحكيت له قصتي القديمـة الجديدة كاملة والسؤال المهم الذي عفن رأسي ولم أجد له جوابا إلـى الآن وهو : لماذا لا ينجب الله أولادا ؟ فانفجر الرجل ضاحكا وهو يضرب كفا على كف ويقول: أحقا ما قلت يا دكتور؟ فلمـاذا ينجـب الله ؟ هـل الله سيموت يا دكتور حتى نبحث له عن وارث يرثه ؟ هذا ظن خاطئ ، فقلت له : إنه خطئي أنا وضعني فيه الهندوسي وأخرجتني أنت منه مع فـارق التشبيه بينك وبينة والمثل الأعلى لله، فالله هو الحي القيوم لن يموت هـو الباقي وهو وارث الملك.

عالجت البقرة وشفاها الله ورجعت أفكر وألوم نفسي واسألها: لماذا لم أفهمها وفهمها الفلاح الأمي صاحب البقرة بأميته وطبيعته البيضاء النقية ؟ ألم تدرس يا عبد الله في الكلية أن الولادة هي عملية حيوية حياتية الغرض منها الإبقاء على النوع والله سبحانه حي باق مستمر و ليس بمحتاج إلـى من يأتي خلفه ليكون سببا في استمرارية جلالته وعظمتـه (اسـتغفر الله العظيم أن أقول ذلك) وكانت فرحتي عارمة ولم يكن يتقصها سوى وجود الطباخ الهندوسي معي الذي ادعى أن لإلهه ولد وبنت .

وتمشيا مع هذا النهج من النقاش انتقلت مع نفسي لفهم بقيـة سـورة الإخلاص وهي (ولم يولد) وسألتني نفسي ما هي بداية الله ؟إن القرآن ينفي بأن الله تم ولادته وبناء على القصة السابقة لو كان (أستغفر الله) مولـودا لأجزنا نظرية الهندوسي الذي ادعى أن الله يلد وإذا ناقشنا هـذه النظريـة الفاسدة الكاذبة لوصلنا إلى النتائج الآتية:

١- (الله تم ولادته) إذا قام بولادته إله آخر ولن يصير إلهـا إلا إذا مات الإله الذي ولده وتولى هو الأمر من بعده .

٢-(الله سيصبح له ولد من بعده)، إذا سيصير إبن الإله هو إله المستقبل ،وأنه سوف يموت عاجلا أم آجلا ليعطي الفرصة لابنه كي يصير إلها ويأخذ دوره ولا يحرمه من الإلوهية في المستقبل .

ولكي نصل إلى النتيجة النهائية المفيدة علينا أن نعتبر أن النقطتين السابقتين عبارة عن كلام مجانين وفارغ من المحتوى والمضمون وهو عبارة عن كذب وغش وخداع وبهتان وزور والخلاصة: أن الله واحد أحد فرد صمد لا يأكل ولا يشرب يصمد الناس إليه في حوائجهم ولا يصمد هو إلى أحد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أي لم يكن له من يكافئه في القدر والقدرة والمنزلة .

ولم تمض أيام قليلة حتى قابلني أحد الشباب حديثي التدين وذكر لي أنه قرأ في التوراة (العهد القديم) أن الله خلق الإنسان على صورته ،فنحن في نظر اليهود والنصارى نشبه الله في الصورة تماما وأنه قرأ حديثا لرسول الله (ﷺ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله (ﷺ) (خلق الله آدم على صورته) رواه البخاري ومسلم

وعلى هذا الأساس لا يوجد تعارض بين اليهودية والمسيحية والإسلام في هذه النقطة(هذا من وجهة نظره)، فطلبت منه أن يمهلني وقتا مع كتبي وبعد بحث يسير توصلت إلى الآتي :

١- نص الحديث يقول إن الله خلق آدم على صورته التي هو موجود عليها (فالهاء) في الحديث تعود إلى (آدم) وليس إلى (الله) وأظن من وجهة نظري أن الرسول (ﷺ) كان يرد مسبقا على علماء الجهل أمثال داروين وغيره الذين أرادوا أن يرسخوا في أذهان الناس أن الإنسان كان أصله قردا ثم تطور إلى أن صار إنسانا،وهذا كذب وافتراء يدحضه سؤالي هذا : ألم يكن الله قادرا على أن يخلقه إنسانا من أول مرة ولجأ إلى

عمليات تطوير وتحديث حتى يصبح على شكله الآدمي الحالي؟ ألا يكـون في هذا إجحافا وتقزيما لقدرات الله الغير محدودة ؟...وأثناء صلاة الجمعة في بلدتي بسيون ذكر الخطيب أنه إذا سالك أحد أو سألتك نفسك عن شكل الله فقل : (كل ما خطر ببالك فالله غير ذلك) وتبسيطا لهذا القول أن شكل الله الحقيقي هو الشكل الذي لم يسبق لك رؤيته أو السماع عنه من قبل وهو الشكل الذي لا نملك القدرة علي تخيله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

ذكرت الكثير من التفاسير في هذه الآيـة أن الله سـبحانه لا يحـيط بعظمته و جلاله أبصار الخلائق وهو سبحانه يحيط بعلمه ويبصـر كـل صغيرة و كبيرة في السماوات و الأرض و ما بينهما (دكتور محمد سـيد طنطاوي) . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ ــ ٢٥]

ذكرت الكثير من التفاسير أن الوجوه يوم القيامـة نوعـان ،وجـوه ناضرة : أي حسنة بهية متهللة ناظرة إلي ربها ، ووجوه يومئذ بآسرة أي شديدة العبوس يظن أن يفعل بها فاقره : أي مصيبة تكسر فقرات الظهر ، ومن قراءتي للآيات السابقة (١٠٣ الأنعام –٢٢:٢٥الصافات) لاحظـت اختلافا شديدا وتباينا كبيرا ، فآية تذكر أن الأبصار لا تـدرك الله و أيـة أخري تؤكد أن الوجوه الناضرة تكون إلي ربها ناظرة فكيف ذلك ؟ سألت الكثير فقالوا أن الآية ١٠٣ الأنعام تبين حال الأبصار في الدنيا و هي عدم قدرتها إدراك صورة الله سبحانه و تعالي ، أما الآية ٢٣ القيامة فتؤكـد قدرة المؤمنين النظر إلي رب العالمين سبحانه و تعالي يوم القيامة .

وأثناء قراءتي للآيـة٣٥ النمـل :قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل: ٣٥]

وفيها تقول الملكة بلقيس : إني مرسلة إلي سليمان وجنوده بهدية فمنتظرة ماذا سيفعلون مع من أرسلتهم وماذا سيأتيني من أخبار ، لاحظت أن هذه الآية تحتوي علي كلمة ف (ناظرة) وأن الآية ٢٣ القيامة تحتوي علي كلمة (ناظرة) ، فلماذا تم اعتماد معني (ناظرة) في الآيتين بمعنيين مختلفين مع أن الكلمة واحدة ؟

في الآية ٣٥ النمل : معني ناظرة أي منتظرة للأخبار .

في الآية ٢٣ القيامة : معني ناظرة : تنظر إلي الله سبحانه و تعالي

مع أن الآية ١٠٣ الأنعام : تنفي تماما قيام أي إنسان بادراك الله لا بنظره و لا بعقله و ولا بحواسه ، لذلك قررت الرجوع للتدقيق و الفحص و التمحيص في الآيات السابقة.

من الآيات السابقة استطعت أن اعمل جدولين للمقارنة بين الوجوه الناضرة و الوجوه الباسرة علي أساس تفسير البعض أن الوجوه الناضرة تستطيع رؤية ربها و علي أساس آخر أن معني ناظرة ليس المقصود بها رؤية الله .

الجدول الأول الغير مقبول

وجهة المقارنة	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾	﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾
النظر إلي الله	﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	السؤال الأول
الظن بالله	السؤال الثاني	﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

الآيات السابقة تشرح مقارنة بين نوعي الوجوه الناظرة والوجوه الباسره ، لذلك يجب أن يكون من العدل استعمال وجهات للمقارنة واحدة ولنضرب مثلا : عندما اطلب منك المقارنة بين رجلين يجب أن تكون حيثيات المقارنة واحدة فإذا أردنا أن نقارن بينهما فلنقارن من حيث الطول،

الوزن ... إلخ في كل منهما وبذلك نستطيع الحكم بينهما فلا يمكننا قياس طول أحدهما ومقارنته بوزن الآخر حيث لا يصبح مجال للمقارنة العادلة ، فإذا وزنت واحدا فيجب أن تزن الآخر بنفس الميزان وإذا قست طول واحد يجب أن تقيس طول الآخر كذلك لإجراء مقارنة عادلة بينهما ، أما في حالتنا هذه وإذا نظرنا إلي الجدول السابق فوجئنا أننا نجري المقارنة بين نوعي الوجهين بطريقة غير منطقية فالوجوه الناضرة تنظر إلي ربها هنا يجب أن نجد إجابة علي السؤال الأول في الجدول السابق .

السؤال الأول : الوجوه الناضرة تنظر إلي ربها ، فإلي أي شئ تنظر الوجوه الباسرة..؟

إجابة السؤال الاول : لا يوجد أي إجابة لسبب بسيط جدا و هو أن الوجوه الناضرة اعتقد أنها لا تنظر أساسا إلي احد ولم يطلب أحد منها ذلك وليس من المعقول أن تقوم هذه الوجوه من تلقاء نفسها بالنظر إلي الله سبحانه وتعالي .

السؤال الثاني : في الجدول السابق تظن الوجوه الباسرة أن يفعل بها فاقره فماذا تظن الوجوه الناضرة ..؟

إجابة السؤال الثاني : تظن الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير و لا يفعل بها شر .

مما سبق يتضح أننا قارنا بين الوجوه الناضرة والوجوه الباسرة من حيث وجهة النظر و من حيث ظن كل واحدة منهما بما سيحدث لها وهنا نحتاج إلي سؤال فاصل في الموضوع يجعل الموضوع أكثر فهما بالنسبة لنا و للقارئ:

السؤال الفاصل في الموضوع: إذا لم نعتبر أن ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ تعني النظر إلي الله سبحانه و تعالي ، فماذا تعتقد أن تكون ؟

الإجابة التي أظنها فاصلة في الموضوع :

ربما يقصد بجملة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أن الوجوه الناضرة علي عكس الوجوه الباسرة فالناضرة ناظرة تنتظر و بلهفة و شوق شديدين عطاء ربها لها من رحمة و نعيم الآخرة بينما تظن الوجوه الباسرة وتكره أن تنتظر عذاب و جحيم الآخرة مع أنها في الحقيقة تنتظر هي الاخري وعدم تكرار كلمة (ناظرة) في الآية ٢٥ القيامة و الآتيان ب (تظن) لإبراز مدي قلق الوجوه الباسرة وعدم حاجتها للانتظار الذي سيأتي بما لا تحمد عقباه أما عدم تكرار (تظن) في الآية ٢٣ القيامة لعدم الحاجة إليها لأن أصحاب الوجوه الناضرة متأكدون أن الخير و النعيم واقع بهم لا محالة وهم بذلك ينتظرون عطاء ربهم بفارغ الصبر .

لذلك تأكد لي شخصيا أن (ناظرة) بمعني منتظرة (على غرار قول العرب : غدا لناظره قريب)ولا أجد تضادا بين هذه الآيات وآية (١٠٣ الأنعام) و التي تؤكد أن الله يدرك إلا بصار و لا تدركه الأبصار في الدنيا ، و أنا لست بصدد أن أنكر مشاهدة المؤمنين لربهم يوم القيامة مع وجود أحاديث صحيحة و آية تؤكد ذلك، ولكنى أحاول فهم القرآن بما تيسر من القرآن، هنا يمكننا أن نخلص إلي أن جدول المقارنة الأول هو جدول غير مقبول لا شكلا و لا موضوعا أما جدول المقارنة الذي يمكن الاعتماد عليه و المقبول لدي في الشكل و المضمون هو الجدول الثاني للمقارنة :

الجدول الثاني المقبول

وجهة المقارنة	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾	﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾
انتظار ما سيحدث لها	تنتظر رحمة ربها	تنتظر نقمة ربها
الظن بالله	تظن أن يفعل بها خير	﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾

ما سبق من شرح هو ظني وفهمي في الآيات السابقة ولا أرفض نقاشا من أي عالم أو مطلع في هذا الموضوع يأتى بعكس ذلك طالما أن معه الحجة البينة والدليل المقنع ولا يسعني إلا أن أقول (والله أعلم) .

و أخر ما أنكره لك أخي القارئ في هذا الباب أنه إذا سألتك نفسك: منذ متى كان الله و إلي متى سيبقي ؟ فقل لها إن الله هو الأول بلا ابتداء و هو الأخر بلا انتهاء .

وهو الواحد الاحد، الفرد الصمد ، لا زوجه له ولا ولد وهو على كل شيء قدير .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١- ٤] .

* * *

عشم إبليس في الجنة

لا أحد يستطيع أن ينكر دور مخلوق هام في هذا العالم كل هدفه الزج بالإنسان إلي دركات النار المتدنية وكلما أنزله إلى دركة تمنى له الأسفل منها ، إنه يتمنى لنا العذاب في النار ، وفي هذا الفصل من الكتاب نود أن نلقي الضوء على حقيقة الشيطان (إبليس) الذي لا يريد ولا يتمنى لنا الإفلات من عذاب غافر الزلات ويسد أمامنا كل ثغرات الإفلات من النار، وحقيقة لم أجد هنا أحسن من كتاب (حقيقة الشيطان من المنظور القرآني) للكاتب العراقي المتميز الأستاذ شاكر عبد الجبار والذي يستعرض فيه قصة الصراع الأبدي بين إبليس والآدميين بعناصرها المهمة اعتمادا على تفاصيلها القرآنية ويوضح لنا الكاتب أن كون التسليم بوجود الشيطان وعدائه المستمر لبني آدم هو حقيقة يسهل تلمسها كي نبحث ما ينبغي اتخاذه من الحذر في مواجهة هذا العدو المتغطرس الذي يتوارى تحت جلودنا ولا يتوانى لحظة عن دفعنا إلى شر المهالك ،فهلا نواجهه كما ينبغي؟ . في مقدمة الكتاب يتعجب الكاتب لابن آدم الذي يشمر عن ساعديه عندما تحوم ذبابة من حول رأسه خوفا من جراثيمها المحمولة بأطرافها ومع ذلك يتلقى بلا مبالاة تحذير الخالق عز و جل بشأن عدو قديم قطع على نفسه عهدا أن يقود الآدميين بكل ما يمتلك من قوة إلى هاوية الخسران في الدنيا والآخرة فالذبابة في نظر الإنسان شيئا مسلما به لأنه يراها أما الشيطان فهو غير مسلم به لأنه لايراه . إنها حرب قذرة يحاول فيها إبليس طمس خصـــائص الخير في عدوه الإنسان حتى يتساوى معه في استحقاق السخط الإلهي عليهما في الدنيا والآخرة، فالإنسان والشيطان

تم تكليفهما معا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٠]

فعندما خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له وكان إبليس معهم وقتما أمرهم الله بالسجود فشمله الأمر كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]

وبرر إبليس رفضه للإذعان لأمر ربه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ص: ٧٦]

فهو يريد أن يوضح لله بكل سفالة أنه لأعظم من آدم فلا يجب أن يسجد له، وبكل وقاحة وكبرياء يتهم الله عز و جل أنه هو الذي أغواه (سبحان الله عما يقول) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦: ١٧]

ورغم كل ما مضى من أعمال إبليس الوقحة فهو يريد أن يدخل نفسه في رهان مع الله من جانب واحد (**أي من جانب إبليس**) ليثبت لله عز وجل أن الإنسان الذي كرمه رب العزة عليه وطلب منه السجود له لا يستحق كل هذا التكريم و لا يستحق هذه الجنة .

ومنذ ذلك اليوم وحتى قيام الساعة والشيطان يتفانى لإثبات ذلك لرب العزة وهو يظن أنه إذا حقق ذلك ربما يصفح عنه رب العزة ويدخله الجنة ، فالشيطان ليس غبيا فهو فقط يحلم بالتصالح مع ربه والصفح عنه

ودخول الجنة ، ولكنه نسي أن الله قد حكم عليه وعلى من تبعه بدخول جهنم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف:١٨]

وهناك من ينكر حقيقة وجود الشيطان ولمثل هؤلاء نتساءل:كم مرة دعتك وساوس في أعماقك إلى أن تزهق نفسك ؟ كم مرة هممت بأن تلحق بنفسك الأذى؟ ولنضرب مثلا لتوضيح ذلك فنفرض أنك تطل من نافذة مبنى عال ومرتفع جدا فتشعر بشيء من الدوار والفزع لذلك العلو فتتشبث بجوانب النافذة ولا تطل إلا بحذر شديد، ليس معنى هذا أن الغرفة قد مالت تحت قدمك بل إنك تفعل ذلك لأنك أحسست في أعماقك بقوة ما تدفعك لتلقي نفسك من خارج النافذة وهي تلح عليك في القفز منها فتتشبث أنت بالنجاة وتمسك جيدا بجوانب النافذة .

إنه الشيطان يحاول المضي بك إلى الهاوية، وعالم الشياطين كما يقره القرآن عالم عاقل مريد مكلف كما هو شأن بني الإنسان غير أن مادة خلقهم وخصائص هيئاتهم تختلف عما هو عليه البشر مما يتعذر على حواس الآدميين رؤيتهم أو الإحساس بهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٩]

العشا هو ضعف البصر الشديد عن الرؤية والمقصود في الآية هو ضعف البصيرة وأخطر ما في الاهتمام بوساوس الشيطان هو التسليم لها بأنها تعود إلى العواقب الحميدة بينما العكس هو الصحيح .

فكفر إبليس غير كفر الإنسان فإبليس كفر بالله وهو ماثل في الملأ الأعلى كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧] . أما

الإنسان فكفر بربه وهو من وراء حجب الغيب كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧] .

ويجب أن نكون على يقين بأن مستقبل الإنسان قد يختلف عن مستقبل إبليس، فإبليس ماض في الكفر دون تراجع ولكن الإنسان يجحد وربما يتوب ويرجع إلى رشده.

خصائص الشيطان:-

١- كفور لربه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٧]

٢- عدو مبين للبشر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه: ١١٧]

٣- يمتلك ظاهرة التخفي: فهو يرانا ولا نراه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

٤- يمتلك قدرة هائلة على الوسوسة لدرجة أن الإنسان يستعيذ بالله من وسوسته ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ٥ - ٦]

أهداف الشيطان :

١-التغرير بالآدميين وإضلالهم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[النساء: ١١٨ - ١٢٠]

٢- **الأمر بالسوء والفحشاء :**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٩]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[النور: ٢١]

٣- **الصد عن ذكر الله**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١]

٤- **الاستحواذ على الآدميين**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَٰنِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩]

٥- **خذل الإنسان وإذلاله**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]

ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة وهي الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة فيتلطف الشيطان حينئذ إلى

تلك النفوس المتحرجة ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها بسعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة (في ظلال القرآن المجلد الخامس ص ٣٤٣ للشيخ سيد قطب)

٦ - تغير الأسماء :

فالشيطان يقوم بتغيير الأسماء الغليظة المخيفة التي تقشعر منها الأبدان إلى أسماء رقيقة بسيطة لا تخيف حتى الأطفال فعندما تزني فتاة في مقتبل العمر وتخسر بكارتها وشرفها يوحي لها بأن ما فعلته من جرم اسمه الجديد هو (التجربة الأولى) في حياتها وأن الشاب الذي يخون صاحبه وصديق عمره يسمي ما فعله(طيش شباب) وهكذا... والسؤال الآن على من يملي الشيطان أوامره وعلى من سيكون سلطانه؟ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الحجر: ٤٢]

أما حدود سلطانه :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

وكما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحشر: ١٦]

مما سبق في هاتين الآيتين السابقتين يتضح لنا أن الشيطان يعرض فكرة الذنب على الضحية ويزينها له ولا يجبره عليها ثم يتبرأ منها بعد ذلك.

الأساليب الشيطانية :

للشيطان أساليبه الخاصة في السيطرة على أبناء آدم نذكر منها :-

١- الاغواء بشتى الطرق :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]

٢- التسول و الاملاء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [محمد: ٢٥]

التسول هو تزين الخطايا وتسهيل اقترافها بحصر ذهن الضحية في ضرورة ارتكاب الخطيئة على أساس أنها شيء مهم جدا لا يمكن التغاضي عنه وكون الذنب شيئا لذيذا جدا من المستحيل تفويته ، وعند موافقة الشخص الضحية اقتراف المعصية يلزم الشيطان الصمت التام ويدفع بالمغرر به لتنفيذ جريمته إلى نهايتها بكل التلذذ والاندفاع كالثور الهائج عندما يرى خرقة حمراء يلوح له بها لكنه لم يلاحظ السيف الذي ينتظر إغماده في قلبه ، ولكن لا حجة للعاصي فالمرء في كل أحواله لايعتبر فاقدا للزمام من يده فهو حتى لوكان في أوج الإقبال على المعصية يستطيع أن يتراجع ولوفي اللحظة الأخيرة إلى حيث يبقى طائعا لله تعالى هائبا مقامه خائفا من سخطه سبحانه وتعالى .

٣- التزين في الأرض :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠]

الشيطان يزين الأرض بالمناهج الكاذبة ويعلق الوصول إليها بالإعراض عن منهج الله ومن أمثلة التزين في الأرض تحبيب التسلط على الناس ظلما وبغير حق ولنأخذ مثلا لفرعون الذي طغى وتجبر وتسلط تسلطا أهوجا وزين له الشيطان سوء عمله بل زاد تزين الشر في نفسه حتى اقتنع في النهاية أنه يجب أن يكون الإله الأعلى ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]

٤- النسيان :

النسيان يحقق وضع الغفلة وأثناء الغفلة لا يفكر العاصي لا في حرام ولا في حلال ولا يتذكر إلا التمتع بالمعصية فيتم ارتكاب المعصية ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة: ١٩]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام ٦٨] .

٥- التخويف :

عدم الاكتراث وعدم الخوف نهائيا ظاهرة من ظواهر البله وهي ظاهرة مرضية أما الخوف بحدود فهو ظاهرة صحية بشرط ألا يزيد عن حده فيصبح ظاهرة مرضية فيفتح في نفس المؤمن مدخلا من مداخل الشيطان فالإنسان يخاف من النار ولكن لايجب أن يصاب بالفزع حينما يشعل عودا من الثقاب ليطهو طعاما أما الشيطان فيخيف الإنسان من كل شيء حتى تخور قواه ويصبح فريسة سهلة ويوحي له بذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

ومن الأمثلة الخوف من ركوب السيارات والطائرات والسفن وكذلك صعود المصاعد إلخ ... أما حل المشاكل السابقة سيأتي في الآية الآتية : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٦]

وأري في هذه الآية أمرين الأول هو ماورد في كتب التفسير عندما هدد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آلهتهم ستغضب عليه وتؤذيه بسبب إتباعه منهجا جديدا فأنزل الله قوله تعالى ألا يكفيك حماية الله لك حتى تخاف من شر هذه الأصنام التي لا حول لها ولا قوة ، أما الأمر الثاني الذي أجده في هذه الآية أن فيها متسعا على اعتبار أن القرآن منزل لكل إنسان يؤمن به في كل زمان ومكان وفيها يقول رب العزة ألا يكفيك أيها المؤمن خوفك من الله حتى تبحث لك عن خوف من شيء آخر؟ وهل يوجد من يخيف أكثر من الله؟ عليك ألا تخاف إلا الله ولا تخش أحدا آخر غير الله سبحانه وتعالى (والله أعلم).

٦- <u>التلويح بالفقر</u> :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

٧- <u>إيقاع العداوة و البغضاء</u> :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١]

في هذه الآية يحكي القران قصة قصيرة جدا لأناس شربوا الخمر ولعبوا الميسر فنسوا الله ولم ينتبهوا لصوت الآذان لأنهم كانوا يتشاجرون مع من يلعبون معهم الميسر فلم يصلوا (خسروا الدنيا و الآخرة) والله أعلم.

٨- **التحريض و الكيد :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥]

٩- **النجوى :**

قال (ﷺ) (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإن ذلك يحزنه) أخرجه مسلم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المجادلة: ١٠]

١٠- **الحيلولة دون الدعاء والتضرع لله :**

وهذا يمنع العبد من اللجوء إلى ربه وطلب حمايته في الأزمات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣] .

١١- **السحر :**

السحر بضاعة شيطانية يروجها الشيطان بين المتحللين كليا من التمسك بالمنهج الرباني قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] . وسنشرح ذلك في تفصيل مهم في رسالة للساحر في باب (رسائل إلي بعض أصحاب الكبائر)

١٢- **تهييج الكفرة :**

يجب على المؤمن تجنب كافر هائج فهو يشبه الشيطان في هياجه لآن الشيطان يدفع الكافر إلى الهياج دون أي سيطرة من الكافر على نفسه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم: ٨٣]

١٣- **المجادلة في الله :**

المجادلة في الله بغير علم من الأشياء المذمومة في القرآن ويجب التوقف عنها نهائيا . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٣ - ٤] .

١٤- **التبرؤ من المسؤولية :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال٤٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحشر: ١٦ - ١٧] .

١٥- **مريب :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ [ق:٢٣ -٢٦]

الريبة هي الشك فالشيطان يزرع في نفس المؤمن الشك والريبة في كل شيء وله طرق عديدة فهو يسوف له التوبة فإذا قرر المؤمن أن يتوب إلى الله وينتظم في الصلاة يطلب منه تأجيل ذلك على أن يبدأ الصلاة من يوم الجمعة فإذا جاءت الجمعة حثه أن يؤجلها للجمعة التالية متعللا بشغل أو اشتباه مرض فإذا صمم المؤمن على أن يصلي ولا يؤجل وسوس له وقال له لا عليك طالما أن النية الصادقة موجودة ،عليك أن تبدأ صلاتك في

مناسبة محترمة ولتكن هذه المناسبة هي أول رمضان المعظم فإذا ما صمم المؤمن أن يبدأ صلاته فورا ولم تنفع معه هذه الحيل حثه الشيطان أن يقوم فورا لأداء الصلاة فإذا ما بدا الوضوء شككه في صحة الوضوء وإذا ما انتهى المؤمن من وضوءه ودخل في الصلاة شككه في عدد ركعاتها إما بالزيادة أو النقصان حتى يصاب المؤمن بالغم والهم فيقنعه أن سبب همه وغمه هي الصلاة ويذكره بالأيام الخوالي وقت أن كان مرتاحا بدون صلاة فيقنعه بتجميع الصلوات تدريجيا فإذا ما ثقلت عليه نصحه بتركها نهائيا .

ويحضرني هنا قصة خاصة بي وأنا في الصف السادس الابتدائي حيث لاحظ أبي وأمي قضائي ساعات طوال في الحمام محاولا إكمال وضوئي وكلما أجبروني على الخروج من الحمام أعاود الدخول إليه من ورائهم بغرض إتمام الوضوء وسألني أبي ماذا تفعل في الحمام ؟ فقلت له أنني كلما توضأت شككت في صحة وضوئي وتهيأ لي خروج ريح بسيط من خلفي فنصحني وقال لي لا تهتم هذا من عمل الشيطان ولكني لم أنته وكنت أصاب كثيرا بالبرد بسبب بلل صدري وملابسي.فما كان من أبي إلا طلب مني أن أتوضأ أمامه ثم أخذ يضربني على بطني بكف يده حتى أخرجت ريحا له صوت ولما خرج مني هذا الصوت وسمعته بأذني أمرني بعدها بأداء الصلاة دون معاودة الوضوء فتعجبت كيف أصلي بدون وضوء! وتحت ضغط أبي أديت الصلاة .

بعد ذلك بفترة شاهدني أبي في الحمام أمارس وسوستي الشيطانية في عملية تكرار الوضوء فسألني لماذا تتوضأ كثيرا؟ فقلت له سبق وأن ذكرت لك أنني أشك في خروج ريح مني فزجرني بشدة وقال لي ألا تستح من نفسك ؟ لقد قمت بأداء الصلاة وأنت واثق من خروج ريح منك سمعته بأذنك وربما شممته بأنفك فهل تؤجل صلاتك لمجرد الشك في خروج ريح

غير متأكد منه ؟هذا شيء عجيب ..!! دعك من هذه الوساوس واذهب إلى الصلاة فتحت أي ظروف وتحت أي منطق ليس هناك أسوأ مما فعلت لقد سبق لك وأن صليت بدون وضوء وأنت متأكد من ذلك آلا تستح مما فعلت ؟ فلن يحدث لك أسوأ مما حدث ، فذهبت وصليت وكلما حدثني الشيطان بالشك في الوضوء أقول له لن يحدث لي أسوأ مما حدث وليس هناك أسوأ مما كان حتى انتهت مشكلتي تماما وأصبحت أتوضأ مرة واحدة ولا أعطى للوساوس بالا.

الإفلات من مكايد الشيطان :

للإفلات منْ مكايد الشيطان علينا أن نطبق نصائح غافر الزلات رب العالمين فهو خالقنا وهو أدرى بنا :-

١-عداء الشيطان من البداية :

يجب على الإنسان اتخاذ الشيطان عدوا من البداية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١١٧]

٢- عدم اتخاذ الشيطان وليا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء: ١١٩].

٣- عبادة الله وعدم عبادة الشيطان :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [يس: ٦٠ - ٦١] .

٤- عدم إتباع خطوات الشيطان :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨]

٥- عدم الافتتان بالشيطان :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٧]

٦- مداومة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨]

٧- طاعة الله ورسوله وتوخي الحذر :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَـٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المائدة: ٩٢]

٨- القول الحسن :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٌ وَفَرۡعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٥]

قال (ﷺ) (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) رواه الترمذي وقال (ﷺ) (ما كان الفحش في شيء إلا شانه وما كان الحياء في شيء إلا زانه) " رواه الترمذي " .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء ٥٣] .

٩ ــــ **البقين بالوعد الحق :**

الموت حق يجب أن يتيقن المؤمن أن الموت حق وأن البعث حق وأن الحساب حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الرسل حق وأن كل وعد وعده الله في القرآن أو اخبرنا بها رسوله وعد حق وأن كل وعد وسوس به الشيطان باطل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٦٨]

١٠ – **إرهاق الشيطان :**

السعيد من أشقى شيطانه بالتيقظ والحذر بالامتناع عن الشر وملازمة البغض الشديد للمعصية أما الشقي هو من أسعد شيطانه باللهو وعدم المبالاة والتطلع إلى كل جديد حتى و لو كان حراما .

* * *

رسائل الي بعض اصحاب الكبائر

أمضيت فترة من حياتي خلوت فيها إلى نفسي كثيرا فكنت أقضي معها أغلب اليوم في قصص وهمية تخيلية لم يسبق لي أن عشتها في الواقع أتجول معها في شتى بقاع الأرض وأقوم ببطولات أسطورية أو ربما مواقف حياتية ساخرة وبسبب ذلك كان من السهل عندما يقص علي أحد الأشخاص قصة خاصة حدثت له أن أقوم أنا ونفسي بعيشها مرة أخرى ولكن بإخراج فكري وأحلامي مختلف حتى تشبعت نفسي بالكثير من قصص الفجار و العصاة في التاريخ وفي الحياة المعاصرة وقرأت الكثير عن المتاجرين بدم ولحم البشر ومصاصي الدماء وكذلك السفاحين، فكنت أتخيل نفسي معهم في جرائمهم وأعيش جميع خطاياهم في أحلام اليقظة ، مرة أنتقم منهم وأخرى ألتمس لهم العذر فأبكي معهم عند موقف عاطفي حساس كرجل متدين تضطره الظروف القاسية للسرقة من أجل عملية جراحية خطرة في قلب ابنته الوحيدة فتموت ابنته ويظل يعاني في نفسه ذنب سرقته أو امرأة تسرق كعكة من محل كعك لتطعم ابنتها الجائعة فيمسك بها الخباز ويتم إيداعها في السجن والبنت مازالت جائعة، وقرأت كثيرا عن إقامة الحدود في القرآن والسنة وتدبرت قول رب العزة في القصاص عندما جعل لنا حياة سعيدة بتطبيق القصاص العادل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩]

أي عندما يشاهد الناس السارق وقد قطعت يده فلن يفكر أحد في السرقة وعندما يجتمع الناس لرجم زان فلن يفكر أحد مستقبلا في فعل جريمة الزنا ولو تم الإعلان مسبقا عن قطع يد السارق في ميدان عام ما امتدت يد سارق لسرقة مقدرات الناس وأرزاقهم حتى وإن لم يتم تطبيق

قطع اليد فعليا فالتهديد يكفي لمنع هذه الجريمة أو اقترافها ولعاش الناس في أمن وأمان مع أنفسهم وأموالهم .

كذلك لو تم قطع أو التهديد بقطع (على أضعف الإيمان) يد ورجل بلطجي واحد لأنقذنا عشرات الناس من القتل والإرهاب ولعاش ملايين البشر في راحة بال يأمنون على أولادهم في يومهم ومستقبلهم ، إن مجرد التهديد بتطبيق القصاص ليعالج الكثير من أمراض المجتمع السرطانية المتفشية في النفوس البشرية الخبيثة .

لكنك تجد الأغبياء والمتملقون ينتقدون ويقولون إن شكل المواطن مبتور اليد في المجتمع يمثل شكلا قبيحا ينافي القيم الإنسانية ولا يقبل به في الدول المتقدمة ،أما شكل الناس تلطم الخدود على ضياع مدخراتهم وأرزاقهم وقتل أولادهم بسبب أعمال البلطجة فهو شكل حضاري مدني رائع يستحق التقدير..!!

أنا لا أنادي بالتشدد الأعمى في تطبيق الأحكام فسيدنا عمر بن الخطاب لم يطبق حد السرقة على الجوعى في عام الرمادة عندما أصاب الناس القحط والجوع ولكني أطالب(غير مقتنع) بأضعف الإيمان وهو التهديد بتطبيق العقوبة

وحتى لا يتشدق المتشدقون ويتهموني بالتشدد في مطالبتي بتطبيق حدود إسلامية ينكرونها على غير المسلم فأقول لهم بيني وبينكم المجتمع والناس على اختلاف دياناتهم و مذاهبهم واتجاهاتهم المختلفة ونسألهم سؤلا واحدا : كي نقضي على سرقة مقدرات هذا الشعب واضطررنا لقطع يد سارق واحد وعلى أساس ذلك انعدمت ظاهرة السرقة وصلح حال باقي الناس جميعا هل ستوافقون ؟؟ هل إذا قتلنا أو نفينا أو قطعنا يد ورجل بلطجي واحد عاث في الأرض فسادا وعاش باقي الناس في أمن وأمان

فهل ستوافقون ؟؟ ، أقسم بالله سيوافق الأغلبية العظمى من جميع الفئات إن شاء الله تعالى .

هيا بنا نبحث ونرصد رد فعل المجرم تجاه كل كبيره من الكبائر وكذلك نتخيل رد فعل الناس عليها وعلى مرتكبها ، وقبل أن أصطحبك معي أخي القاري ء لزيارة مدينة الكبائر أريد أن أعطيك فكرة عن تعريف الكبائر ، فالكبائر هو ما نهى الله عنها في كتابه أو ذكرها الرسول في سنته وقد وعد الله من ينأى بنفسه عن فعل الكبائر أنه يكفر عنه سيئاته ويدخله الجنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٧] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢]

وروى مسلم والترمذي قال(ﷺ) (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).

وخلاصة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح أن التوبة واجبة مباشرة بعد اقتراف الذنب وأن تأخيرها مكروه لعدم ضمان الأجل فمن تاب إلى الله توبة خالصة نصوحا واجتمعت فيه شروط التوبة من الندم وعدم تكرار المعصية وأن يستحب أن يلقى به في النار على أن يعود لسابق معاصيه ما شاء الله يقبل الله منه توبته قال (ﷺ) " **اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله**

والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات " متفق عليه .

لكنك تفاجأ ببعض المشككين يقولون لك : أن الإنسان ليس بيده حيلة و أنه مسير و ليس مخير و أنه مدفوع لاقتراف الذنب المكتوب أصلا عليه فعله ، و هنا أقول لهم أن الإنسان مجبور في أشياء و مخير في أشياء آخري ولنضرب مثلا لذلك فالله خلق الأرض و خلق الإنسان و أجبر الإنسان علي العيش في الأرض لكنه سبحانه لم يجبره علي طريقة العيش فيها و تفاعله مع الحياة من فوقها .

ولنضرب مثلا آخر من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤]

ومن دراستنا لهذه الآية يظهر لنا أن الله سبحانه و تعالي خلق الشهوات وغرسها ثم زين حبها في قلوبنا وهذا ليس لنا يد فيه لكنه ترك لنا حرية اختيار طريقة الاستمتاع بهذه الشهوات إما بالحرام أو بالحلال و لم يجبرنا بإتباع طريق معين حيث ترك لنا حرية الاختيار بدليل قوله تعالي ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ ﴾ [هود: ١١٨] ، فلم يجبر الله الناس أن يكونوا أمة واحدة و لم يجبر الكافر علي الإيمان و ترك له حرية الاختيار بين الكفر و الأيمان .

و خلاصة القول : (أن الإنسان مخير فيما هو مسير فيه)

١- رسالة للمشرك بالله :

الشرك بالله هو أكبر الكبائر وهو نوعان النوع الأول أن يجعل الإنسان لله ندا يعبده معه من حجر أو شجر أو شمس أو قمر ، وفي عصرنا

هذا أن يعبد الشخص مع الله رئيسا أو مديرا أوزيرا يأتمر بأمره وينتهي بنهيه طاعة عمياء دون أن يرجع ما يأمره به رئيسه إلى الله ورسوله ليعرف مدى حلاله من حرامه فهي الطاعة العمياء لذو سلطان من دون الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة: ٧٢]

أما النوع الثاني من الشرك فهو الرياء بالأعمال :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

فمطلوب من المؤمن أن يكون عمله صادقا خالصا موجها من قلبه لرب العالمين قال رسول الله (ﷺ) "**رب صام ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر** " رواه ابن ماجه وأخرجه أحمد .

وخلاصة ما سبق أن الذي يعمل للرياء والسمعة ليس له من عمله إلا ما قاله الناس عليه إن خيرا فخير وإن شرا فشر أما عمله فلا يصل بعد ذلك لأنه غير موجه لله عز وجل ولكن أراد به صاحبه مظهرا من مظاهر الدنيا كرجل ينفق الملايين في بناء المساجد والمدارس والأعمال الخيرية من كفل اليتامى إلى غير ذلك من الأعمال لا يقصد من ورائها وجه الله ولكن يقصد الفوز في الانتخابات القادمة لمجلس الشعب فإذا ما نجح وفاز بالمقعد أخذ في تعويض أضعاف أضعاف ما أنفقه باستيلائه على مقدرات

الذين انتخبوه وأقعدوه على هذا المقعد قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]

إن الإنسان المؤمن في قلبه الواثق أن لهذا الكون خالقا يدبر أموره ويسير كواكبه، فيجري رياحه لينزل مطره أن شاء وقتما شاء فان أحس هذا الإنسان المؤمن في قرارة نفسه أن هناك من يراقبه ويعلم عنه كل صغيرة وكبيرة تختلج في خلجات نفسه ويعلم ماضيه ومستقبله ويعلم أن لهذا الرب منهجا وكتابا أنزله على رسوله يجب عليه إتباع أوامره والنهي عن نواهيه ، لوان هذا الإنسان تغافل وقتل إيمانه بالله داخل نفسه فلم يعد يخش الله فلا يأمر نفسه بخير ولا ينهاها عن فعل جرم وامتد ذلك ليشمل المجتمع كله كجرثومة خبيث امتدت عدواها في أجساد الناس فقضى على الإيمان في نفوسهم وقلوبهم ونتيجة ذلك عاش المجتمع مقتنعا أن ليس له إله كبير يدبر شؤونهم وأن على كل فرد أن يدبر شؤون نفسه بنفسه بعيدا عن شرع الله وعن منهج الله وعبد الجميع مصالحهم وهواهم وفعل كل منهم ما يريد فمن أراد أن يقتل قتل ومن أراد أن يسرق سرق ومن أراد أن يبطش بطش فلا رادع من دين أو شرع في أنفسهم ولا محاسب على أعمالهم وأصبح المسيطر على هذا المجتمع هو القوة الشيطانية والأنانية بما تجلبه معها من منفعة خاصة التي من أجلها يظلم القوي الضعيف ، ولو كان لهذا القوي ابنا ضعيفا ووقع تحت سيطرة رجل أقوى منه وأكثر ظلما ماذا يفعل وإلى من يشتكي ؟

ولوقا بل هذا الباطش باطشا أكبر منه وأراد أن يحمي نفسه وأهله من بطشه فبمن يخوفه ؟ فلا مفر أنه سيبحث له عن جبار أكبر منهما قوة يستعين به وبذلك يفلت زمام المجتمع وربما يتجه العقل للبحث عن قوي رحيم يتقوى به الضعفاء ضد الأقوياء ،و كلما بحثوا عن قوى وجدوا به عيبا وفي النهاية سيذهب بهم عقلهم للبحث عن الأقوى الذي لا يشوبه عيب

لأنه خالق السماوات والأرض صاحب الشمس والقمر خالقهم ورازقهم الله القوي العزيز، و تسطع (لا إله إلا الله) قوية تملأ مابين السماوات والأرض له الحكم وله الأمر يحي ويميت وهو على كل شيء قدير.

٢- **رسالة لقاتل النفس:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧٠]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨ – ٩]

روى احمد و الشيخان قال رسول الله (ﷺ) إذا التقي المسلمان فالقاتل و والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال لأنه كان حريصا على قتل صاحبه.

قال رسول الله (ﷺ) (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاما) أخرجه البخاري

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠] . ولكي لا تتكرر جريمة القتل مرة أخرى في بني إسرائيل كتب الله أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أنقذها لتعيش وتحيا فكأنما أحيا الناس جميعا وجاء الإسلام مؤيدا لهذه الفكرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤]

ولكننا سنتخيل أنفسنا نعيش في مجتمع يبيح لنفسه جريمة القتل ولا يحرمها فيستحل بذلك سفك الدماء ولكي نقترب من الصورة أكثر وتكون الفكرة أوضح هيا بنا ندخل بيت أحد السفاحين القتلة لنرصد ما يجري فيه .

استيقظ السفاح من نومه وتناول فطوره الحرام مع زوجته وفلذات كبده وهو يحتضنهم ثم جهز سلاحه وقبل أن يخرج سب الدين لأبيه وأمه ضاحكا فودعه أبناؤه وزوجته وهو يقول في نفسه توكلت عليك يا شيطاني ، قوني يا إبليسي بقوتك ،ويخرج يبتغي الرزق الحرام ، وعندما حانت الفرصة المناسبة وأثناء غفلة الضحية انقض عليها وقتلها واستولى على ما كانت تحمله من مال ورزق ، ولما كانت الغنيمة مجزية وكافية من وجهة نظره حمد شيطانه وأثنى على إبليسه فاشتاق لأهله ورجع ليقضي بقية يومه بين أحضان زوجته وأولاده وعند دخوله لبيته اشتم رائحة دخان ثم تعثرت قدماه في شي فنظر يستوضح الأمر فإذا به ينزلق علي الأرض في دم ابنه الصغير مذبوحا فدخل مجنونا لبقية غرف منزله فإذا بزوجته وبناته الكبار وقد ذبحن بعدما جردن من ملابسهن واعتدي عليهن وإذا مصوغاتهن سرقت من أيديهن فلطم خديه وامسك رأسه ينظر إلى أبنائه وزوجته وهم يسبحون في بحر من دمائهم .

هنا أراد أن يعرف السبب من يسال ؟ نعم يسال أبيه وأمه أين هما ؟بحث عنهما فوجدهما جثتين متفحمتين فصرخ بأعلى صوته مستغيثا ولا مغيث فاخذ يسال ماذا حدث فلم يجد أحدا يجيبه فقال : ماذا حدث يا ربي لقد ذهبت إلي عملي فأين كنت يا ربي عندما قتلوا أولادي ؟ لماذا تركتهم يقتلون أولادي ويحرقون أبي و أمي؟؟

نكتفي من قصتنا عنّد هذا الحد ونقول للسفاح : الآن علمت أن لك ربا وان لك إلها !! عند ما أمرك الله إلا تقتل الناس أمر جميع الناس ألا

يقتلوك وعندما أمرك الله ألا تؤذي أولاد الناس أمر جميع الناس ألا يؤذوا أولادك فمن المستفيد أكثر من الأمر الإلهي أنت أم الناس ؟؟

فيا أيها القاتل أنت واحد والناس مليارات ، أنت تملك يدين تقتل بهما و الناس يملكون مليارات الأيادي تستطيع أن تقتلك بهم ، فعندما حرم الله القتل علي الناس فالمستفيد الأول و الأخير هو أنت فعليك الآن يا من تفكر في القتل إلا تنفذ جريمتك لتحمي الناس من شرك وتحمي نفسك واهلك من شرور الناس .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣] .

٣- رسالة للساحر :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]

من قراءة وفهم الآية القرآنية السابقة يتضح لنا أن الشياطين عندما كفروا أخذوا يعلمون الناس السحر ولن يتعلم السحر منهم إلا كافر كفر مثلهم وخلاصة القول أن الساحر كافر و لأن الشياطين كفروا بالله فأصبح هدفهم هو الانتقام من مخلوقات الله من أبناء آدم الذي كرمه الله على أبيهم إبليس عندما أمره أن يسجد لآدم ، فأخذوا يعلمون بني آدم السحر والغريب أنهم يحذرون بني آدم من مغبة الكفر فيقولون إنما نحن فتنة فلا تكفر كمن

يقول لصائم اشرب الماء ولكن يجب عليك أن تحافظ على صيامك ،فيغرونهم بالسحر وإذا ما تعلم الإنسان السحر كفر وهذا هو هدفهم .

وللأسف فكثير من الناس يتعلمون السحر ويظنونه حراما فقط ولا يعرفون أنهم بذلك قد دخلوا بيت الكفر ثم أوصدوا بابه عليهم ويصبحون بعد ذلك قد نجحوا في عدم الإفلات من عذاب غافر الزلات.

وأنواع السحر كثيرة منها ما يفرق به بين المرء وزوجه ومن يؤثر على العواطف الإنسانية من حب وكره وخلافه، والذي يغير بدوره بعض أفكار وعادات المسحورين مما يجر على الأسر المؤمنة ويلات كثيرة مثل عمليات ربط الزوج عن زوجته والزوجة عن زوجها .

قال (ﷺ) (ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحرة) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ومن أعمال السحر الشائعة بين سواد الناس تعليق التمائم بغرض رد العين وبعض الرقى في شكل أحجبة في رقبة الأطفال والبهائم وكلها تعتبر من الشرك بالله ، فاعتقاد الشخص أن التميمة تنفعه وتمنع عنه ضر يصيبه من دون الله وذلك هو الشرك بعينه وفعل من أفعال الجاهلية لم يسبق أن أمر الله به نبي أو ولي .

و(**التوله**) بكسر التاء وفتح الواو نوع من أنواع السحر الذي يحبب الرجل في المرأة و المرأة في الرجل واعتقاد الرجل أنه بهذا السحر يستطيع أن يغير ما أراده الله في قلب المرأة تجاه هذا الرجل لهو الكفر بعينه .

و (**الرقية**) بكلمات السحرة الغير مفهومة وبغير ألفاظ اللغة العربية هي نوع من أنواع الكفر أما الرقية الشرعية بآيات القرآن الكريم وأسماء الله الحسنى الذي أمرنا الله أن ندعوه بها وأوصانا بها رسوله (ﷺ) فهي من الأمور المستحبة شرعا.

ولو تخيلنا مجتمعا ينتشر فيه السحرة فيقومون بسحر أعين الناس لتغير الحقائق فيشاهدون الحبال ثعابين والماء نارا والشيء الطيب خبيثا والشيء الخبيث طيبا فيزينون للناس الحرام ويبغضون لهم الحلال فيرى الرجل حليلته قردا ويرى حليلة جاره المحرمة عليه غزالا ،فماذا تنتظر من هذا المجتمع غير تفكك الأسر وتشرد الأطفال .

أرجو أن تعذرني أخي القارئ لأنه يصيبني اضطراب في نفسي كلما أردت أن أتكلم في موضوع السحر ولا أستطيع الكتابة بصورة جيدة في هذا الباب ربما لظروف نفسية خاصة بي عشتها وأنا طفل صغير فعندما كنت في الصف السادس الابتدائي ولم أكن قد بلغت الحلم جاءتني إحدى الجارات وكانت سيدة عجوز تطلبني في عمل خدمة لها فقد كانت زوجة ابنها على خلاف دائم مع ابنها وقد أتت بأحد السحرة لفك (عمل) صنعه أحد السحرة لابنها وزوجته فذهبت معها فوجدت عندها رجلا أسودا كان شكله قبيحا فأجلسني على كرسي بجانبه ووضع على رأسي منديلا كبيرا وطلب مني أن أغمض عيني وطمأنني بلطف بأنه لن يحدث لي مكروها وما سأفعله هو إنني عندما أغمض عيني سأروي له ما أشاهده بعقلي لأنني سأحلم أحلام يقظة وبتشجيع ممن كانوا حاضرين بأنني بطل وشجاع ولا يوجد من بينهم من يستطيع أن يقوم بهذا العمل غيري فالمطلوب هو طفل لم يبلغ الحلم يستطيع القراءة والكتابة ففعلت ما أمرني به الساحر فوضع يده على رأسي وقرأ كلمات عير مفهومة لا أذكر منها سوى كلمة الجن الأحمر ، وقال لي ماذا ترى أمامك وأنت مغمض العينين؟ فقلت له بعد أن ذهب الخوف عني أرى رجلا يرتدي بدله بيضاء نصف كم فقال لي اسأله أين يوجد (العمل) فسألت الرجل ذو البدلة البيضاء فأخذني تحت جدار وأخذ ينبش الأرض وأخرج حجابا فطلب مني الساحر أن أفتحه وأن أقرأ ما فيه فلم أجد في الورقة إلا حروفا بالحبر الأحمر

مبعثرة فذكرتها له فقام الرجل بقراءة تعاويذ خاصة وفك هذا العمل والغريب أنه عادت الزوجة لزوجها ولم يعد هناك أي مشاكل ، بعد ذلك اليوم رجعت إلى المنزل ولاحظت أمي أنني كلما دخلت في النوم أستيقظ لأصرخ وعندما سألتني عن السبب ذكرت لها أن الرجل أبو بدله بيضاء نصف كم الذي شاهدته وأنا مغمض العينين كان يأتيني في منامي ويأخذني معه إلى المقابر ويبدأ في نبش القبور أمام عيني فذكرت أمي ذلك لأبي الذي طلب مني سرد القصة عليه كاملة وحدثت مشكلة كبيرة بعد ذلك عندما أخذني أبي معه وذهب لمقابلة هذا الساحر ثم هدده بالضرب المبرح إذا لم يبعد رجله (ذو البدلة البيضاء)عني وقال له (اجعل عفريتك ينفعك) وتضخمت المشكلة بين أسرتي وبين هذا الساحر .

وكان لأبي عم من علماء الأزهر الشريف فلما علم بالموضوع ورغبة منه في تفادي المشاكل أراد التدخل لمنع حدوث مناوشات قد يقع فيها أبي بسبب عصبيته الشديدة ، ففضل مقابلة هذا الساحر ليقنعه بضرورة منعه لرجله صاحب البدلة البيضاء من زيارتي في منامي وازدادت حدة النقاشات وأخذ هو والساحر يتراشقان بالكلام فادعى الساحر أنه أكثر علما من عم والدي الرجل الأزهري وأنه يستطيع أن يفعل المعجزات،وتعهد الساحر بأنه سيمنع أبو بدله بيضاء من زيارتي في أحلامي بشرط أن يوافق والدي له على استعمالي لآخر مرة في إثبات أنه أكثر علما من عمه الأزهري وبين عدد كبير من الحضور وضع الساحر منديله على رأسي وطلب مني البحث عن الرجل أبو بدله بيضاء الذي أعرف شكله ثم طلب من عم والدي أن يأمرني بالذهاب إلى أي مكان خاص سبق وأن ذهب إليه عم والدي لأصفه له فطلب مني الشيخ الأزهري الذهاب إلى مكان معين سماه لي بأرض الحجاز في المملكة العربية السعودية سبق وأن زاره أثناء قيامه بتأدية مناسك الحج إلى بيت الله الحرام

فطلبت من أبو بدله بيضاء اصطحابي معه للذهاب إلى المكان المطلوب فذهبنا وقمت بوصف المكان وصفا دقيقا اندهش له الشيخ الأزهري عم والدي وإذا بالرجل الساحر وقد اشتد صوته وكأنه يتكلم بالحق ويصيح بعصبية شديدة ويأمرني مباشرة أن أطلب من رفيقي أبو بدله بيضاء الذهاب إلى منزل عم والدي فذهبت وقلت له إن (ستي الحاجة) زوجته تجلس على السرير وتقوم بخياطة الناموسية فطلب مني الساحر أن أشد الإبرة من يدها وأضعها في مكان بعيد عنها ثم طلب مني دخول المطبخ فدخلت فقال لي صف نوع الطعام الذي تشاهده فقلت له أنني أشاهد حلة كبيرة ممتلئة بالبامية المطبوخة فأمرني أن أسكب ما في الحلة من بامية على أرضية المطبخ فقمت بسكبها، بعدها طلب الساحر من الجميع التوجه إلى منزل عم والدي فذهبنا جميعا فإذا بزوجته حائرة تبحث عن إبرة الخياطة خوفا من أن تؤذي أحدا فلا تجدها فذهبت وأحضرتها لها من المكان الذي سبق وأن وضعتها فيه ودخلنا المطبخ فإذا بالبامية مسكوبة على أرضية المطبخ وادعت زوجة عم أبي أن قطة كبيرة دخلت المنزل واتجهت نحو المطبخ وربما هي من سكب البامية.

خلال هذه الفترة التي زار فيها الساحر بلدتنا قامت مشاكل لا حصر لها بين الأهالي وبعضهم البعض فكلما أصاب أحد الأهالي مكروه ادعى أن جاره عمل له عملا وكلما حدثت حالة طلاق أو فسخ خطوبة أرجعوا سببها إلى قيام بعضهم بتحريض هذا الساحر إلى أن حدثت الطامة الكبرى وهي عندما استعان الساحر بطفل آخر غيري في منطقه بعيدة عن بيتنا وطلب من هذا الطفل الذهاب مع الرجل أبو بدله بيضاء إلى أحد المنازل للبحث عن (عمل) وطلب من الطفل أن يصف كل شيء يشاهده في المنزل وبسذاجة ذكر الطفل أنه يشاهد أحد الرجال الذين يعرفهم من المنطقة يداعب سيدة المنزل والأدهى انه يخرج ثديها ويعبث به ويضربها

عليه و هي تضحك وكان زوج هذه السيدة سيئة الحظ حاضرا في المجلس فقامت قيامة الرجل ولم تقعد ويمكنك أن تتخيل عزيزي القارئ ما يمكن حدوثه بين زوج السيدة وغريمه المزعوم فاجتمع العقلاء من أهل البلد وخطب الشيوخ في الناس بأن هذا عمل من عمل الشيطان يفرق به بين المرء و زوجه فقاموا بطرد هذا الرجل من بلدتنا وأثناء خروج هذا الساحر أمر قالبين من الطوب الأحمر فتعاركا ونزف الدم منهما على مرأى ومسمع من الأهالي، ثم علمنا بعد ذلك أن هذا الرجل وجد مقتولا في محافظة مجاورة.

هذا ما شاهدته بأم عيني عن السحر وكنت يومها في الثانية عشر من عمري أفهم وأعي جيدا ولي خبرة لا بأس بها في الحياة ولك الحق يا أخي القارئ أن تصدقني أو تشك في كلامي فلا تصدقني ، وبقي أن أروي لك شيئا مهما أنني وأقسم بالله العظيم سمعت وشاهدت هذا الرجل وهو يسب الدين لله وينظر إلى السماء ويتطاول بأبشع الألفاظ علي رب العالمين لكنه لم يجرؤ أن يفعل ذلك أمام أبي وعمه الشيخ الأزهري خوفا من أن يدهسوه بأحذيتهم فقد كانا رحمهما الله شديدي التدين . لقول الله سبحانه وتعالى ولقول رسوله (ﷺ) ثم بحكايتي لك أخي القارئ هل تشك الآن أن الساحر كافر...؟

أعوذ بالله من السحر والكفر .

٤- رسالة إلى تارك الصلاة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾

[مريم: ٥٩ – ٦٠]

قال ابن عباس ليس معنى أضاعوا الصلاة تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٥]

أي الذين يتعاملون مع صلاتهم بالتغافل والاستهانة والاستهتار .

قال ﷺ (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) رواه أحمد وابن داود وقال ﷺ (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة) رواه احمد ومسلم وأبي دواد قال رسول الله (ﷺ) :(من فاتته صلاة العصر حبط عمله) رواه البخاري، قال (ﷺ) (من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) رواه ابن ماجه والبيهقي ، قال (ﷺ) (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) متفق عليه ، قال رسول الله ﷺ (من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي ابن خلف) رواه أحمد بإسناد جيد، قال بعض العلماء إنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما ينشغل عن الصلاة بغير الله ، فحشر مع قارون إذا انشغل بماله وحشر مع فرعون إذا انشغل بملكه وحشر مع هامان إذا انشغل بوزارته وحشر مع أبي ابن خلف تاجر الكفار بمكة إذا انشغل بتجارته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤ ﴾ [التوبة: ٢٤]

وروى الإمام أحمد عن معاذ ابن جبل قال : (ﷺ) (من ترك صلاه مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله عز وجل)

القول في أهمية الصلاة كثير جدا من آيات وأحاديث وأقوال العلماء ولكني في النهاية أذكر حديث رسول الله ﷺ : (**لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيئا؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيء، فقال رسول الله (ﷺ) فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**) رواه البخاري فالصلاة خمس مرات هي غسيل روحي وجسدي للجسم والبدن خمس مرات ، تخيل أن لك طلبا عند رجل فتذهب إليه خمس مرات يوميا تستعطفه وتترجاه أن يلبي لك طلبك ألا يلبيه لك في النهاية ؟؟ لو أن متسولا ألح عليك بشدة أن تعطيه مما أعطاك الله وزاد إلحاحه في المسألة فماذا ستفعل معه .؟؟.. ستعطيه حتما ، فما بالك بالله الكريم العاطي الوهاب فالله يعطي العبد اللحوح في طلب العفو والمغفرة بإذنه تعالى .

ولنضرب مثلا دنيويا آخر والمثل الأعلى لله لو أن مسئولا رفيعا أو وزيرا سمح لك بمقابلته خمس مرات في اليوم ليلبي لك طلباتك هل كنت ستتهاون في الذهاب لمقابلته ؟؟ فما بالك بالله يفتح بابه على مصراعيه في أي وقت وفي أي مكان ليقابلك وقتما تشاء أنت وحيثما كنت أنت الذي تبدأ المقابلة وأنت الذي تنهيها فأي كرم تتمناه أكثر من ذلك ؟؟إن ملك ملوك السماوات والأرض يسمح لك بمقابلته فلماذا تجحد عطاء ربك ونعمة خالقك ؟ أما في عقوبة تارك الصلاة في جماعة مع القدرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[القلم: ٤٢ - ٤٣]

وذلك يوم القيامة يغشاهم الذل والحسرة والندامة حينما لا يستطيعون السجود في الآخرة بينما كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله فيرفضون وفي صحيح مسلم أن رجلا أعمي أتى النبي ﷺ وقال ليس لي قائد يقودني

إلى المسجد وسأل النبي (ﷺ) أن يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم .. قال : فأجب فهذا رجل ضرير ولا يجد من يقوده إلى المسجد ورغم ذلك لم يرخص له الرسول في صلاة الفرض في بيته وترك الجماعة ، سئل ابن عباس ﷺ عن رجل يصوم النهار ولا يصلي في جماعة فقال إن مات على هذا فهو في النار ، رواه الترمذي وروى ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله (ﷺ) (من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من إتباعه عذر، قيل : وما العذر يا رسول الله : قال خوف أو مرض ، لم تقبل منه الصلاة التي صلى (في بيته).

يجب أن يكون اعتناء المسلم لحضور العشاء والفجر أشد فإن النبي (ﷺ) قال(إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين (العشاء والفجر) ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا) رواه البخاري ومسلم .

وأخيرا أخي القارئ أطلب منك أن تبحث في ذاكرتك عن أي شخص في شارعك أو في قريتك أو في مدينتك تعرفه جيدا كانت قبلته المسجد عند كل صلاة ذهابا وإيابا يصلي فروض ربه في جماعه ، تذكر حياته جيدا منذ وعيت عليه حتى مماته ستجد أنه كان مهذبا وعاش محترما ، له كل التقدير من أهله وجيرانه وأهل بلدته ، إرجع إلى الوراء وتذكر يوم موته وشكل جنازته وعدد من حضر فيها فيتضح لك أنه مات محترما ومازال الناس يذكرون له الذكريات الجميلة والأغرب من ذلك أن أبناءه عاشوا من بعده يحترمهم الناس ويقدرونهم لأنهم كانوا أبناء رجل طيب مصلي محترم قضى معظم حياته في المسجد وبعض أمثاله ربما قابل ربه وصعدت روحه إلى بارئها وهو يصلي داخل مسجده ، إنها بركة الله ينزلها لتشمل المصلين وأبناءهم وأحبائهم من بعدهم .

جعلنا الله من المداومين على صلاته ووهبنا نعمة الموت طاهرين ونحن ساجدين إن شاء الله آمـــيـــن .

٥- رسالة إلى مانع الزكاة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

البخل في هذه الآية مقصود به مانع الزكاة فلا يعتقد الذين يبخلون عن إيتاء الزكاة هو خير لهم بل هو شر لهم لأن ما بخلوا به سيصبح طوقا من نار ملفوفا حول رقابهم يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾[فصلت: ٦ – ٧]

عدم إيتاء الزكاة من صفات المشركين فلا تمنع الزكاة أخي المؤمن حتى لا تكن منهم .

قال (ﷺ) (أول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله وفقير فخور) رواه ابن حبان في صحيحه و روى ابن عباس رضي الله عنهما وعزاه ابن كثير في تفسيره إلى الترمذي قال : (من كان له مال يبلغه حج بيت لله تعالى ولم يحج أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت فقال له رجل :اتق الله يا ابن عباس ..فإنما يسأل الرجعة الكفار فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآنا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله (ﷺ) : " من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم

القيامة فيأخذ بلهزمتيه (أي بشدقيه) فيقول : أنا مالك ..أنا كنزك " ثم تلي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

وعن ابن مسعود ﷺ في قوله تعالى في مانعي الزكاة ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [التوبة : ٣٥] رواه الطبراني في الكبير قال لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته وقد خصت الجباه والجنوب والظهور بالكي بالنار لأن الغني البخيل إذا رأى الفقير عبس في وجهه فضاق مابين عينيه وأعرض بجنبه فإذا قرب من الفقير ولى بظهره فكان عقابه بكي هذه الأعضاء والأماكن على ما يفعله بها تجاه المحتاج قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] .التقوى وإيتاء الزكاة مع الإيمان بالله هم من موجبات رحمة ربك قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) ﴾ [التوبة: ١٠٣]

يأمر الله رسوله (ﷺ) أن يأخذ من أتباعه من المؤمنين صدقة معينة كالزكاة أو غير معينة كصدقة التطوع تطهرهم بها من الذنوب وتنمي في نفوسهم فعل الخيرات وأن يدعو الرسول (ﷺ) لهم بما ينفعهم ، فدعاؤه تسكن به نفوسهم وتطمئن به قلوبهم (التفسير الميسر للشيخ سيد طنطاوي قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة: ١١١] . **لاحظ أن النفس والمال ثمنهم الجنة .**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن
صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ
وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ
عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن
لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ
مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ
وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ
وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن
تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم
بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن
يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ
(٢٦٩) وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنصَارٍ (٢٧٠) إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) ۞ لَّيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا

تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١ ـ ٢٧٤] .

أرجو منك أخي القارئ أن تقرأ هذه الآيات السابقة من سورة البقرة مرات عديدة بتمعن وفهم فهي لا تحتاج مني إلى شرح بقدر ما تحتاج منا جميعا لفهم وهضم واستخلاص العبر منها ، كما أرجو منك ملاحظة روعة وتسلسل وسرد الآيات من كتاب الله ، حقا كتاب أحكمت آياته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٨]

قيل في تفسير جمع فأوعى لمن جمع ماله في وعاء ولم ينفق حق الله في هذا المال فكان جزاؤه هو ما في الآيات السابقة من نار لظى (اسم من أسماء جهنم) نزاعة للشوى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [لقمان: ١ ـ ٤] .

هذه الآيات تبين من هم المحسنين الذين يستحقون الهدى والرحمة ، فالمحسنون هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وبالآخرة هم يوقنون ويصدقون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٥ ـ ١٧] .

هذا تحدير من رب العالمين للذين امنوا بأن المال فتنة يفتتن به المؤمن فيشغله عن طاعة ربه وأداء حق الله فيه لذلك يجب على المؤمن أن يخرج زكاة ماله وينفق فهذا خير له ومن يستطيع ان يحمي نفسه من شحها فهو من المفلحين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل٥ – ١٠] . وهذه السورة أيضا لا تحتاج إلى تعليق فقط تحتاج منك إلى قراءة هادئة ومتروية ليمكنك استيعاب كل ما فيها من نصائح .

وبعد كل ما سبق ذكره عن أهمية الزكاة هل مازلت تفضل كنز المال الذي ستكتوي به يا من لا تخرج زكاتك يوم القيامة، هل تفضل المال على جنة عرضها السماوات والأرض ؟

لا بد أن تقتنع تماما أيها المسلم أن زكاتك لا تعتبر إهدرا لمالك بل زيادة وبركة فيه وفي صحتك وصحة أولادك ويجب عليك أن تعلم أن الله عندما ابتلى غيرك بالفقر ابتلاك بالغنى فعليك أن تؤدي حق الله في مالك كي تستطيع الإفلات من عذاب غافر الزلات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الانبياء: ٣٥]

وأخيرا لا تنس أخي المؤمن أن الزكاة ركن أساسي يرتكز عليه دينك وإن لم تقمه فلا يقام لك دين وأطلب منك أن تأتيني برجل يخرج زكاة ماله ويتصدق على الفقراء والمحتاجين وينفق ماله في الأعمال الخيرية وبناء المساجد وكفالة اليتيم وقد أفقره الله أو سلب منه ماله .. من المستحيل أن نجد رجلا ينفق في الخير ولا يبارك الله له في ماله بل سنجد حياته كلها بركة بفضل إخراجه للزكاة .

٦- رسالة إلى كل زان وزانية :

قال رسول الله (ﷺ) (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن) رواه البخاري

قال(ﷺ) (إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع إليه الإيمان) رواه أبو داود والترمذي .

في الحديثين السابقين يتبين لنا أن الزاني لا يزني وهو مؤمن حيث ينتفي عنه الإيمان أو بمعنى آخر يخرج منه الإيمان فكيف ذلك ؟؟ فالزاني ربما يطلب من الله الستر عليه أثناء قيامه بالذنب وقد يستطيع النطق بالشهادتين أثناء إقباله على القيام بالذنب فكيف تنتفي عنه صفة الإيمان ؟ لذلك سأوضح لك أخي القارئ :

نعم تستطيع جوارح الزاني أن تنطق بالشهادتين وأن تذكر الله تعالى لكن صاحب الجوارح ليس في قلبه ساعتها ذرة إيمان واحدة لأن الجوارح تعمل تحت سلطة قلب ونفس المذنب ووهبه الله قدرة السيطرة عليها، ودعني أثبت لك ذلك ،وقبل أن أخوض معك في الإثبات أسألك أن تعرف لي الإيمان ؟..الإيمان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك أينما كنت وحيثما كنت بالليل أو النهار بل كان معك وقتما كنت نطفة في بطن أمك والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل .

فحينما كنت تزني أيها الزاني هل كنت مستحضرا عظمة الله في قلبك ؟ هل كنت تخاف من جبروته ؟هل تخيلت نفسك واقفا في حضرة الله وملائكته ورسول الله شاهدا عليك ؟ هل تخيلت عذاب النار ؟هل لو تخيلت ذلك ساعة قيامك بالجريمة كنت ستفعل ذلك ؟ الإجابة : هو أنك لم تتخيل ذلك ولم تستحضر عظمة الله في قلبك ولم يكن في نفسك ذرة خوف من

ناره ، فقط كان ذكرك له بلسانك لأن لسانك يعمل تحت سلطتك ولا تنس أن الله هو الذي أعطاك هذه السلطة ولم تستح وطلبت منه الستر عليك أثناء فعل الجريمة وهذا ليس إيمانا منك به ولكن استهزاء منك بربك والآن أعيد عليك سؤالي هل مازلت مصرا أنك كنت ساعتها مؤمنا بالله ؟ لو قلت نعم لسألتك لماذا إذا قمت بجريمتك وربك ينظر إليك ولماذا لم تتوقف فورا؟ ألم تخش عقاب ربك ألم تخش عذابه ؟ لقد قمت بجريمتك لأن وقتها لم يكن بك ذرة احترام أو تقدير أو إيمان لربك ولم يتحمل الإيمان بالله أن يسكن نفسا كريهة فانفلت منك إيمانك.

والسؤال المهم : لماذا حرم الله الزنا ؟ يقول البعض أن الله حرم الزنا لمنع اختلاط الأنساب ، وأقول لهم إن كان السبب ذلك فلماذا يمنعون العقيم والعقيمة من ممارسة الزنا طالما أنهما لن ينجبا ؟ وبالتالي لن يحدث اختلاط أنساب،ويقول البعض الآخر إنما حرم الله الزنا لمنع انتقال العدوى بالأمراض الخطيرة كالإيدز والزهري والسيلان وغيرها بين بني البشر وأقول لهم إنه باستعمال العازل الطبي فلن يكون هناك سبب لمنع الممارسات الجنسية المحرمة طالما يستخدم فيها العازل الطبي حيث تنعدم تماما فرصة العدوى وانتقال الأمراض .

ويقول الآخرون أن الغيرة سبب في منع الزنا ، فالرجل يمكن أن يفقد حياته رخيصة بسبب غيرته للدفاع عن شرفه المتمثل في ابنته أو زوجته أو أمه أو إحدى قريباته من النساء فلو شاهد أحدا يتحرش بهن قاتله حتى الموت ونرد على أصحاب هذا القول ونقول لهم إن لم يكن الرجل صاحب العرض موجودا وكان الوقت والمكان مؤمنين فما المانع حينئذ من استباحة فعل هذه الجريمة ؟ وحتى لأ أطيل عليك أخي القارئ أقول لك إن الله سبحانه وتعالى حرم مجرد النظر إلى المحرمات قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ [النور: ٣٠ – ٣١]

فيا أخي القارئ إن الزنا حرام بل إن مقدمات الزنا حرام لأن الله حرمه ووصفه بأنه فاحشة ونهايته سيئة في الدنيا والآخرة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) ﴾ [الإسراء: ٣٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧١]

قال رسول الله (ﷺ) : " **ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له** " رواه أحمد والطبراني .

أحاديث رسول الله (ﷺ) عن التخويف من ارتكاب جريمة الزنا كبيرة ومرعبة فلو كنت أخي المؤمن من الذين سبق لهم ارتكاب كبيرة الزنا عليك با لإقلاع فورا والتوبة وعدم العودة نهائيا لمثل هذه الجريمة القذرة التي ما سلكها شخص إلا ابتلاه الله بالفقر والمرض وما عليك إلا أن تلتزم طريق ربكَ .. إيك واندم على خطيئتك فعندما يتوب العبد توبة

صادقة ربما قبل الله توبته بل بدل الله سيئاته حسنات انظر الآيات السابقة من ٦٨ : ٧٠ الفرقان لاحظ فيها أن الذي لم يتب حتى الآن لا يمكن اعتباره مؤمنا ولو مات على ما هو عليه من الزنا فليس بمؤمن .

أتاني أحد الشباب وذكر لي أنه يعلم جيدا مدى خطورة جريمة الزنا في الدنيا والآخرة وهو لم يفكر نهائيا بالوقوع في هذه الجريمة ولكنه يستعيض بذلك بمشاهدة الأفلام الجنسية فلا يوجد نص قرآني ولا نص نبوي يمنع الإنسان من مشاهدة الأفلام الثقافية.

فقلت له أن مجرد تغير اسم هذه الأفلام من أفلام جنسية قذرة إلى أفلام ثقافية هو مجرد تبسيط لذنب وتهوين لمعصية كي تقبلها النفس ويرحب بها الضمير وسأذكر لك أمرين في هذا الموضع .

ما رأيك لو أحضرت جهاز فيديو وتلفازا في خيالك ودعوت مجموعة من الصالحين ليشاهدوا معك خيبتك الثقيلة فهل سيقبلون ذلك؟ وعندما رفضوا وقرروا الخروج من الغرفة ففوجئت بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يدخل عليك من الباب وبيده الدرة هل سيقبل عمر بن الخطاب ذلك ؟ ماذا تظنه فاعلا بك؟ ... هل خفت من عمر ؟... ألا تستح ؟ فالله أولى أن تخشاه.

أخرج من كابوسك هذا واسمع رب العزة لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

فيا أخي ما تشاهده هو عملية الزنا وأنت عليها من الشاهدين فانئ بنفسك عن هذه الشهادة يوم يطلبك الله شاهدا على هؤلاء الزناة واصبر فربما يجعل الله لك من بعد عسر يسرا وتهنئ نفسك بزواج طاهر مبارك على سنة الله ورسوله .

٧- رسالة إلى قاذف المحصنات :

المحصنة هي المرأة المسلمة الحرة العفيفة عن الفواحش والزنا ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن قذفها بالزنا أو الفاحشة طالما لا يوجد لدى قاذفها أربعة شهود على واقعة الزنا أو الفاحشة التي يزعم من يرميها بها أنه شاهدها ترتكبها ومن رحمة ربنا سبحانه وتعالى أنه حدد الشهود بأربعة فربما التبس الأمر على الشاهد الأول فلن يلتبس على الشاهد الثاني وإن التبس الأمر على الشاهد الثاني فمن الصعب أن يلتبس على الشاهد الثالث وتنعدم فرصة الالتباس بصورة طبيعية عند الشاهد الرابع ، فكثرة الشهود على قدر ما هي تؤكد الحدث فهي تزيل احتمال الشك فيه وهذا من رحمة ربك .

في الصحيحين قال رسول الله (ﷺ) : " **اجتنبوا السبع الموبقات** " وذكر منها قذف المحصنات المؤمنات .

والقذف هو ما يصدر من رجل أو امرأة ضد رجل أو امرأة بالقول أو الإشارة مما يفهم عنه أنها زانية أو قحبة إلى آخر ذلك من المسميات البذيئة التي يرفضها الإسلام .

وثبت في الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال : " **من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** " وفي سورة النور قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤]

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النور: ٦ – ٩]

وفي الصحيحين قال رسول الله (ﷺ) : " **إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب** " ، فقال له معاذ بن جبل يا رسول الله : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ﷺ : " **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟** " .

وقال ﷺ : " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** " رواه البخاري .

وروى أبو داود والترمذي أن عقبة ابن عامر قال : يا رسول الله ما النجاة ؟؟ قال : " **أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وإن أبعد الناس إلى الله القلب القاسي** " .

قال رسول الله (ﷺ) : " **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء** " رواه الترمذي .

وهناك طرق جديدة مستحدثة في قذف المحصنات الغافلات يستعملها المنافقون في هذا الزمان ، هذه الطرق ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، وغضب الله على مستعملها ولنضرب مثلا برجل أراد أن يخطب لابنه زوجة فذهب يسأل عنها جارها الذي يكرهها ليس لأنها صنعت فيه مكروها ولكنه يكره أهلها حقدا منه عليهم ، فعندما يقوم والد العريس بسؤال هذا الشخص عن تصرفات وأخلاق هذه الفتاة فيرد عليه المسئول قائلا له : صلى على النبي ، فيكرر عليه السؤال مرة أخرى فيرد عليه : صلي على من يشفع فيك يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ، فيرد السائل : اللهم صلي وسلم عليك يا سيدي يا رسول الله ، إنني أسألك عن أخلاق الفتاة ؟ فيرد الرجل : إن كان لا تعجبك الصلاة على سيدنا رسول الله فوحد الله ... قل لا إله إلا الله ، فيرد السائل لا إله إلا الله محمد رسول

الله، ولكني أسألك يا أخي عن أخلاق الفتاة التي أرغب تزويجها لابني فيرد المسئول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] .

ليوحي لسائله أنه متدين خبير بآيات القرآن الكريم ثم يستأذن منه للحاق بصلاة الجماعة في المسجد دون إجابة شافية .

فيرتاب الرجل السائل ويفهم من كلام الرجل الذي تركه وذهب للصلاة أن هذه البنت سيئة الأخلاق أو ربما فاجرة ويجب الابتعاد عنها وأخلاق المسئول تمنعه أن يذكر ذلك للسائل ولكن السائل يريد أن يستوضح الأمر أكثر كي يطمئن قلبه ، فيلحق بالرجل ويجذبه من طوق جلبابه ويعيد عليه السؤال بصورة أوضح : بربك حدثني عن هذه الفتاة هل سمعت عنها شيئا ؟ إن ابني يحبها ويرغبها زوجا له فيرد الرجل: أتركني ..ربنا أمرنا بالستر، فيعود السائل أدراجه ويلغي فكرة زواج ابنه وربما حكى لابنه ما فهمه من الرجل قاذف المؤمنات الغافلات عن الفتاة بما هو ليس فيها ، وقد تكون هذه الفتاة هي المؤمنة الصالحة المناسبة كزوجة لابنه ولكن الرجل المنافق رماها بأبشع الصفات حينما أطلق لعقل السائل العنان في تخيل ماهي عليه(المقذوفة) بالفاحشة وهي منها براء ،فقد استخدم المسئول الصلاة والسلام على رسول الله مع آيات من القرآن الكريم ، استخدم قول الحق ليريد به الباطل .

أي ظلم وأي قبح وأي بذاءة أكثر من هذا الذي حدث ...؟؟ ، لذلك أنزل الله في مثل هؤلاء المنافقين قرآنا يتلى إلى يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣ – ٢٤]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤] .

لدي الكثير مما يجب أن أكتبه عن قذف المؤمنات الغافلات ولكن نفسي تفور كلما أمسكت قلمي لأكتب المزيد وقبل أن أختم كلامي أحب أن أتحدث عن أشهر مؤمنتين تم قذفهن على طوال التاريخ الإنساني الأولى هي السيدة مريم العذراء قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٢] .

ومع ذلك طعنها اليهود في شرفها والثانية هي أمي وأمك وأم المؤمنين راوية أحاديث رسول الله عائشة بنت أبي بكر حليلة رسول الله (ﷺ) المبرأة من فوق سبع سماوات فقيهة النساء ومفتيتهن . قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور: ١١ ـ ١٢]

فالذي يرمي هاتين المرآتين الطاهرتين بالإثم أو البهتان هو منكر للقرآن الكريم وبما جاء فيه عن هاتين الطاهرتين والدين منه براء.

* * *

مذنبون في القرآن نجحوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات

١- آدم أبو البشر عليه السلام :

خلق الله آدم من طين الأرض ثم نفخ فيه من روحه فسرت نسمات الحياة في جسده وأصبح بشرا يأكل ويسمع ويرى ويحس ويتذوق .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٠ – ٣٤]

ثم أمر ملائكته ومن بينهم إبليس بالسجود له تكريما وتعظيما لخليفة الله القادم لتعمير أرضه فسجد الملائكة احتراما لأمر ربهم وتعظيما لخلقه الجديد بعدما اعترفوا بفضله وعلمه الذي علمه الله وعلموا أنه أرفع منهم مقاما وأقرب إلى الله مكانا (انظر أخي المسلم إلى عطاء الله لك عندما جعل الملائكة تسجد لك وأنت ذرة في ظهر أبيك آدم تكريما من الله لك ..ألا تستح من نفسك عندما تعصاه وقد أمر الملائكة أن تسجد لك احتراما وتقديرا!!) أما إبليس فرفض السجود لآدم حقدا منه عليه فطرده الله من رحمته بناء على هذا التصرف من مخلوق تجاه خالقه؟؟ ثم خلق الله حواء من أجل آدم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٥ – ٣٨]

نسي آدم ما وهبه رب العزة من نعمة الحياة والوجود من عدم وما علمه من علم الأسماء ثم أمره للملائكة بالسجود له تعظيما وتكريما له ولذريته من بعده وبسببه قام بطرد إبليس من رحمته عندما رفض السجود له وطاعة أمر ربه ونسي آدم كذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق له زوجة لتؤنسه في وحدته ، نسي أدم كل هذا عندما وسوس له الشيطان كي يأكل من الشجرة فأكل منها هو وزوجته رغم أن الله وعدهما أنهما في هذه الجنة سيذوقان كل أسباب النعيم ولكن آدم وزوجته عندما أكلا من الشجرة ظهرت لهما سوءاتهما قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: ١٢١ – ١٢٣]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣] ولما علم آدم وتيقن أنه أخطأ في حق ربه ندم وتوسل إلى الله طلبا للمغفرة قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧]

وبذلك كان آدم هو أول من نجح في الإفلات من عذاب غافر الزلات.

تعليق بسيط : كنت أظن أن قصة آدم وبدايات الخلق قصة عادية ولم استلهم منها العبرَ ، أما الآن فقد فهمت الكثير عنها، وسألني أحد الإخوة سؤالا: طالما أن الله قرر من البداية خلق آدم في الأرض فلماذا أدخله الجنة بعدما حدث بينه وبين الملائكة وإبليس من أحداث ، وما الهدف من حدوث هذه الأحداث أصلا ؟؟

الإجابة : خلق الله آدم و علمه الأسماء والعلوم كلها لكنه لم يدربه ليكون لديه الخبرة الكافية في الحياة ، فحدث لآدم ما حدث كي يتعلم آدم الدروس الآتية :-

١- يجب علي ادم أن يعلم أنه بعلمه الذي علمه الله وبطاعته المختارة لله استحق أن تسجد له الملائكة احتراما .

٢- أن إبليس (طاووس الملائكة) إنما رفعه إلي هذه المرتبة العالية هي طاعته المختارة لله وأن ما حط به إلي درجة الطرد من رحمة ربه هو عصيانه لله فكان يجب على أدم أن يتعلم أن الطاعة ترفع إلي اعلي الدرجات وأن المعصية تهبط بمقترفيها إلي ادني الدركات ، لكن آدم لم يتعلم الدرس وسمع كلام إبليس حيث وسوس له وأكل هو وزوجته من الشجرة.

٣- ذاق آدم مرارة السلب بعد العطاء عندما أذاقه الله حلاوة العيش في الجنة (عطاء) ثم أذاقه مرارة الطرد منها (سلب)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود: ٩] .

وحتى لا يصل الأمر بآدم (قليل الخبرة) لحالة اليـأس والكفـر علمه ربه كيف يتوب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧]

٢- أخوة يوسف عليه السلام :

استيقظ الطفل الجميل يوسف من نومه على رؤيا غريبة فذهب إلى أبيه نبي الله يعقوب يقصها عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾ [يوسف: ٤ – ٥]

ففرح أبوه يعقوب وقال له إنها بشرى سارة ، سيكون لك مستقبلا عظيما إنها بركة الله الممنوحة والممتدة علينا من آبائك إبراهيم وإسحاق ولكني أنصحك ألا تقصص رؤياك على إخوتك حتى لا يغارون منك وتتغير معاملتهم لك وربما فكروا في إيذائك حسدا وغيظا من عند أنفسهم وعند ذلك لا تستطع أن تأمن مكرهم ولا تستطيع أن تأمن مكر الشيطان في تصرفاتهم معك ، وكان يوسف وأخوه بنيامين يحتلان في نفس أبيهما يعقوب مكانة خاصة من الحب والعطف والحنان لصغر سنهما وحاجتهما للرعاية والحنان وحاول مررا إخفاء هذه المشاعر عن بقية أبناءه لكنه كان يخطئ بعض الأحيان ويلاحظ بقية أبناؤه حبه ليوسف وأخيه بنيامين فقال إخوة يوسف لبعضهم البعض .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن

تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ
ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي
غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ
يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ
أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ
لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يوسف: ٨ – ١٨]

في النهاية رجع إخوة يوسف بغير يوسف باكين منتحبين أخاهم الذي أكله الذئب افتراء منهم على الذئب وحدث ليوسف ما حدث حتى وكل له الملك مسؤولية الخزانة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا
لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف: ٥٥ – ٥٧]

ونحب أن نحيط علم سيادتك أخي القارئ أن بطل قصتنا هذه هم أخوة يوسف ، فلما اشتد القحط والجوع جاءوا طلبا للطعام .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾
وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ
ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [يوسف٥٨-٦٠] .

فلما أحضروا أخاهم وجهزهم يوسف بجهازهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ
لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن

وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [يوسف:٧٠-٧٧]

وهنا زاد أخوة يوسف الطين بله عندما ذكروا يوسف: بسوء واتهموه بسرقة قديمة أمام بصره وسمعه وهنا تظهر معاناة إخوة يوسف فأصبحوا بين نارين الأولى نار خوفهم على أبيهم يعقوب عندما يسمع بالخبر خاصة وأنه رفض في البداية إرسال أخيهم بنيامين معهم قبل أن يعاهدوه على سلامته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [يوسف: ٦٦]

أما النار الأخرى التي لا يدرون بها فهي نار أخيهم المتهم من قبلهم بالسرقة ، ولما ذهب خبر بنيامين إلى أبيهم يعقوب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يوسف: ٨٤]
أما الآن فاسمح لي أخي وحبيبي قارئ كتابي هذا أن آخذك في استراحة قصيرة بعيدا عن قصة إخوة يوسف لنتدبر سويا الآية السابقة لما تحتويه من وصف وفوائد ربما تحتاجها في حياتك ، فالآية ٨٤ من سورة يوسف تصف حال مريض العين ولم يسبق لي أن لاحظت في القرآن أن الله سبحانه تعالى تحدث عن مرض في القرآن مثلما أنزل في كتابه عن مرض العين وأوجز ملاحظاتي في النقاط الآتية :-

١- وتولي عنهم : أي أن سيدنا يعقوب بسبب حزنه الشديد لم يعد يحب مجالسة أبنائه أو أي أحد وقرر العزلة مع نفسه .

٢- وقال يا أسفي على يوسف: أي أخذ يندب حظه السيئ مع نفسه على فقدان ابنه الحبيب يوسف وكأن حادثة ابنه الثاني بنيامين فتحت جرحا كبيرا غائرا مليئا بالقيح والصديد في صدر ونفس يعقوب فهاجت ذكرياته الأليمة .

٣- وابيضت عيناه من الحزن: نتيجة عزلته الشديدة بعدما قرر أن يتولى ويعتزل أبناءه والناس أجمعين وكثرة اجتراره وتذكره المستمر لفقدان يوسف وبنيامين ابيضت عيناه من كثرة البكاء وأصابها العطب ففقدت لونها الطبيعي وأصبحت بيضاء فأصبح لا يرى .

٤- فهو كظيم : أصبح يعقوب كاظما لغيظه بداخله فضعف جهازه المناعي فأصبح يدمر خلاياه السليمة ويحولها إلى خلايا مرضية عاطبة عن العمل وربما عانى من ارتفاع في ضغط الدم فكل هذه عوامل تؤدي إلى تلف العين . وبناء على كل ما سبق فإن كنت يا أخي القاريء تعاني مثلي من أمراض العيون فأنا أقدم لك بعض النصائح الهامة عن مرض العيون ونصائحي هذه هي عكس ما ورد في الآية ٨٤ من سورة يوسف :

١- وتولى عنهم :عليك يا أخي المسلم ألا تنأى بنفسك عن الناس إذا أصابتك نازلة من نوازل الدهر أو عندما يصيبك هم وأن لا تعتزلهم فالعيش في جماعة يساعد على النسيان ويخفف الكروب ومن رأى مصيبة غيره من البشر ربما هانت عليه مصائبه جميعها.

٢- وقال يا أسفي على يوسف : لا تداوم أخي المسلم على ندب حظك العاثر دائما وأن تقبل إرادة الله فيك فما أصابك ما كان ليخطئك وما أخطأك ماكان ليصيبك وما كان لك لم يكن لغيرك .

٣- وابيضت عيناه من الحزن : فكثرة الحزن وشدته قد تؤدي إلى أمراض مثل ارتفاع الضغط والبول السكري وهي بدورها تؤدي إلى

تغيرات مرضية في شبكية العين وإذا استمر الحال على ما هو عليه فالنتيجة النهائية هي العمى التام ولا يوجد لدي حبيبي القارىء قميصا ليوسف حتى ألقيه عليك أو القيه علي عيني

٤- فهو كظيم : لا تكظم غيظك يا أخي إذا زاد عن حد تحملك قم وتوضأ وصل ثم أخرج وتحدث مع أناس آخرين فربما خففوا عنك همك بما قسمه الله لك .

وأرجع بك إلى إخوة يوسف ، فلما زاد الهم والغم عليهم وأصبح الحزن جبالا لا يتحملها هؤلاء المخطؤن في حق أبيهم ثم في حق أخيهم يوسف اليوم وسابقا وصل بهم الحال إلى الذل فرق قلب يوسف لإخوته بعدما اعترفوا له بذنبهم في حقه وحق أبيهم وطلبوا منه أن يستغفر لهم الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يوسف: ٨٨ – ٩٣]

وهنا نستطيع أن نقول أن إخوة يوسف في النهاية نجحوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات واسمح لي مرة أخرى أخي القارئ بوقفة صغيرة نتأمل الآية رقم ٩٠ من سورة يوسف ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف: ٩٠] .

تأمل هذه الآية لنعرف سويا أنه ليس بالصبر وحده ينجو الإنسان ؛ فلابد أن يسبق الصبر تقوى أي خوف ورهبة من الله ولكي تكتمل الفكرة في ذهنك أذكرك بقصة قابيل وهابيل التي ذكرناها في باب مذنبون فشلوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة: ٢٧]

لاحظ أخي القارئ هذه المعادلة الرياضة الإيمانية :

تقوي + صبر = إحسان

_ جعلنا الله من المحسنين(المتقين الصابرين) _

٣- الثلاثة الذين خلفوا :

بينما الحر شديد يكتوي به الحجر قبل الشجر والناس تبحث عن ظل شجرة أو ظل جدار أثناء ذهابهم وإيابهم لتسير أمور حياتهم اليومية مع ازدياد وتيرةِ الفقر والحاجة ، إذا برسول الله (ﷺ) يدعوهم للاستعداد لجهاد الروم بعدما جاءته أخبار استعدادهم للانقضاض على بيضة الإسلام وهي ما تزال في مهدها ، أعلن رسول الله (ﷺ) ولأول مرة اسم أعدائه كي يعرف المسلمون أنهم ذاهبون لحرب شرسة شديدة الوطيس وقوم لهم الخبرة الكبيرة في الحرب ويمتلكون العدة والعتاد فيجب على كل مسلم أن يبذل كل ما في وسعه ولا يألو جهدا فالحرب القادمة لا هوادة فيها إما أن نكون أولا نكون ، والكل يعلم أن الحرب بقدر ما تحتاجه من عدة وعتاد قد يملك عدوهم منه الكثير إلا أنها تحتاج إلى الإيمان والرغبة في النصر أو الشهادة لنصره دين الله وهو ما لا يملكه عدوهم ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٠ – ١٢١] .

وما إن سمع المنافقون وذو النفوس الضعيفة لكلمة الجهاد إلا وأصابهم الرعب من النفقة وحتى التضحية بالنفس والأهل ، أما المؤمنون فما ادخروا جهدا في التجهيز للغزو وامتلأت الصحراء بالمجاهدين بأموالهم وأنفسهم مبتهجين مهللين ومكبرين آملين النصر على أعدائهم كيفما كانوا وأينما كانوا إلا أربعة من المؤمنين الميسورين فلم يشاهدهم أحد بين صفوف المجاهدين وهم :-

١- أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف .

٢- كعب ابن بني مالك أخو بني سلمة .

٣- مرارة ابن الربيع أخو بني عمرو بن عوف .

٤- هلال بن مرة أخو بني واقف .

أما أبو خيثمة فقد ذهب إلى أهله في يوم شديد الحر فوجد امرأتيه في مخدعيهما داخل بستانه وقد بردت كل واحدة مخدعها وأعدت أطيب طعامها وأحلى وأبرد شرابها تحت ظل ظليل ونسيم عليل وكل واحدة تنتظر إشارة من يده لتقدم له كل أصناف السعادة التي يحتاجها رجل من حليلته ، فنظر إليهما وأخاله يستمع إلى صوت ضميره الذي استيقظ فجأة يقول له: رسول الله (ﷺ) الذي غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر

يشق لهيب الصحراء ومعه المؤمنون بما تيسر لهم من زاد قليل وأنت يا أبو خيثمة تجلس في بستانك بين امرأتيك تأكل لحما طريا وتشرب شرابا باردا ولا تعلم ما يحدث لرسولك ولا لأصحابه ؟ ربما هلكوا من العطش وقلة الماء والزاد فما كان عليه إلا أن امتطى دابته وأخذ زاده وسيفه وركض بحثا عن رسول الله وأصحابه وبإيثاره مصلحة دينه الباقي على مصلحة دنياه الفانية نجح أبو خيثمة في الوقت الضائع في الإفلات من عذاب ضميره وربما نجح كذلك في الإفلات من عذاب غافر الزلات ، أما الثلاثة الباقون كعب ومرارة وهلال فوقعوا فريسة للتردد بين النفير في شدة الحر و الرمض وبين وساوس شيطانهم فظلوا عدة أيام تاهت خلالها معالم الطريق إلى الجهاد وباعدت الأيام المسافة الأرضية والنفسية بينهم وبين جيش المسلمين فلم يجدوا للحاق بهم سبيلا وعاشوا أياما سوداء يسيرون في شوارع المدينة فلا يجدون فيها إلا عاجزا أو منافقا تخلف عن الجهاد أما هم فقد أجلسهم شيطانهم والآن تؤنبهم وساوس شيطانهم وضمائرهم على تخلفهم عن جيش المسلمين

ولكن هذا قرارهم و هذا قدرهم فليواجهوا الموقف بشجاعة قلما وجدت في هذه الظروف وكلما قرب موعد عودة جيش المسلمين إلا وتمنى كل واحد منهم أن يأخذه الموت أو تنشق الأرض من تحته وتبتلعه قبل مجيء ذلك اليوم ، فكثر همهم وزاد حزنهم وندر نومهم وقضت مضاجعهم فبماذا يعتذرون للرسول (ﷺ) وللمجاهدين معه وهم في سعة من العيش وموفور من الصحة ؟

رجع الرسول (ﷺ) إلى المدينة ودخل المسجد وجاءه المعتذرون يدلون بأعذارهم فأوكل على الله ما تكنه ضمائرهم وسرائرهم وبايعهم قَالَ

تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [التوبة: ٩٠] .

ثم أقبل كعب يتردد في مشيته وعندما واجه الرسول نظر إليه الرسول (ﷺ) وقال له: ما خلفك يا كعب ؟؟ فقال كعب والله ما كان لي عذر في التخلف عنك يا رسول الله ولا كان من هو أصح ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال له رسول الله : قم يا كعب حتى يقضي الله فيك قضاءه ، وجاء من بعده مرارة ثم جاء هلال فاعترفا كما اعترف كعب فقال لهما رسول الله مثلما قال لكعب : فليقضي الله فيكما أمره أما النبي (ﷺ) فقد نهى المسلمين عن كلامهم أو التعامل معهم أو الاختلاط بهم فعاش الثلاثة الذين خلفوا أياما نارها أحمى من حر يوم تخلفهم عن جيش المسلمين للجهاد خلف رسوله، ولقوا من جفوة رسولهم ما لقوه من عذاب أنفسهم ووجدوا من بقية الناس في المدينة ما وجدوه من احتقار وخصام وعدم كلام وعدم تعامل وما كان من مرارة ابن الربيع وهلال ابن مرة إلا أن اعتزلا الناس ومكث كل منهما في بيته يبكي وينتحب حظه العاثر وفعلته الشنعاء .

أما كعب فقد كان شابا يخرج إلى الأسواق ويمشى بالطرقات ويشهد الصلاة لكنه لا يكلمه أحد ولا يعامله احد ، وإذا هو يسير يوما في طرقات المدينة حتى جاءه رجل من أنباط أهل الشام من الذين يأتون المدينة لبيع الطعام للناس ففرح أن وجد رجلا يسأل عنه ويكلمه ويا سوء ما سمع ويا عار ما تسلم فقد سلمه النبطي كتابا من ملك غسان ملفوفا في حرير بغرض التمويه ففتحه فإذا به : أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولن يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك ،فلما قرأ هذه الرسالة بكى بكاء مريرا وانتحب نحيبا شديدا وهو يقول في نفسه : لقد

هان كعب وانحط قدره فأصبح ممن يطمع الناس في دينه بل ويريدون تنصره !! وكان قد مضى أربعين يوما ولم يقض الله فيهم أمرا فأمر رسول الله ﷺ بالتفريق بينهم وبين زوجاتهم حتى يقضي الله أمره فيهم فأرسل إليهم : بأن اعتزلوا نساءكم فذهبت امرأة هلال إلى النبي (ﷺ) فقالت يا رسول الله إن هلالا شيخ وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه فقال : لا أكره ولكن لا يقربك قالت والله ما به من حركة إلى أي شيء وإنه مازال يبكي وينتحب منذ ذلك اليوم .

أما كعب فلما أمره رسول الله أن يعتزل امرأته قال : أطلقها أم ماذا أفعل ؟؟ قال رسول الله : بل اعتزلها ولا تقربها فقام وسرحها إلى دار أهلها .

ظل المخلفون الثلاثة يعيشون أسود أيامهم وقد تم عزلهم من قبل المجتمع حتى انقضت عليهم خمسون ليلة وما إن صلى بعدها رسول الله (ﷺ) صلاة الصبح حتى غشاه الوحي فأقبل على صحبه متهلل الوجه وقال لهم إن الله قبل توبة كعب ومرارة وهلال فاذهبوا إليهم وهنئوهم فأسرع المؤمنون إليهم مهنئين ومهللين ووافي البشير كعبا فنزع له ثوبيه وذهب كعب إلى النبي في المسجد فقال له رسول الله : أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم أقبل هلال وأقبل مرارة فهنأهما وتلا عليهم جميعا قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ [التوبة: ١١٨] .

لقد تاب الله على كعب وهلال ومرارة ، لقد نجحوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات اللهم تب علينا كما تبت على كعب وهلال ومرارة.

أما الآن فاسمح لي أخي القارئ أن أسألك وأسأل نفسي .. كم مرة تقاعست فيها عن جهاد لله في نفسك مثلما تقاعس كعب وهلال ومرارة ؟ كم تقاعست في جهادك ضد نفسك لإقامة ركن من أركان الإسلام حينما أديت صلاة الظهر في منزلك بجوار جهاز التكييف ولم تذهب للصلاة في المسجد بحجة الحر الشديد أنسيت أن رسول الله نفر بجنوده في الحر لقتال الروم ؟كم منعك البرد الشديد في الشارع ودفعك دفيء المدفأة على التقاعس عن صلاة الفجر لا في البيت ولا في المسجد؟ كم تعمدت التغافل عن حساب زكاة أموالك (إن كنت تخرجها أصلا) ، كم تعللت بمشقة أو ظاهر مرض ولم تكمل ركن إسلامك الخامس وإلى الآن لم تحج ؟ أما ماطيب خاطرك فهو التسويف الدائم كل عام بالحج في العام القادم كما لو كان العام القادم(الذي لن يأتي) هو من سيؤدي الفريضة عنك.

لقد عاني الثلاثة المخلفون الويل لتقاعسهم مرة واحدة عن أداء فريضة الجهاد، فما بالك وقد تقاعست آلاف المرات عن تأدية الفرائض وتخاذلت عن نصرة ضعيف أو إطعام يتيم أو كسوة عار، هل تنتظر أن ينزل الله فيك قرآنا؟؟ فالوحي قد توقف منذ وفاة الرسول (ﷺ) أتحب أن يعتزلك الناس؟ ويتم التفريق بينك وبين زوجتك والمجتمع من حولك؟ وسؤالي الأخير لك : أتحب أن تكون من الذين فشلوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات ؟؟

٤- موسى عليه السلام :

بلغ موسى أشده و استوي عوده وأنزل الله في قلبه ونفسه ما أنزل من الحكمة والعلم ووهبه قوة الجسم والعقل فالتف حوله المستضعفون يستنصرون به وتعلقت عيونهم به فهو الذي نشأ وتربى في قصر فرعون ووهبه الله قوة البنيان من بعد ما كان في التابوت طفلا رضيعا ضعيفا لا

يقوى على شئ ووهبه الله الثبات والعزة فقد نشأ وترعـرع فـي قصـر فرعون ملك مصر .

فتجمع حوله المستضعفون من قومه العبرانيين الذين سبق وأن أتوا إلى مصر مع قوم سيدنا يوسف وكان الفراعنة من المصـرين يعـاملونهم كمواطنين من الدرجة الثانية ،يسومونهم سـوء العـذاب ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٤٩]

فأخذ موسى عهدا على نفسه أن يكون نصيرا للضعفاء المظلومين المقهورين من حوله وهو يشاهدهم يقومون للفراعنة المصرين بأحط الأعمال وأحقرها فثارت في نفسه ثورات ضد الظلم والقهر والاضطهاد، وبينما هو يسير ذات يوم إذا به يجد رجلين يقتتلان أحدهما عبري من شيعته والآخر مصري فرعوني فنظر موسى إلى الموقف فإذا به يجد حربا غير متكافئة بين الظلم والجبروت والكبرياء ممثلا في الرجل الفرعوني وبين الضعف والذلة و الاستكانة ممثلا في الرجل العبري فثار الدم في عروقه انتصارا لابن جلدته العبري فهب لإنقاذه معتقدا أن الفرعوني هو الظالم لأنه ينتمي إلى القوم الظالمين وأن العبري مظلوم لأنه ينتمي إلى القوم المظلومين وأثناء محاولة موسى فك الاشتباك بين الفرعوني والعبري ، وكز موسى الفرعوني وكزة فقتله ،وما لبث أن ندم موسى وطلب العفو والمغفرة من الله قابل التوب وغافر الذنب .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى

فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القصص: ١٥ – ١٧] .

والدروس المستفادة من هذه القصة :-

١- ليس معنى أن رجلا يقتتل من قوم ظالمين أنه ظالم مثلهم وليس معنى أن رجلا يقتتل ينتمي إلى قوم مظلومين أنه مظلوم مثلهم فيجب تحري الدقة لأن لكل قاعدة شواذ .

٢- موسى بعدما تسرع وقتل الفرعوني باندفاعه الشديد دون أن يتحرى الحقيقة شعر مباشرة بخطئه فاعترف به وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي ﴾ فغفر له ، فلما غفر له ربه ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القصص: ١٧]

لذلك يجب على المذنب كي يتوب أن يندم أولا على ذنبه ثم يعترف به بينه وبين ربه ثم يعاهد الله ألا يعود لمثل هذا الذنب مرة أخرى فقد تعهد موسى أمام ربه أنه لن يكون ظهيرا للمجرمين لذلك أفلح سيدنا موسى في الإفلات من عذاب غافر الزلات.

٥- داود عليه السلام :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ

إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢١ – ٢٦]

ادعت الكثير من الإسرائيليات كذبا و افتراء أن سيدنا داود كان جالسا في محرابه محيطا بقصره الجنود والحراس من كل جانب ففوجئ برجلين يجلسان بين يديه وكانا في الحقيقة ملكين في صورة رجلين ليسا من أهل مدينته فأصابه الفزع منهما فقالا : لا تخف.. نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بينا بالحق ولا تظلم .

قال أحدهما : إن هذا الر جل هو أخي يمتلك تسعا وتسعين نعجة ولا أمتلك أنا سوى نعجة واحدة فطلب مني ضم نعجتي الوحيدة إلى نعاجه التسع والتسعين كي يكتمل بها العدد مائة وألح في الطلب وضغط علي في الأمر فجئنا لك لتحكم بيننا ، فغضب داود وقال للذي سأله: إن أخيك قد طغى وظلمك عندما طلب منك نعجتك ليضمها إلى نعاجه وهذا ظلم لا يجب أن يكون فقال الرجل لداود : أخي لم يخطئ بل أخطأت أنت يا داود فأنت لك تسعا وتسعون امرأة ولم يكن للشاب (أوريا) إلا زوجة واحدة وقد غاب عنها طويلا بسبب جهاده في سبيل الله فإذا بك تذهب تطلبها من أهلها لتصير لك زوجة من بعده ولم ترع لهذا الجندي حقا ولم ترع له بالا.

و لدحض هذه الرواية الإسرائيلية الكاذبة و المنتشرة بين الكثير من قراء المسلمين نوجز الأتي :-

١ – أن القصة لا تتعدى ما حدث فعلا من قيام أخوين بالاختصام لدى سيدنا داود و طلب الحكم العادل منه تجاههما .

٢ – لم يكن الرجلان ملكين كما زعمت الرواية الإسرائيلية فلو كانا ملكين ما الذي دفعهما لتسور المحراب ؟

٣ – لم يرسل الله نبيه داود ليعلم الرجال كيفية جمع أكبر عدد من النساء و لم يسبق لنا أن سمعنا بفحل من عالم الحيوانات أو الطيور أو الحشرات جمع حوله مائة من الإناث فكيف يسمح سيدنا داود لنفسه أن يحتفظ بمائة من النساء...؟ وهل يبقي له من الجهد و الوقت ما يتيح له نشر دين الله بعد ذلك بين البشر...؟

٤ – اللوم و العتاب جاء من رب العالمين لسيدنا داود لسببين :

السبب الأول : أن داود ظن ظنا خاطئا أن الرجلين ملكان و أن الله وضعه موضع فتنة (ابتلاء و اختبار) و ما كان له الحق في هذا الظن الخاطئ .

السبب الثاني : أن داود بمجرد استماعه لأحد أطراف الخصام يقوم بعرض شكواه قام بالحكم مباشرة في القضية بقوله ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ و اتبع هواه في هذا الحكم قبل أن يستمع و ينصت إلي الطرف الآخر كي يكون حكمه حكما عادلا فربما كان الطرف الآخر علي حق .

ولم يظن داود أبدا أن اللوم والعتاب سيأتيه من فوق سبع سماوات فاسترجع واستغفر ربه وخر راكعا طالبا منه الصفح والمغفرة .

أما ملاحظتي على هذه القصة هو تعقيب رب العزة في الآية :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦] حينما وجه رب العزة الكلام لسيدنا داود عندما ذكره أنه جعله خليفة له في الأرض لنشر منهجه منهج الحق والعدل بين الناس فكان يجب على داود أن يحكم بين الناس بالحق وألا يتبع هواه لأن منهج رب العالمين يجب أن يسود الهوى وليس العكس فلو ساد الهوى

منهج الله لغيره وأفسده ولن يصبح منهجا صالحا لأنه أفرغ المنهج من مضمونه الأساسي وهو الحكم بالعدل فعلى الإنسان أن لا يتبع هواه وأن يكون منهجه هو منهج ربه دون تبديل أو تحريف وأخيرا نجح داود عندما عدل منهجه ليتفق مع منهج ربه العادل في الإفلات من عذاب غافر الزلات

٦- يونس عليه السلام :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: ٩٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩ – ١٤٨]

يونس (ذو النون – صاحب الحوت) :

لم يفلح نبي الله يونس عليه السلام في إقناع قومه بترك ما يعبدون من أصنام ويؤمنون بالله خالقهم ورازقهم فقد أهدر معهم وقته وجهده بلا أي فائدة أو شعاع أمل يوحي له بأن أحدهم قد نفذ نور الإيمان إلى قلبه فضاق بهم ذرعا وضاقت نفسه وفكر كثيرا وخلص أن الله سبحانه وتعالى لن يضيق الأمر عليه أكثر مما ضيقه عليه قومه من صدهم عن الذكر

وعبادة الواحد الحي قيوم السماوات والأرض ، (فظن أن لن نقدر عليه : أي ظن يونس أن الله لن يضيق عليه أكثر من ذلك) .

أصاب الإحباط والفشل يونس عليه السلام ، فظن أنه إذا ترك هذه الأرض وهؤلاء الناس ربما يفتح الله عليه ويفرج كربه فمن يدر ربما رزقه الله بقوم يستمعون إليه ويؤمنون برسالته في مكان آخر ونسي أن الله أرسله لهؤلاء الناس خاصة ، فأخذ يونس قراره من تلقاء نفسه دون إذن من ربه بذلك ، فخرج مغادرا قريته ومتوجها صوب البحر ، فركب السفينة برفقة اثنين كانا فيها فاشتد الموج بهم جميعا وظن ر اكبوا السفينة الثلاثة أنه لا مفر من إنقاذ السفينة إلا أن يلقي أحد الثلاثة بنفسه في البحر فقاموا فاستهموا (أي قاموا بإجراء قرعة) فجاء السهم من نصيب يونس فعز على رفاقه الاثنين في المركب أن يكون ضيفهم الرجل الطيب يونس هو من يلقى به في الأمواج العاتية فآثروه على أنفسهم وأعادوا القرعة مرتين أخرتين فجاء السهم من نصيب يونس فأدرك يونس أن هناك حكمة إلهية من وراء ذلك فأسرع وألقى بنفسه بين أمواج البحر الهائجة إنقاذا لزميليه في السفينة فالتقمه الحوت وأمر الله الحوت أن يحتفظ في بطنه بنبي الله يونس دون أذى ، فوجد يونس نفسه في ظلام دامس ففكر وتذكر انه أخطأ حينما تعجل الخروج من أرض قومه دون إذن من ربه له بالخروج فاعترف بذنبه وهو في ظلمات بطن الحوت فاستغاث مناديا ربه : أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب له ربه ونجاه من الغم ثم أوحى ربك إلى الحوت أن يلفظ يونس من بطنه إلى العراء فنبذه الحوت مريضا سقيما ضعيفا فأنبت له شجرة من يقطين و اليقطين : نبات ليس له ساق يشبه البطيخ والشمام والقرع العسلي وثماره تحتوي على كميات هائلة من السوائل قد تكون سكرية أحيانا ، فأكل منها يونس وروى ظمأه ثم رجع إلى قومه ففوجئ بهم وقد آمنوا بالله و ذلك بعدما تركهم يونس ورأوا

نذر عذاب ربهم واقع بهم لا محالة فعلموا أن قول يونس حق وأن دعوته حق فتابوا و توجهوا إلي الله أملين أن يرفع بأسه عنهم و إلا ينزل بهم عذابه بعد خروج نبي الله يونس من أرضهم وكانوا مئة ألف أو يزيدون بذلك نجح يونس وقومه بفضل الله في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

ملحوظة هامة جدا :

سألني سائل لماذا يقول الله سبحانه وتعالى في الآية رقم ١٤٧من سورة الصافات (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) هل الله لا يعلم الرقم بالضبط وإذا كان الله لا يعلم الرقم فمن يعلمه إذن ولماذا ذكر الله عدد المؤمنين مع يونس فقط من دون بقية الأنبياء الذين تم ذكرهم في القرآن الكريم علي مدار التاريخ الإنساني و الإسلامي كله و ما قيمة و أهمية ذكر العدد في هذه القصة بالذات ؟؟؟

الإجابة : لمعالجة الإحباط الذي أصاب يونس بعدما خرج من قريته وركب السفينة وغرق فالتقمه الحوت ثم لفظه على الشاطئ فقال الله ليونس مبشرا إياه بأن الذين امنوا من قومه حتى هذه الساعة هم مئة ألف وأن العدد قابل للزيادة تشجيعا ليونس للرجوع إلي قريته و من ثم معاودة نشر الإسلام و الاستمرار في دعوته إلى الله حيث سبق وأن ترك قومه يائسا من إيمانهم ، فلو كان الله سبحانه قد قال ليونس أن عدد الذين امنوا بالله من قومه(مئة ألف) وسكت ، ما دخل الإيمان قلب واحد منهم بعد ذلك و لا كان هناك داع لعودة يونس ولكنه سبحانه لم يغلق باب الإيمان على المزيد من قوم يونس كما سبق وأن أغلقه على المزيد من قوم نوح من قبل عندما قال الله لنوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، بل قال ليونس أن الرقم قابل للزيادة ، فربما يؤمن آخرون من بقية القوم أو

جاء مسافرون فعلموا بما حدث فدخل الإيمان في قلوبهم أو ربما ولد للقوم مواليد جدد فشبوا على الإيمان .(والله أعلم)

٧- أبو لبابه بن عبد المنذر الأنصاري :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٧ – ٣٨] .

نزلت هاتان الآيتان في أبي لبابه ابن عبد المنذر الأنصاري ، وذلك أن رسول الله (ﷺ) حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله (ﷺ) الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير ، على أن يسيروا إلى إخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى أن يسمح لهم بذلك إلى أن ينزلوا على حكم سعد ابن معاذ ، فأبوا وقالوا : أرسل إلينا أبا لبابه وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله (ﷺ) فأتاهم فقالوا يا أبا لبابه ما ترى ،أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابه بيده إلى حلقه (يقصد الذبحة) ونصحهم بأن لا يفعلوا ذلك ، قال أبو لبابه : مازالت قدماي حتى علمت أني قد خنت الله ورسوله . فنزلت فيه هذه الآية ، فلما نزلت ما كان على أبي لبابه إلا أن ذهب للمسجد فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال : والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي . فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما حتى خر مغشيا عليه ، ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابه لقد تاب الله عليك فقال : والله لا أحل نفسي حتى يأتي رسول الله (ﷺ) ويحلني بيديه .

جاء رسول الله (ﷺ) وحل أبي نبابه بيديه الشريفتين فقال أبو لبابه إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب ، وأن

أنخلع من مالي فقال له رسول الله (ﷺ) (يجزيك الثلث أن تتصدق به) ثم نزل قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٣ ـ ١٠٥]

قيل إن هذه الآيات نزلت في أبي لبابه وأصحابه حيث قال الله لرسوله (ﷺ) خذ من هؤلاء الذين اعترفوا بذنبهم فتابوا ، صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتزكيهم وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق وصل عليهم (أي أدع لهم) واستغفر لهم الله إن دعاءك واستغفارك سكنا لهم ووقار ورحمة (تفسير الطبري ..بتصرف) .

لاحظ أخي القارئ تصرف أبي لبابه السريع ندما في نفسه وعذابا في جسده ، فهكذا يجب أن يكون عليه المؤمن الحق الذي لا يعطي فرصة للأيام أن تباعد بينه وبين معاصيه فتبرد حرارة الندم و نار المعصية في صدره ويمحوها الزمن مع أنها باقية في كتابه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . و مثل هؤلاء الناس الذين يحاسبون أنفسهم أولا بأول ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦]

* * *

مذنبون في القرآن فشلوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات

١-إبليس (الشيطان) :

إبليس هو أول مذنب سمعت عنه البشرية وكان ذو مقام رفيع وأطلق عليه (طاووس الملائكة) وعندما قرر رب العالمين خلق الإنسان .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠] ثم أمر الملائكة بالسجود لأدم وكان إبليس بينهم فشمله الأمر الإلهي .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٣٤] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠] . ولكن إبليس استكبر وأبى أن يسجد لأدم متعللا بأنه أفضل منه قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] ونسى إبليس أنه مكلف من ربه بالطاعة والعبادة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

ونود هنا أن نذكر أن الجن نوعان نوع مستعد لعبادة الله والسير في طريق الهدى ونوع آخر مستعد لعصيان الله والسير في طريق الضلالة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن: ١١] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٤ – ١٥] .

أما إبليس فمنذ البداية قرر السير في طريق عصيان الله تكبرا بغير حق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص ٨٢ – ٨٣] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحشر: ١٦ - ١٧].

وكانت نهاية القصة هو حكم الله عليه بالنار وعلى من اتبعه من الغاوين لقد فشل إبليس في الإفلات من عذاب غافر الزلات . سألني سائل سؤالين :

السؤال الأول :- أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، فما علاقة إبليس بهذا الأمر ولماذا يعاقبه الله علي عدم سجوده خاصة انه لم يوجه له الأمر بذلك ؟؟..

للإجابة علي هذا الموضوع دعني أسألك سؤالا : لو كنت في زيارة لأسرة احد الأصدقاء وأثناء جلوسك معهم دخل عليهم ضيف آخر ، فهبت الأسرة كلها واقفة للمصافحة والترحيب بالضيف الجديد فهل تبقى أنت جالسا ولا تقف معهم للترحيب بضيفهم بحجة أن أحدا لم يطلب منك الوقوف وان الضيف لا يخصك؟؟ وهل يسعد صاحب الدار بتصرفك هذا؟؟

فإبليس كان موجودا بين الملائكة حينما أمرهم الله بالسجود لآدم وكان يجب عليه من باب الطاعة والاحترام أن يحذو حذوهم لأن الأمر جاءهم من فوقه مرورا به لذلك عاقبه الله علي عدم استجابته للأمر الإلهي وعدم سجوده لآدم ، ومن لا يعجبه هذا الكلام أقول له : تأمل الآية الآتية لتعلم أن الله سبحانه و تعالي قد اصدر أمرا مباشرا لإبليس بالسجود لآدم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [ألأعراف: ١٢] .

أما السؤال الثاني:- آدم مذنب وإبليس مذنب فلماذا تاب الله علي آدم ولم يتب علي إبليس؟؟

الإجابة: ١- آدم مخلوق جديد ليس له أي خبرة بالحياة بينما يمتلك إبليس من خبرة وكفاءة وعلم بطاعة الله ما أهله إلي أن أصبح طاووسا للملائكة.

٢- إبليس رد الأمر (أمر السجود لآدم) إلي آمره وتحدث مع الله بوقاحة ، وكأنه يفهم الله ما كان يجب أن يكون حيث قَالَ تعالي ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

ثم تجرأ علي خالقه و اتهمه بأنه سبحانه يغويه وهدد بسفالة بأن رد فعله سيكون شديدا مع ذرية آدم نظير هذا الإغواء حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦ – ١٧] .

٣- آدم ندم في الحال هو وزوجته علي الأكل من الشجرة قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٣]

أما إبليس فلم يطلب المغفرة من الله بل طلب منه قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤] . ليثبت لله أن الذي كرمه عليه لا يستحق كل هذا الاحترام ولا يستحق كل هذا التكريم ، بعد كل ما سبق هل تظن أن إبليس اللعين يستحق الإفلات من عذاب غافر الزلات ؟ .

٢ - قابيل أخو هابيل :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[المائدة: ٢٧-٣٢]

كانت أمنا حواء تضع توأما في كل مرة وكل توأم يتكون من ولد وبنت وكان في أحد التوائم (قابيل) وكان في التوأم الآخر (هابيل) ومع كل منهما بنت ، كان قابيل من زراع الأرض وكان أخوه هابيل من رعاة الغنم ولما شب الأخوان وأراد كل منهما أن يتخذ زوجة ، أوحى الله إلى أبيهم آدم أن يزوج كل فتى منهم برفيقة أخيه فلن يجوز لأحدهم أن يتزوج من رفيقته أو توأمه ، وعندما علم قابيل بذلك ثارت ثورته فقد كانت توأمه ورفيقته أكثر جمالا من رفيقة أخيه ولم يرض بحكم الله فيه وفي أخيه فلما اشتد الخصام بين الأخوين قررا التوجه إلى الله لحل مشكلتهما حيث قام كل منهما بتقريب قربانا إلى الله وانتظرا أي قربان منهما سيقبله الله فيكون صاحبه أولى بالزواج من الأخت الحسناء فجاءت مشيئة الله وقبل الله قربان هابيل حيث أكلت النار قربانه و لم تأكل قربان قابيل فثارت ثورة قابيل ونظر إلى أخيه مستفسرا : لماذا تقبل الله منك يا هابيل ولم يتقبل مني...؟؟

فقال له أخوه هابيل الذي يبدو أنه كان أكثر دينا وعلما وأدبا من أخيه قابيل أن الموضوع ليس بموضوع من قدم لله الأفضل فالله لا يحتاج قربانا لأنه هو الغني ولكن الحكمة هي أن الله يتقبل من المتقين فاشتد غيظ قابيل من أخيه الذي لم يتفوق عليه علما وأدبا ورضا من الله فقط ولكن زاد الطين بلة في نفسه عندما فاز بحبيبته الفاتنة وهذا ما لا يحتمله ، ولما أحس هابيل بالشر في وجه قابيل قال له يا قابيل اتق الله .. إنك مقبل على اقتراف ذنب لم يقترفه أحد من قبل فلا تفكر في قتلي فتكون قد أذنبت في حق ربك وحق نفسك وحقي في الحياة فإن بسطت يدك إلي لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، وعلى الفور لم يعط قابيل الفرصة لأخيه هابيل أن يقنعه بعدم القيام بهذه الجريمة وقتل قابيل هابيلا ثم احتار ماذا يفعل بجثة أخيه حتى رأى غرابا ينبش في الأرض ليدفن غرابا آخر فدفنه بنفس الطريقة محاولا إخفاء أول جثة لأول جريمة قتل في تاريخ البشرية ولكن الله فضحه حتى قيام الساعة ،أما أنا فخرجت من هذه القصة بثلاثة فوائد مهمة أحب أن أذكرها :-

١- ليس بكثرة العبادة والعطاء يتقبل الله الأعمال فمن يسرق ليبني المساجد وينفق ما سرقه في مساعدة الفقراء والمرضي من الناس ليس مقبولا منه هذه الأعمال ، و الراقصة التي تنفق ملايين الجنيهات في موائد الرحمن لإفطار الصائمين ليس مقبولا منها هذه الأعمال لأن عملية تقبل الله للأعمال تخضع للقانون الرباني ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فإن لم يكن لديك تقوى ولم تخش الله في السر كما تخشاه أمام الناس في العلن فلن يقبل الله منك شيئا ولو أنفقت ملء الأرض ذهبا ، وهناك فائدة أخرى للتقوى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق:٥] .

٢- احذر أن يفضحك الله مهما كنت حريصا فقابيل قتل أخيه ودفن جثته ولم يكن معه أحد ورغم ذلك جعل الله من فعلته فضيحة تتلى قرآنا حتى قيام الساعة.

٣- إن أول جريمة قتل في تاريخ البشرية كانت بسبب امرأة فاتنة الجمال فيا معشر الرجال احذروا فتنة النساء ، وفي النهاية فشل قابيل في الإفلات من عذاب غافر الزلات.

أما تعليقي المهم فهو علي الآية (٣٢ المائدة) و هو تعليق رب العالمين علي قصة هابيل و قابيل .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: ٣٢] .

ففي هذه الآية السابقة يقول رب العالمين : وحتى لا تتكرر جريمة القتل في بني إسرائيل (الذين انتشرت و تفشت بينهم ظاهرة القتل بصورة كبيرة حتى طالت أنبيائهم) كتب الله عليهم ما كتبه في الآية السابقة بتغليظ عقوبة القتل وذلك للقضاء علي هذه الظاهرة ويأخذ ميثاق بني إسرائيل على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٨٤] .

ثم نفاجأ برسول الله موسي عليه السلام في الآية (٥٤ البقرة) يطلب فيها من قومه الذين اتخذوا العجل إلها لهم من دون الله أن يقتلوا أنفسهم كي يقبل الله توبتهم ، طبعا سيدنا موسي لا يتكلم من تلقاء نفسه انه رسول الله بكلام الله فتأتي الآية القادمة لتأمرهم بالأتي .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤] .

وهنا يظهر اللبس و الحيرة في عقلي فكيف يستنكر الله سبحانه تفشي ظاهرة القتل في بني إسرائيل في الآية (٣٢ المائدة) ويأخذ ميثاقهم على عدم القتل في الآية (٨٤ البقرة) ،ثم يطلب منهم قتل أنفسهم في الآية (٥٤ البقرة) ؟ . فكرت كثيرا في الآيات الثلاثة وقرأت كثيرا حتى وفقني الله إلي هذا :

هناك ثلاث احتمالات في الموضوع :

الاحتمال الأول :

ربما يكون هذا الاحتمال بغرض إظهار خطورة الشرك بالله ، وفي هذا الاحتمال يطلب موسي من قومه الاستماتة في الاستغفار و التوبة من جريمة اتخاذهم العجل إلها من دون الله أثناء غياب موسي عنهم وعدم تغذية أنفسهم الأمارة بالسوء بكل أنواع ما ألفوه من معاص و التوبة نهائيا عما يغضب الله منهم أما عن قوله لهم : أقتلوا أنفسكم ... فهو كلام مرسل من صيغ المبالغة ، أي أقتلوا نزعة الشر فيكم حيث اتخذتم العجل إلها لكم من دون الله ، ولنضرب مثلا والمثل الأعلى لله بمدرب كرة القدم الذي يطلب من أفراد فريقه أن يقتلوا أنفسهم للفوز بالمباراة و أن يستميتوا بغرض الحصول علي الكأس الذي خسروه في العام الماضي ، فهل يطلب مدرب الكرة من أفراد فريقه الانتحار فعلا أم يوبخهم عن خسارة العام الماضي ويريد دفعهم للفوز بالمباراة ..؟ وربما تتضح الفكرة أكثر في الآية الآتية :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٩] هل يطلب الله من المنافقين أن يموتوا فعلا ؟ ... أم يريد الله سبحانه أن يبين لهم أن غيظهم لن يفيدهم ؟ .. فربما يكون غيظهم سببا في هلاكهم ، والغرض من قوله لهم : موتوا هو دفعهم للعودة إلي طريق الحق و الأيمان وترك العمل بالحقد و الغيرة ... والله أعلم .

الاحتمال الثاني :

ربما يكون الهدف منه تطهير المجتمع و المراد بالتطهير هنا هو استئصال للفاسدين المضلين من المجتمع ، حيث نظن أن موسي يطلب من قومه أقامة حدود الله في المفسدين منهم و قتل من يثبت إصراره علي كفره و اتخاذه العجل إلها له من دون رب العالمين ليكونوا عبرة لغيرهم من ضعاف النفوس ضعاف الإيمان بالله ... والله أعلم .

الاحتمال الثالث :

ربما يكون هذا الاحتمال بغرض تكفير الخطايا و إظهار الجرم الذي ارتكبوه و في هذا الاحتمال نظن أن موسي ربما طلب من المفسدين (عباد العجل) الذين أسرفوا في الكفر وأضلوا غيرهم من باقي القوم ، أنه في حالة رغبتهم العودة و التوبة أن يقتل كل واحد منهم نفسه و ينتحر ليثبت لنفسه و للآخرين أنه لن يعود لعبادة العجل مرة أخري و الضامن الوحيد الموثوق فيه لعدم السماح لهم بالعودة لعبادة العجل من دون الله مرة أخري هو الموت ويصبح الشخص المذنب في هذه الحالة قد أصاب عصفورين بحجر واحد تاب وقتل نفسه الكافرة الأمارة بالسوء وصار لغيره عبرة .

وبعد دراستنا للاحتمالات الثلاث السابقة نخلص إلى الآتي :

١- يستحيل علي موسي (والله أعلم) أن يكون قد طلب من قومه الانتحار بصورة جماعية مؤمن مع كافر فما ذنب من أصر منهم علي إيمانه و لم يكفر أمثال سيدنا هارون عليه السلام ...؟ و لو كان قد طلب منهم الانتحار الجماعي فعلا فما الحاجة للآيات الآتية من سورة الإسراء وفيها يتم التنبؤ عما سيفعله بنو إسرائيل مستقبلا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٤ – ٨]

٢- في عهد سيدنا محمد (ﷺ) نزلت هذه الآية من سورة النساء تخاطب قومه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [النساء: ٦٦] .

وفيها يقول رب العالمين : لو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي عرضوها للقتل في الجهاد أو اخرجوا من دياركم جهادا في سبيل الله ما فعله إلا قليل منهم لضعف إيمانهم ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به من إطاعة الرسول لكان خيرا لهم و اشد تثبيت لهم في دينهم (المصحف المفسر محمد فريد وجدي ص١١١) .

فلو كان الغرض من الأمر القتل فعلا لتعارض الأمر مع قوله تعالي : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

فالتوراة و القرآن هما كتابا الإسلام من رب الأنام فالمنهج واحد في الرسالتين ، لذلك نظن أن موسي كان يطلب من قومه الاستماتة في التوبة و قتل النفس بإجهادها في العبادة و الطاعة الخالصة لله (والله أعلم) في النهاية إليه يرجع الأمر كله و لا ننس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ١٢] .

٣- النمرود :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

نما إلى سمع الملك (نمرود)خبر نبي الله إبراهيم عليه السلام فاستدعاه ولما مثل إبراهيم بين يديه استنكر منه هذه الفتنة التي حدثت في قوم إبراهيم وهذه النار التي أشعلها وتعجب من أمر الإله الذي يدعو له إبراهيم متسائلا : هل يوجد لك إله غيري يا إبراهيم ؟ ألا ترى يا إبراهيم أني أنا الآمر الناهي مسير أمور الناس وموزع عليهم أرزاقهم والكل يعترف لي بذلك فلماذا خالفت الناس في اعتقادهم ؟ونظر إلى إبراهيم مستفسرا .. وما ربك الذي تدعو الناس لعبادته ؟ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت ، فهو الذي يهب الحياة للناس ثم يسلبها منهم ، فرد عليه النمرود : أنا كذلك أحي وأميت فأنا أحضر الرجل إن شئت قتلته وإن شئت

تركته ووهبته نعمة الحياة فبقوتي أهبه الحياة وبقدرتي أحرمه منها فيموت ، كل ذلك بإشارة من يدي ، والظاهر لم يفهم نمرود قول إبراهيم أن الله هو الذي يهب الحياة من الأصل فتسري نسماتها للجنين وهو في بطن أمه فيتحرك ولكن فضل إبراهيم ألا يكثر الجدال في هذه النقطة الغير مفهومة للنمرود أو ربما كانت مفهومة بالنسبة له وكان يتفلت النمرود للهروب من الإجابة عليها ويجادل إبراهيم بالكبر والإثم فجاء إبراهيم بالسؤال الثاني : إن ربي قد وضع لهذا الكون نظاما لا يحيد عنه حيث يجعل الشمس تشرق من جهة الشرق وتغرب إلى جهة الغرب فلو كنت إلها حقا لماذا لا تعكس الوضع وتأتي بالشمس من المغرب لتغرب بها إلي المشرق ؟ فبهت الذي كفر ولم ينطق فلم يجد مايرد به على إبراهيم الواثق من قدرة إلهه وأطرق النمرود رأسه ذلا وحسرة حيث أصابته صدمة سؤال إبراهيم الذي لم يكن يتوقعه، وعشقا في كرسي الملك الظالم المستبد ظل النمرود على عصيانه وكفره بربه رب إبراهيم ورب العالمين ، وفي النهاية فشل النمرود في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

وتعليقي على هذه القصة هو تعليقي علي المقطع الأخير من(الآية ٢٥٨ البقرة) في قصة الظالم (نمرود)، و أقول لك حذار يا أخي من الظلم ، حذار من ظلم أهلك في ميراث أو ظلم شريكك في تجارة أو ظلم جارك في حد أو ظلم ضعيف بقوتك و دائما تذكر قوله تعالي ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٨اللهم لا تجعلنا من القوم الظالمين الذين فشلوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

٤- قـــارون :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٢) تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [القصص: ٧٦ – ٨٣] .

قصة قارون كما هي مذكورة في القرآن لا تحتاج شرحا ولا تفصيلاً ولكني فقط أريد أن أوضح ثلاث نقاط :-

١-الآية ٨٢ القصص تذكر ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (٨٢) ﴾ وهذا دليل على أن قارون مات كافرا .

٢ – تذكر الآية ٨٣ القصص: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أما قارون فما كان من المتقين.

٣-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر: ٢٣ – ٢٥] .

من هذه الآيات الأخيرة يتضح لنا إن قارون كان أحد رؤوس مثلث الرعب بصفته أغني رجل ومسئول للمالية ، واحد الأسس الثلاثة التي

ترتكز عليها دولة الفراعنة الظالمة التي لا هم لها إلا المحافظة علي النظام الحاكم الذي أسرف في عمليات قتل وتعذيب أبناء الذين آمنوا وانتهاك أعراضهم ووصف الله هذا المثلث (فرعون-هامان- قارون) بأنه مثلث الكفر الذي يحكم الناس بالضلال ، وباعتبار أن قارون أحد أقطاب هذا النظام ، فأستحق وبجدارة وسام فشل الإفلات من عذاب غافر الزلات .

٥-عبد الله بن أبي بن سلول (زعيم المنافقين) :

١- صادف عمرو بن أمية أثناء طريقه إلي المدينة رجلين من بني عامر أعداء المسلمين فقتلهما وعندما ذهب إلي المدينة مبتهجا ومنتشيا بقتلهما واخبر رسول الله (ﷺ) بذلك ، حزن رسول الله وقال له إن هاذين الرجلين لهما علي المسلمين عهد وجوار وعلينا دفع الدية لقبيلتهما ، وكان المسلمون يعانون من ضيق ذات اليد فذهب رسول الله (ﷺ) إلي قبيلة بني النضير يطلب منهم المساعدة المادية في دفع الدية لما يربطه معهم من عهد فحاول بنو النضير اغتيال رسول الله بإلقاء حجرة علي رأسه أثناء جلوسه تحت جدار فأنقذه الله من القتل و أوحى له بسوء نية بني النضير فانتدب رسول الله(ﷺ) محمدا بن سلمه و أرسله إلى بني النضير لينذرهم بالرحيل والخروج بسبب نقضهم عهد رسول الله (ﷺ) ومحاولة اغتياله وما كاد بنو النضير يتهيئون للخروج علم بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وبدلا من أن يحزن ويغضب لما حدث لرسول الله اتصل بهم وحرضهم علي عدم ترك ديارهم ووعدهم أنه سيكون معهم هو و أتباعه من الذين يكرهون رسول الله (ﷺ) وسيناصرهم ضد محمد بن عبد الله (ﷺ) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ

﴿...لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢)﴾ [الحشر: ١١ - ١٢] .

٢- نظر عبد الله بن أبي ابن سلول إلى مؤخرة جيش رسول الله (ﷺ) أثناء عودته من غزوة بني المصطلق إلى المدينة فوجد صفوان بن المعطل السلمي يجر راحلته ومن فوقها السيدة عائشة (رضي الله عنها) حليلة رسول الله وقبل أن يسأل عن السبب في تخلف السيدة عائشة عن الركب إلا بادر وقال قولته الكاذبة : (والله ما نجت منه ولا نجا منها) فانتشرت هذه المقولة بين جماعة الكذب والسوء ضعاف النفوس وسرت بين الناس سريان النار في الهشيم ومازال يزيد ويعيد حتى وصل الخبر إلى مسامع رسول الله (ﷺ) وأبي بكر ولم يعط زعيم المنافقين عبد الله بن سلول لنفسه الفرصة في فهم الأمر وكيف يضيع فرصة هدم بيت رسول الله وهدم دين المسلمين بالإشاعات الكاذبة وهو رأس المنافقين؟؟ ولكن الله برأ السيدة عائشة من فوق سبع سماوات بقرآن يتلى إلى يوم القيامة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١١ - ١٩] .

٣-كان رسول الله (ﷺ) قد دخل المدينة وهي تتهيأ لتنصيب عبد الله ابن أبي ابن سلول زعيما لها فلما دخلهم الإسلام انشغلوا به و برسوله عن هذا التنصيب وعند عودة الرسول إلى المدينة بعد غزوة بني المصطلق وقع شجار بين رجلين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين وكاد أن يتسبب عن هذا الشجار فتنة بين المهاجرين والأنصار وما أسرع ما وجد بن سلول في هذا الشجار ضالته فأضرم النار بين عنصري الأمة من المهاجرين والأنصار وقال قولته القذرة (ما نحن والمهاجرون إلا كما قال الأولون سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) فقصد بالأذل المهاجرين ومعهم رسول الله وكان حاضرا في مجلسه زيد بن الأرقم شاب صغير السن ، فأسرع وأخبر رسول الله (ﷺ) فلما واجه الرسول به بن سلول أقسم عبد الله ابن سلول بغير حياء ووجه كلامه للرسول : (والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وإن زيدا لكاذب) فنزل قول الله في سورة المنافقين يقر قول زيد بن الأرقم ويؤكد كذب رأس المنافقين عبد الله ابن أبي ابن سلول .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون: ١ – ٥] .

وبعد كل ما سبق فأنا متأكد أخي القارئ أنك معي في أن عبد الله ابن أبي ابن سلول (رأس المنافقين) هو الأجدر بعدم الإفلات من عذاب غافر الزلات .

٦- فرعــون :

كلم الله موسى وأمره أن يذهب إلى فرعون الذي علا وتجبر وظلم العبرانيين أهل موسى وسامهم سوء العذاب فقتل أبناءهم وسبى نساءهم ،أمر الله موسى أن يدعو فرعون إلى طريق الهداية طريق الله العزيز الجبار فأبى فرعون تكبرا وقال للناس: لا أعرف لكم إلها غيري وتلك الأنهار تجري من تحتي فأنا الملك وتحت إمرتي الجنود والأموال فمن يوازيني قوة وجاها وسلطانا ؟ فأخذ موسى يناقشه ويأتي له بالمعجزات الواحدة تلو الأخرى فلا يقتنع .

انتشر خبر موسى بين الفراعنة و العبرانيين فوجد فيه العبرانيون المنفذ الوحيد لهم من ظلم فرعون وجنوده وحاشيته وبدأت دعوة موسى تنتشر شيئا فشيئا يؤمن بها الضعفاء من القوم ممن لا حول لهم ولا قوة آملين تغير حالهم إلى الأفضل.

بدأ فرعون يسمع مالا يحب أن يسمعه فعدوى دعوة موسى (في نظره)بدأت تنتشر بين الناس انتشارا واسعا تضيء الدنيا وتبشر بحرق الظلم والظالمين وأصبح فرعون يسمع ويا ليته أصابه الصمم ولم يعد يسمع ، فقد أسلمت زوجته (آسيا) وماشطة ابنته ورجل مؤمن في قصره يقال أنه ابن عمه ، فكر فرعون كثيرا هل يقتل موسى ؟ وإن قتل موسى فكيف يقتل دعوته التي أصبحت نورا يضيء للمظلومين طريقهم؟ فجمع مستشاريه وفكر الجميع بماذا يرمون به موسى عليه السلام ؟.. نعم وجدتها : موسى ساحر، و أعجبت الفكرة فرعون وأخذ أتباعه ينشرونها بين الناس فجمعوا

له السحرة من كل حدب وصوب ووعدهم بالأموال والمناصب إن كانوا هم الغالبين ، ويا للمصيبة لقد آمن السحرة عن بكرة أبيهم أمام جمع كبير يحوي آلافا مؤلفة من أبناء الشعب وقبل أن يقتلهم أعلن السحرة للناس أن الذي جاء به موسى ليس سحرا إنما هي عقيدة التوحيد الخالص لربهم رب موسى رب العالمين ، فاهتز عرش فرعون وتصدع قصره وملكه وجبروته وتسلطه فلم يعد لديه ورقة أخرى يلعب بها إلا ورقة قتل موسى رغم ما تحتويه على مخاطر فذهب وراء موسى وقومه ليقتلهم فنجى الله موسى وقومه وأغرقه الله في اليم هو وجنوده قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢] .

وبذلك فشل فرعون في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

ولي تعليق على قصة فرعون: فعندما زارت مومياء فرعون (رمسيس الثاني) فرنسا في نهاية الثمانينات لإجراء الأبحاث الأثرية ، استقبلها الرئيس الفرنسي وكبار مسؤوليه استقبال الزعماء والملوك ، تم نقلها إلى مركز الآثار الفرنسي لتبدأ دراسات طبية وتشريحية كثيرة ، وكان كبير الجراحين البروفسور (موريس بوكاي) هو المسئول عن ترميم المومياء وكان من ضمن الأبحاث هو محاولة معرفة كيفية وسبب موت هذا الملك الفرعوني ، اكتشفوا أن بقايا الملح الذي مازال موجودا في داخل أنسجة الرئتين لهو أكبر دليل على أن الفرعون مات غريقا في البحر وأنه تم تحنيط جثته بعد موته مباشرة ، وحفظها الله إلي يومنا هذا لتكون لمن خلف فرعون آية .

٧- الوليد بن عقبة :

دخل بنو المصطلق الإسلام وغادر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة بعدما أصهر إليهم ثم عاد (ﷺ) وأرسل إليهم الوليد بن عقبة لجمع الصدقات من أغنيائهم وتوزيعها على فقرائهم ليستقر ركن من أركان الإسلام الخمسة في نفوسهم وعندما علم القوم بقدومه خرجوا كي يستقبلون رسول رسول الله (ﷺ) ولكن كان بين الوليد بن عقبه وبني المصطلق ضغائن كثيرة وغلا موروثا مازال يملأ قلبه ولم ينجح إسلامهم في محوها فظن الوليد أنهم خرجوا يريدون به شرا فرجع إلى رسول الله (ﷺ) وزعم له أن القوم قد ارتدوا عن الإسلام ورفضوا إيتاء الزكاة وبذلك فقد وقعوا في خطيئة هدم ركن أساسي من أركان بناء الإسلام فغضب الرسول (ﷺ) غضبا شديدا ثم تهيأ لغزوهم مرة أخرى وربما وجد هذا في نفس الوليد بن عقبة راحة واطمئنانا ولم لا فربما يشفي ذلك غل حقده وحقد قومه على بني المصطلق ولم يفكر ولو للحظة في مصلحة الإسلام ولا مصلحة المسلمين ولا ما ينتظرهم من حروب ، ولكن إرادة الله كانت الأقوى ، فلما وصل الخبر إلى بني المصطلق أسرع وفد من كبراء القوم إلى المدينة لمقابلة رسول الله يشكون له فعل الوليد بن عقبه : خرجنا فرحين لنستقبل رسولك يا رسول الله ففوجئنا به يدبر راجعا ولم نكن نضمر له في أنفسنا إلا كل خير فقد طهر الإسلام قلوبنا من كل رجس فخرجنا مرحبين ولم نخرج مقاتلين وما زلنا على إسلامنا وعلى عهدنا مع الله ورسوله ، فوقف رسول الله (ﷺ) بين الوليد بن عقبه وبين وفد بني المصطلق في حيره وإذا بالحق ينزل عليه من فوق سبع سماوات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ

وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ﴾
[الحجرات: ٦ - ٧] .

في رأيك أخي القارئ هل ترى أن الوليد بن عقبه الذي سماه ربه بالفاسق يستحق الإفلات من عذاب غافر الزلات....؟؟

٨- أصحاب السبت:

أمر نبي الله موسى أتباعه بالتفرغ تماما لعبادة الله وتسبيحه وعدم الانشغال بأمر من أمور الدنيا يشغلهم عن ذلك فاختار أتباعه يوم السبت بدلا من يوم الجمعة كي يكون هذا اليوم هو اليوم المخصص الذي يتضرع فيه المؤمنون إلى الله طمعا في مغفرة ذنوبهم وتطهير قلوبهم ، ومرت الأيام وقوم موسى قد اعتادوا على هذا اليوم يقدسونه ويفردونه للطاعات وأعمال الخير والتسبيح.

وفي إحدى القرى على شاطئ البحر الأحمر كان يسكن جماعة من بني إسرائيل في زمن داود عليه السلام (تفسير الكشاف) كانوا يتضرعون كلية في هذا اليوم للعبادة ولا يزاولون أي عمل حتى الصيد الذي يقتاتون منه ، حيث كانت الحيتان تخرج ليلة السبت ويومه على أحجار الشاطئ آمنة مطمئنة من قتل الناس وصيدهم لها ، فالقوم في هذا الوقت من كل أسبوع لا تستطيع أيديهم أن تمتد لهذه الحيتان لا بالصيد ولا بالقتل لأنهم يكونون مشغولين في هذا الوقت بالعبادة وذكر الله لأنهم ممنوعون من ذلك طبقا لإرشادات دينهم في ذلك الوقت فإذا ما انتهى يوم السبت ودخل الناس في بداية ظلام ليلة الأحد إذا بالحيتان قد اختفت تماما وشقت طريقها إلى باطن البحر فاستحال على القوم اصطيادها ، واحتار القوم من بني إسرائيل بين أمرين أمر صبرهم على عبادة ربهم ولأمر جوعهم وصبرهم على حاجة بطونهم وبطون عائلاتهم ، ففضلوا التغافل عن تعاليم دينهم

والمضي في فكرة جهنمية تفتق عنها ذهنهم وهي أنهم قاموا بحفر قنوات طويلة تصل البحر بقريتهم فلما جاءت ليلة السبت أخذت الحيتان طريقها في هذه القنوات وملأتها فقاموا بسد طريق عودة الحيتان مرة أخرى للبحر وبذلك تم حجزها إلى اليوم الثاني فبقيت الحيتان ليتم صيدها وبذلك اعتقدوا أنهم يرضون ربهم ولا يحرمون بطونهم ، ولكن من ظل مؤمنا من أهل هذه القرية مافتئ يحذر إخوانه من مغبة هذه الأعمال .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

فلما طال الوعظ وطال المكر انصرف الناصحون إلى أعمالهم واستمر الفاسقون في غيهم وعصيانهم حتى ضاق بهم داود عليه السلام فتوجه بالدعاء عليهم طلبا في اللعنة لهم فاستجاب له ربه فزلزلهم وزلزل قريتهم ونجا المؤمنين بسرعة إخراجهم من هذه القرية الظالم أهلها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٥] .

انظر يا أخي مكرهم ودهاءهم وخداعهم أنفسهم لم يوفر لهم فرصة الإفلات من عذاب غافر الزلات !!

<u>في النهاية لي تعليق على هذه القصة :</u>

أصحاب السبت أخي المؤمن تصرفوا مع ربهم وخالقهم بالمكر والخديعة فيجب عليك أخي المؤمن أن تحترم إمكانيات عقلك وحدود ذكائك ، فإن كنت ذكيا فالله أذكى منك وإن كنت أسوأ الماكرين فالله خير الماكرين ، والمكر نوعان النوع الأول هو مكر الخير والنوع الثاني هو مكر السوء وأنا هنا أرد على كثير من المستشرقين الذين لا تعجبهم الآية الكريمة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

فالمكر أخي القارئ هو تصرف ذكي غير مكشوف للآخرين لتحقيق غرض ما في نفس صاحبه، والمكر إما أن يكون ظاهرا و إما إن يكون باطنا، فقد يقوم الشخص بالمكر الظاهر مرة أو بالمكر الباطن مرة أخري أو بالمكريين معا ولنضرب مثلا من سورة يوسف بالمكر الظاهر للنسوة في المدينة عندما فضحن امرأة العزيز

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف: ٣٠] . حيث تعاملت امرأة العزيز مع مكرهن الظاهر بمكرها الباطن في قرارة نفسها .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف: ٣١] . وقد يفعل الماكر نوعي المكر الظاهر و الباطن في آن واحد و لنضرب مثلا بلاعب كرة قدم يتصدي لتسديد ضربة جزاء في المرمي حيث يوهم حارس المرمي بأنه يختلس النظر و ينظر إلي الزاوية اليمني للمرمي ليسدد فيها الكرة ، فينخدع حارس المرمي و يرمي بكل انتباهه و جسمه ناحية الزاوية اليمني فتنكشف الزاوية اليسرى من المرمي تماما فيقوم اللاعب بتسديد الكرة فيها بسهولة ليحرز هدفا ، فهو بذلك يقوم بعمل نوعي المكر الظاهر والباطن في آن واحد.

فإن كان الغرض من المكر غرضا يراد به الخير فهو مكر خير يقبله الدين وإن كان الغرض غرض سوء فهو مكر سيء لا يقبله الدين وقد أنكره الله في كتابه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] .

والمكر في الإنسان نوعان النوع الأول هو مكر السوء وهو النوع السائد و المنتشر بين بني البشر وهو صفة نقصان أما النوع الثاني هو مكر الخير وهو النوع النادر وجوده بينهم .

١- ولنضرب مثلا للمكر السيئ :

في (غزوة الأحزاب) عندما علم رسول الله (ﷺ) إن قريشا قد أعدت عدتها وعزمت علي غزو المسلمين في المدينة وقد ظاهرتها الكثير من القبائل مثل غطفان و أشجع من خارج المدينة ، أما من داخلها فكان يؤازرهم سرا يهود بني قريظة الذين كانت بينهم و بين رسول الله (ﷺ) معاهدة حسن جوار و مهادنة فنقضوها مكرا برسول الله و بالمسلمين ، أما من داخل صفوف المسليمين فكان المنافقون كعادتهم وضعاف الإيمان حيث همت طائفة منهم بالفرار لإيقاع الضعف بين صفوف المسلمين ، فوقف رسول الله (ﷺ) بين أعداء من الأمام وأعداء من الخلف وأعداء من داخل الصفوف فأي مكر مثل هذا المكر السيئ يستطيع إنسان تحمله؟؟

٢-ولنضرب مثلا لمكر الخير:

علي الجانب الآخر وفي نفس الغزوة (غزوة الأحزاب) وفي ليلة حالكة السواد جاء إلى رسول الله (ﷺ) نعيم بن مسعود وهو رجل من رجال غطفان ليعلن إسلامه ويخبر رسول الله (ﷺ)انه لا يعلم بإسلامه كائن كان ، فأمره الرسول أن يكتم إسلامه ولا يخبر به أحدا وقال له : خذل عنا إن استطعت ، فذهب نعيم ابن مسعود ليلا ومكر مكره الذي تسبب في وقيعة بين قريش وبين يهود بني قريظة علي إثرها تفكك الأحزاب ودب الشك والريبة بينهم وبين بعضهم البعض فوقع التخاذل في

صفوفهم ، فأرسل الله رياحه في هذه الليلة المظلمة فنثرت قدورهم ومزقت خيامهم وألقت بهم في الصحراء ورد الله باسهم عن المسلمين بفضل مكر الخير الذي مكره نعيم ابن مسعود .

من المثالين السابقين يتضح لنا أن الإنسان يمتلك القدرة علي القيام بمكر السوء كما يمتلك القدرة علي القيام بمكر الخير و لكن أي نوع من المكر تندرج تحته عبارة (مكر الله)؟! ، ولكي نجيب علي ذلك علينا قراءة الآيات القادمة بتمعن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] .وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣] .وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [نوح: ٢٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يونس: ٢١] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠] .

نلاحظ من الآيات السابقة أن القران الكريم لا يستعمل كلمة (مكر الله) إلا مع الكافرين، أو مع أناس ماكرين فمكر الله هو عقاب و استدراج للكافر أو الماكر جزاء له علي أعماله ، فمكر الله هو مكر علم ودراية وإحاطة بكافة تصرفات العبد والتي علي أساسها يتوهم العبد المذنب أو الكافر انه متمكن في مكره دون أن يدري أنه مكشوف ومراقب تماما من خالقه ، ولو شاء الله لمنعه من فعل مكره من البداية ولكن الله يرخي لعباده الماكرين حبل المعصية ليشنقوا به أنفسهم ، فالمكر السيئ في الإنسان هو صفة (خسة ونقصان) أما مكر الخير في الله فهي صفة (قدرة وتمكن

وكمال) ، ولما كان الجزاء من جنس العمل فيجب المعاملة بالمثل مكر يقابله مكر وكيد يقابله كيد على غرار قوله تعالي ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥ – ١٦] .

أما العبد المؤمن فهو يتعامل مع ربه علي أساس قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٧٣] .

أما الخاسرون الذين خسروا دنياهم و أخراهم فيقول الله فيهم: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] .

وهذه الآية تصف استهتار الكافرين بمكر الله واستهانتهم بعقابه لهم ، فكان نتيجة ذلك هو الخسران المبين في الدنيا والآخرة وعدم الإفلات من عذاب غافر الزلات.

٩- قـوم لـوط :

لم يعرف التاريخ الإنساني خلقا أقذر ولا أنجس من قوم لوط ، فهم قوم ذو أخلاق بذيئة ونوايا عفنة لا يتوانون عن معصية ولاعن عمل قذر يوصف بالحيواني (مع أن الحيوان يتبرأ منه) إلا قاموا به بل إن الحيوان في ممارساته الحياتية والجنسية كان أشرف منهم وأنبل ، فما تركوا طريقا للمعصية إلا سلكوه ولا بيتا للخراب إلا سكنوه فكانوا قطاع طرق لا يردعهم دين ولا تمنعهم أخلاق ولاينها هم حياء نفس داخلهم ولا يعطون واعظا فرصة أن يعظهم، ولما زاد واستشرى فساد القوم دون وازع من أخلاق أو زاجر من دين أمر الله نبيه لوط أن يذهب إليهم ويدعوهم إلى عبادة الله وترك ما ألفته قلوبهم وضمائرهم من فعل الرذائل والمنكرات ، فأخبرهم بدعوته وأعلنهم برسالته فما كان منهم إلا أن زادوا عنادهم وأصروا على فساد عقولهم وأجمعوا أمرهم على طرد رسولهم من أرضهم مع أنه لم يرتكب جرما واحدا في حقهم إلا أن دعاهم إلى الطريق المستقيم فقرروا

طرد لوط وجماعته من قريتهم بحجة أنهم أناس يتطهرون ،فلما زاد فساد القوم ولم يتحمل لوط هذا الجرم سال الله أن ينصره عليهم وطلب منه أن يجازيهم بذنوبهم ويعاقبهم على ما اقترفوا من آثام منعا لانتشار البغي بين الناس فاستجاب الله دعائه وأرسل ملائكته إلى أهل هذه القرية الفاجرة ليجازيهم على ما اقترفوا من آثام،وهم في طريقهم زاروا منزل سيدنا إبراهيم فشرع في تقديم واجب الضيافة لهم لكنه لاحظ أن أيديهم لا تمتد إلى الطعام فتوجس منهم خيفة ، قالوا له: لا تخف وبشروه بغلام وليد فسألهم: ما خطبكم أيها المرسلون؟ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم لوط وخاصة الذين لم يستجيبوا لدعوته لننزل بهم عذابا أليما من عند الله جزاء فجورهم.

حزن سيدنا إبراهيم وأخذ في مجادلتهم لتأخير هذا البلاء القادم على قوم لوط وربما كان يأمل منهم مراجعة ربهم في هذا الخطب خوفا منه على لوط وأسرته فأخبروه بأن لوطا وأسرته في مأمن من العذاب إلا امرأته فسيصيبها ما سيصيب القوم العاصين .

ذهب المرسلون إلى سيدنا لوط فخاف عليهم من القوم الشاذين جنسيا الذين ما توانوا في المجيء يطلبون ممارسة اللواط مع ضيوف لوط عليه السلام فاشتد رعب وخوف لوط على ضيوفه ولما رأى ضيوفه من الملائكة رعبه وخوفه الشديد عليهم أخبروه بأنهم ملائكة وأنهم رسل رب العالمين جاءوا لينقذوه وينقذوا آل بيته من هذه القرية الظالم أهلها و أمروه أن يسري وأهله آخر الليل ويرحلوا عن هذه القرية كي يحل العذاب والدمار بكل ما فيها ، وفي النهاية جعل الله عاليها سافلها ثم أمطرها الله بحجارة من سجيل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ

هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ
(٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ
ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ
بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ
بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ [هود: ٧٧ - ٨٣] .

وبذلك فشل قوم لوط فشلا منقطع النظير في الإفلات من عذاب غافر الزلات.

__تعليقي هذه المرة على هذه القصة__ هو أن الله سبحانه وتعالى كان قد أرسل رسولين في وقت واحد برسالتين مختلفتين في الشكل متفقتين في المضمون فرسالة لوط إلى قومه قد تختلف عن رسالة إبراهيم إلى قومه لأن لكل قوم منهم ظروفهم وتفاعلاتهم الخاصة في الحياة فقوم لوط كانوا يعشقون الشذوذ الجنسي وقوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام ، فالرسالتان مختلفتان في الشكل ولكن مضمونهما واحد وهو الإسلام الذي بدأه آدم وأتمه محمد (ﷺ) فلو تبادل ، إبراهيم ولوط رسالتيهما فنصح لوط قومه بعدم عبادة الأصنام ونصح إبراهيم قومه بعدم ممارسة الشذوذ الجنسي لأصبح ذلك عبثا وهراء (استغفر الله أن يحدث ذلك) إذ أرسل الله رسالته إلى قوم لوط بما يفيدهم وينفعهم وأرسل الله رسالته إلى قوم إبراهيم بما يفيدهم وينفعهم أما مضمون الرسالتين فهو واحد وهو الإسلام للناس جميعا في كل وقت وحين وهو ما أرسل الله به رسوله محمد بالسلام والإسلام للناس كافة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين، فشريعتنا صالحة لكل الناس باختلاف أشكالهم وألوانهم في شتى بقاع الأرض في كل زمان وحين ولا

حق لمن يتبع رسالة قديمة نزلت خصيصا لأقوام معينة في ظروف معينة لتنهاهم عن فعل معين لم يعد يحدث الآن ، بل على الجميع إتباع منهج الرسول الخاتم صاحب الرسالة العالمية الصالحة لكل زمان ومكان .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨] .

١٠- أصحاب مسجد الضرار:

اجتمعت كتيبة الشر من المنافقين الذين يظهرون حلو إسلامهم للناس ويضمرون مر كفرهم في صدورهم وعلي رأسهم وديعة بن عامر .

اجتمعوا وقد جمع بينهم الحقد و الكره والحسد والضغينة لرسول الله (ﷺ) وجماعته من المؤمنين الموحدين الذين هاجرو معه من مكة إلي المدينة وكذلك الأنصار الذين بايعوه وناصروه، ليناقشوا أمرا مهما أضج مضاجعهم وسرق النوم من أعينهم والسكينة من أفئدتهم وهو قيام رسول الله (ﷺ) بوضع حجر الأساس لمسجد قباء الذي أصبح ملاذا ومأوى لكل مسلم داخل المدينة أو أتي من خارجها، ففيه يجتمع المسلمون خمس مرات كل يوم علي صوت الآذان ،ويرفع صوت الآذان ، ويوما بعد يوم تقوي شوكة المسلمين في المدينة و الأدهى من ذلك أن بني عمرو بن عوف المشرفين علي هذا المسجد أصبح لهم مكانة عظيمة بين المسلمين.

ونظرا لكون المسجد أصبح له مكانة دينية عظيمة في صدور مريديه ومرتاديه من الزوار و المصلين أصبح له مكانة اجتماعية كبيرة للمشرفين عليه والقائمين علي إدارته وبالتالي للمداومين علي الصلاة فيه

فأصبح الحقد يقطع أمعاء المنافقين ويشق صبر صدورهم هما وغما فالكل يهتف لبني عمرو بن عوف .

فخلص الجمع من المنافقين انه لو استمر هذا المسجد علي ما هو عليه فلن تقام لهم قائمة والنصر والغلبة والعز والجاه سيظل ملكا لبني عمرو بن عوف وللمسلمين لا ينازعهم فيه احد فماذا هو الحل....؟؟

قال وديعة بن عامر: لقد جاءني اليوم كتاب (أبي عامر الراهب) الذي تنصر منذ فترة وأصبح راهبا ولا يخفي عليكم مدى كراهيته لمحمد وحقده علي دينه وانه غادر المدينة مضطرا وانتهي به الأمر عند (هرقل) ملك الروم وحامي حمي المسيحية وتعلمون مدي كره هذا الملك الشديد لمحمد و أتباعه وأنه وعده بالنصر والمساعدة بالمال والعدة والعتاد إذا فكر في العودة للمدينة للقضاء علي محمد وأتباعه وهو في كتابه يذكر لي رغبته في العودة ويطلب مني مكانا آمنا يلوذ إليه ويكون مركزا للمقاومة للقضاء علي هذا الدين في المدينة فإذا ما تم القضاء عليه في المدينة تلاشت دعوته في باقي البلاد المحيطة .

واستطرد وديعة بن عامر قائلا : وبعد تفكير عميق وجدت أن هناك مكيدة لو ساعدنا بعضنا بعضا في إتمامها فليس لها نتيجة إلا القضاء علي محمد وأتباعه وتفكيك جمعهم وهي أن نقوم ببناء مسجد عظيم في منطقتنا ونعين له إماما من المسلمين الحافظين للقرآن وليكن (مجمع ابن جارية) ليؤم الناس فيه فيبدأ المؤمنون أتباع محمد في الحضور للصلاة في مسجدنا وبالتالي يقل عدد المصلين في مسجد قباء فتضعف شوكة المسلمين ويقل جمعهم قليلا قليلا إلي أن تحين الفرصة للإجهاز علي محمد وأتباعه وتطهير المدينة من دينهم ، أما بالليل فيكون وكرا وملاذا لأبي عامر

الراهب وأتباعه وبذلك لن يشك احد فيما نقوم به ،وعليكم أن تكتموا أمركم وتعملوا في سرية تامة .

وفعلا قاموا ببناء المسجد علي أفضل ما يكون ثم ذهبوا لرسول الله يدعونه لزيارة المسجد الجديد حتى تحل البركة فيه وحتى يكون له شرعية في قلوب المسلمين فاعتذر لهم رسول الله (ﷺ) حتى يرجع من غزو الروم لأنه كان مشغولا بتجهيز الجيش .

وعند عودة الرسول (ﷺ) ولم يبق بينه وبين المدينة سوي يومان هبط عليه الوحي من السماء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٧ ــ ١١٠] .

هنا أيقن الرسول (ﷺ) نعبتهم الدنيئة وعلم بمكرهم وبمجرد وصوله للمدينة أرسل رجلين من المؤمنين قاما بحرق المسجد ، ثم هدموه هدما نهائيا واضحي جماعة السوء وقد فضحهم الله بقرآن يتلي يذكر حلفهم الكاذب بالله وان بنيانهم انهار بهم في نار جهنم إن شاء الله .

لقد استحق أصحاب مسجد الضرار بجدارة لقب عدم الإفلات من عذاب غافر الزلات .

١١- أصحاب الأخدود :

أرهق اليهود نبيهم موسي ،فبعد أن نجاهم الله من الغرق علي يد موسي واغرق فرعون و قومه الذين ساموهم سوء العذاب تقتيلا لأبنائهم و استحياء لنسائهم ورأوا بأعينهم نهاية فرعون الذي ظلمهم فكان لا بد أن يأخذوا العبرة من الدين والتاريخ، ولكنهم لم يتعظوا فاتخذوا العجل لهم إلها وأضلهم السامرى وقالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ثم جاء أبناؤهم من بعدهم فحذوا حذوهم وعبثوا بالدين وكتبوا الكتاب بأيديهم ثم ادعوا انه كتاب الله و زوروا فيه كل ما يريدون من ربا لأكل أموال الناس بالباطل وأصبحوا ماديين إلي درجة أن تبخرت من أنفسهم كل الأحاسيس الإنسانية ، هنا كان الوقت مناسبا لنزول عملية تصحيح وتقويم لدين موسي الذي عبثـوا به كي يحدث اتزان بين الماديات والروحانيات في أنفسهم فأرسل الله المسيح عيسى ابن مريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: علي لسان عيسى بن مريم ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران ٥٠]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف: ٦] .

فآمن بعيسى ورسالته المنقذة الكثير من المؤمنين والتف حوله الحواريون فانتشرت شريعة النصرانية مبشره بالإسلام والسلام بين البشر.

وعندما دخل المبشرون بالمسيحية إلى نجران (إقليم علي مشارف اليمن من ناحية مكة) وكان أهلها وثنيون يعبدون الأصنام ويعبدون النخلة فلما رأى أهل نجران سماحة هذا الدين انتشر بينهم انتشارا كبيرا و غسل

الدين الجديد قلوب و نفوس أهلها وعم الأمن والسلام الإقليم ، ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن فقد علم بهم الملك (ذو نواس) اليهودي المتعصب ملك صنعاء وكان متعصبا تعصبا اعمي لدينه اليهودي فلم يعط لنفسه فرصة لفهم الدين الجديد بقدر ما أعطي أوامره لجنوده بالزحف إلي نجران فحفروا أخدودا في الأرض قاموا بملئه بالأخشاب ثم أشعلوا فيه النار ثم اخذوا يلقون فيه المؤمنين بالدين الجديد واحدا بعد الآخر فما تركوا من أهل نجران شابا ولا شيخا إلا خيروه بين النار أوترك الدين الجديد و العودة إلي اليهودية فلم يرجع المؤمنون عن إيمانهم وفضلوا حر نار الدنيا على لهيب نار الآخرة ورغم مضي سنوات كثيرة علي هذه الحادثة وحتى لا تضيع في غياهب النسيان انزل الله بها قرءانا علي رسوله محمد (ﷺ) كي يستحق به ملك صنعاء وجنوده عدم الإفلات من عذاب غافر الزلات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ۝١١ ﴾ [البروج: ١ – ١١] .

ملحوظة هامة: تأمل يا أخي المؤمن الآية رقم ١٠ من سورة البروج و احذر أن تكون سببا في فتنة مؤمن أو مؤمنة و إن سبق لك أن فعلت ذلك جهالة وحمقا فما عليك إلا أن تتوب الآن وفورا حتى لا يكون مصيرك عذاب جهنم وأن يكون لك عذاب الحريق وتنجح في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

١٢- قوم نوح:

لم أكن حقيقة أود أن اكتب عن قصة قوم نوح في هذا الكتاب لأنها معروفة للأطفال كما هي معروفة للكبار ولذلك تجاوزتها ولم افكر في كتابتها نهائيا أو الحديث عنها إلا أنني لاحظت أنها تشغل حيزا كبيرا من القرآن الكريم قليل ما استحوذت عليه قصة مماثلة فقد تم ذكرها في أكثر من خمس عشرة سورة من سور القرآن الكريم وكذلك أكثر من مئة وأربعة عشر آية ، فالموضوع ليس بمن تستطيع المرور عليه مرور الكرام.

نقول أنها قصة قوم كفروا بما جاء به نبيهم الذي دعاهم إلى الله فأعرضوا عنه ، فأنذرهم عقاب ربهم فعموا وصموا ، شجعهم ورغبهم في ثواب الله وما ينتظرهم من نعيم في الآخرة إذا هم آمنوا، فأصروا على موقفهم واستكبروا ووضعوا أصابعهم في آذانهم رافضين السمع والطاعة ولكن نبيهم ناضلهم وجادلهم بالحسنى فدعاهم ليلا ونهارا وسرا وعلانية فقد كان نوح من أولي العزم من الرسل ولبث في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عاما وأخيرا قال له ربه إنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن فلا يبتئس بما كانوا يفعلون ،عندها فرغ صبر نوح فدعي الله على قومه فأغرقهم بالطوفان انتقاما منهم وبذلك فشل الكافرون من قوم نوح بجدارة في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

ولكني وجدت أنه من الواجب أن نتوقف عند كل مجموعة من الآيات التي نزلت في أكثر من سورة كي نستلهم منها العبر فليس من المعقول أن ينزل الله كل هذه الآيات مع كل هذه السور القرآنية دون هدف لذلك سوف نستعرض سورة من بعد سورة بما تحتويه من الآيات عسى الله أن يوفقنا إلى نتيجة نستلهم منها العبر إن شاء الله .

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] . في هذه الآية يفصح لنا رب العزة ويصرح أنه اصطفى نوحا من ضمن من اصبطفاهم من عباده ليتسلموا مسؤولية نشر راية دينه ، دين الإسلام والسلام للبشرية جمعاء .

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣] .

يخاطب الله عز وجل رسوله محمدا(ﷺ) مبينا له أن الذي أوحى إليه من ذكر هو نفسه ما سبق أن أوحاه لنبيه نوح عليه السلام منذ بدايات الخلق وجيلا من بعد جيل هو نفسه ما أنزله على النبيين من بعد نوح، دين الإسلام والسلام لكل البشر .

٣ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤] .

يبين الله لرسوله أنه هدى نوحا منذ قديم الأزل واصطفى من ذريته أنبياء ورسل لإكمال مسيرة الهدى لسائر البشر .

٤- قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩ - ٦٤] .

يبين لنا رب العزة ، عز وجل أن منهج الدين الذي أرسل به نوحا من رسالة الإسلام والسلام للبشرية كان هذا المنهج خاصا لقومه مناسبا لظروفهم ومعتقداتهم في عبادة الأصنام وكما هو متوقع وعلى الفور اتهمه قومه بالضلالة ولم لا فهم يعبدون أصناما صنعوها بأنفسهم يشاهدونها بأعينهم ويتحسسونها بأصابعهم فكيف يؤمنون ويعبدون إلها واحدا لا يستطيعون رؤيته ولا لمسه ؟؟، فنفى نوح عن نفسه الضلالة وبين لهم أنه مرسل من رب العالمين خالق السماوات والأرض .

٥-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس: ٧١ —٧٣] .

قال نوح لقومه : يا قومي إن كان قد شق عليكم وأرهقكم وجودي بينكم زمنا طويلا وكبر عليكم تذكيري إياكم الدائم والمستمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له فأنا لا أكف أبدا عن ذلك فافعلوا ما شئتم واستعينوا بشركائكم دون خفاء أو غمة (التفسير الميسر للدكتور محمد سيد طنطاوي) ... بتصرف

٦- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ

(٢٨) وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ
إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ (٢٩) وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي
مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣١) قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن
كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ (٣٣) وَلَا
يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ
تُرۡجَعُونَ (٣٤) أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا
تُجۡرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا
كَانُواْ يَفۡعَلُونَ (٣٦) وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم
مُّغۡرَقُونَ (٣٧) وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن
تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ (٣٨) فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ
زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ (٤٠)
۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (٤١) وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ
فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن
مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ
ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي
مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ
أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ
بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ
لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا
وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ (٤٨)

تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود: ٢٥ – ٤٩] .

هذه الآيات تبين المشكلة المتكررة لكل رسول مع قومه الكافرين بما جاء به من هدى، فهم ينكرون وجود الله الذي لا يرونه ثم يستعجبون أن الذي أرسل إليهم هو بشر مثلهم ويتساءلون فيما بينهم لماذا لم يرسل الله ملكا من السماء ؟ ولو أرسل الله إليهم ملكا من عنده ما أصبح هناك لا حاجة ولا قيمة لإيمانهم لأن الأمور ستصبح واضحة تماما بالنسبة لهم ،وكما العادة في كل دين منقذ للبشرية أن أول من يؤمن بهذا الدين هم الضعفاء والفقراء المستضعفون في الأرض لأنهم يجدون فيه خلاصهم ، ثم قال لهم نوح : يا قومي لقد جئتكم بالحقيقة البينة من ربي وبرحمته لكم ففضلتم العمى عن إتباع رسالته لكم ولم تهتدوا بها فهل أجبركم على إتباع رسالة ربي وقد أصابكم العمى عنها وأنا لن أجبر هؤلاء الضعفاء الذين تحتقرونهم علي ترك دين الله والعودة إلى ما كانوا عليه من الضلالة ، فقالوا له : يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، هنا أريد أن أقف وقفة لعلي أستطيع توصيل مفهوم خاص لك أخي القارئ عن هذه الآية في هذا الموقف بالذات فهناك مرض يسمى الإسقاط النفسي وهو أن يقوم الشخص الذي يعاني من مشكلة ما بإسقاط ما يعانيه في نفسه على من حوله فاللص مثلا يقول أن الناس كلهم لصوص ويقول الشاعر:

تغشى البرية كدرة وكأنها * صعدت إلى عيني من أحشائي**

هنا يبين لنا الشاعر أنه يرى الدنيا وقد غشتها كدره وكآبه ليس لأن الدنيا بها هذه الكدرة والكآبة فعلا ولكن الشاعر تملأ نفسه الكدرة والكآبة فانتقلت هذه الأحاسيس من نفسه إلى عينه فغشيتها فلم يعد يشاهد إلا

هذة الكدرة تملأ الدنيا مع أنها غير موجودة في الحقيقة ، كمن ينظر إلى الدنيا من خلف زجاج أحمر فيراها حمراء أو أخضر فيراها خضراء أما في حالة قوم نوح فقد قالوا لنوح (قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) وبهذه الكلمات نفث الكافرون عن شديد حقدهم لنوح في أمرين :

١- أنهم هم في الأساس الذين يجادلون لكنهم أسقطوا صفة المجادلة عن أنفسهم واتهموا بها نوحا ونسوا أن نوحا كان فقط يجيب على أسئلتهم الغير منتهية .

٢- أنهم افترضوا بخبث أنهم على حق وعلى عقيدة ثابتة وأن نوحا هو الذي يجادلهم للنيل من عقيدتهم وبذلك قلبوا الحقائق وأمعنوا في تضليل أنفسهم .

<u>أما الحديث الذي ربما سيطول وربما يجلب لنا نقاشا كثيرا فهو في الآيات الآتية</u> :-

أ- الآية رقم ٣٤ من سورة هود قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

فنلاحظ أن نوحا يقول ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ والسؤال ماذا يقصد نوح بكلمة ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾ ؟

ب - قال إبليس مقسما بالله عز وجل في الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣]

فماذا يقصد إبليس بكلمة ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ ؟

جـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦]

ماذا يقصد إبليس بكلمة ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ ؟ قليلا من الصبر والتروي أخي القارىء هيا بنا لنتذكر آية ..آية ونعلق عليها على قدر إمكانياتنا والله أعلم

١ - قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) ﴾ [هود: ٣٢ – ٣٤] .

التعليق :- فضلنا هنا ذكر الآيتين ٣٢ ،٣٣ من سورة هود حيث يقول نوح لقومه : لقد تناقشت معكم وناقشتموني كثيرا وأمضيت معكم العمر الطويل جيلا من بعد جيل أبين لكم طريق الخير وأدعوكم إليه وطالما أن نصحي لم تستفيدوا منه ولم يتدخل الله عز وجل في إجباركم على الهداية وترككم على ما أنتم عليه من الضلالة وترك لكم حرية الاختيار ولم يجبركم علي شي فسيكون مصيركم الإمعان في الغي والضلالة وستستمرون على طريق الغواية والهلاك الذي اخترتموه لأنفسكم

إن الحديث السابق أخي القارئ حديث يقبله العقل فليس من المعقول أن يخلق الله البشر ويستخلفهم في الأرض بغرض إضلالهم وإغوائهم فالله سبحانه وتعالى في سورة الإنسان يقول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) ﴾ [الإنسان: ٣ – ٥] .

حيث يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أنه هدى الإنسان لسبيل شكره على نعمائه ونهاية هذا السبيل الجنة وكذلك عرفه طريق الكفر وحذره منه لأن نهايته السلاسل والأغلال والسعير وترك له حرية

الاختيار في ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد: ٨ – ١٠] .

وبذلك عرف الله الإنسان طريق الخير وطريق الشر فالله يهدي من يشاء ويضل من يشاء فإذا أراد الإنسان لنفسه الهدى يهديه الله وإذا أراد الإنسان لنفسه الضلالة يضله الله فالإنسان هو صاحب الاختيار والله الموفق ، وبذلك تتحقق الآية الكريمة .قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٦ – ٧] .

هنا يبين الله سبحانه وتعالى حال الكفرة بأنهم لا يؤمنون إن أنذرتهم أم لم تنذرهم فالنتيجة واحدة وهي عدم الإيمان وربما سأل سائل: ماذا تنتظر من أناس ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ووعدهم بعذاب عظيم ؟؟ أقول لهذا السائل : لقد أمعن هؤلاء الناس في الكفر منذ بدايتهم ،أدخلوا الكفر في أنفسهم بذرة فتعهدوها بالسقاية حتى أصبحت نبته صغيرة فاهتموا بها فأصبحت شجرة كبيرة جذورها غائرة في قلوبهم فحافظوا عليها فأظلتهم بغمامة سوداء حجبت عنهم نور الحق فأصبحوا لا يبصرون ولا يفقهون ولنقرب الصورة أكثر ونضرب مثلا لشخص درس علم الطب منذ بدايته في المدرسة إلى الجامعة إلى الماجستير فالدكتوراه فأخلص في الدراسة حتى وصل إلى الأستاذية ، ألا يستحق هذا الطالب أن يختم له على شهادته بأكبر خاتم في الدولة ؟؟ كذلك (مع فارق التشبيه) لقد أمعن وأخلص المشركون في طلب الكفر حتى استحق كل منهم لقب أستاذ في الكفر واستحقوا من الله أن يختم لهم بخاتم

الكفر على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم ولهم عذاب عظيم ، فقد بذلوا كل غال ورخيص في طلبه فاستحقوه من الله (والله في ذلك عادل) لأنه على الجانب الآخر ختم لغيرهم بالإيمان.

أما الآية ١٦ في سورة الأعراف يقول تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦] .

بكل وقاحة يتهم إبليس ربه بأنه هو الذي أغواه فكيف ذلك ؟؟

ولكي نرد على أقدم وأول وأحقر كذاب عرفه تاريخ الإنسانية الذي يتهم ربه افتراء بأنه أغواه نقول له : ألم يأمرك الله بطاعته والسير في طريق رضاه عندما أمرك أن تسجد لأدم فاستكبرت ؟؟

ألم تختر بنفسك طريق عصيان الله ؟؟

فقل لي يا إبليس كيف أغواك الله ؟ إنه اختيارك ولم يجبرك الله عليه أما قوله تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢ - ٨٣] . هنا يقسم إبليس بعزة الله أنه سيغوي بني البشر ويستثني منهم عباد الله المخلصين وهذا توضيح من إبليس للبشر، أما طرق إغواء إبليس للبشر فيقول تعالي﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]

٧- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧] .

اتجه نوح للدعاء مستغيثا الله مما هو فيه (أطلق الله لفظ الكرب اختصارا لما يعانيه نوح عليه السلام وأهله من شدائد بسبب القوم الكافرين) فنصره الله هو والمؤمنين برسالته على القوم المكذبين.

٨- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٧] . رغم مرور آلاف بل ربما ملايين السنين على طوفان قوم نوح وكان من الطبيعي أن تدخل هذه القصة أدراج غياهب النسيان إلا أن الله حفظ قصتهم في الكتب السماوية وجعل منها آية يتعلمها كل إنسان ليأخذ منها العبرة لأن الغرق في معصية الله تؤدي بالإنسان للغرق والضياع في الدنيا والآخرة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ
وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ١٠٥ – ١٢٢] .

هنا يسأل قوم نوح نبيهم متعجبين: كيف نؤمن لك وقد اتبعك الأرذلون ونصبح نحن والفقراء المساكين الذين يعيشون على الأعمال الحقيرة سواسية ، إن هذا الدين يسوي بين العظماء والحقراء ، قال لهم نوح إن الله هو أعلم بسرائرهم وما أنا إلا نذير للجميع ولن أطرد المؤمنين من أجل إيمانكم المزعوم حتى تدخلوا في هذا الدين.

وحتى لا نطيل عليك أخي القارئ نرجو منك مراجعة الآيات الآتية:-

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤ – ١٥] .

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [الصافات: ٧٥ - ٨٢]

٣- تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾[القمر: ٩ – ١٦]

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٣ – ٣١]

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ [غافر: ٦] . وبهذه الآية فشل الكافرون من قومك نوح في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

١٣- ثعلبة بن حاطب الأنصاري :

عزيزي القارئ كنت أود عدم ذكر اسم بطل قصتنا هذه لأن هناك الكثير من الكتب والمراجع التي أنكرت قيام هذا الصحابي بهذا العمل الحقير الذي سنقصه عليكم وأنا لا يهمني ولا يفيدني ذكر اسم معين لشخص معين بقدر ما يهمني سرد قصة الحدث نفسه للاستفادة منها وإليكم الحدث مستعملا الاسم للتوضيح فقط .

أتى ثعلبة رسول الله (ﷺ) فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يرزقني مالا فقال له رسول الله (ﷺ) ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، أما ترض أن تكون مثل رسول الله ؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت لدعوت الله أن يسير لي الجبال ذهبا وفضة، فقال ثعلبة لرسول الله: لأن دعوت الله أن يرزقني لآتين كل ذي حق حقه ، فدعا له رسول الله: اللهم أرزق ثعلبة مالا ، وكان ثعلبة يرعى الغنم فتكاثرت غنمه كما يتكاثر الدود فضاقت عليه المدينة بغنمه فخرج منها ونزل واديا من أوديتها وانشغل بماله فلم يعد يصلي إلا الظهر والعصر في جماعة ثم انشغل بماله أكثر فلم يعد يصلي إلا الجمعة ولما نزل قول الله عز وجل

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٣] .

بعث رسول الله برجلين لجمع الصدقات وأمرهما أن يمرا بثعلبه فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله (ﷺ) فقال ثعلبة: ما هذه إلا جزية .. ما هذه إلا أخت الجزية وما أدري ما هذا ؟ .. انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي، فانطلقا ثم عادا إليه مرة أخرى فكرر ما قاله لهما : ما هذه إلا أخت الجزية ثم طلب منهما الذهاب مرة أخرى حتى يفكر في أمره فذهب الرجلان إلى رسول الله (ﷺ) فلما رآهما قال (يا

وبخ ثعلبة) بعدما حكيا له قصتهما مع ثعلبة فأنزل الله عز وجل على رسوله قرآنا :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧] .

نزلت هذه الآيات على رسول الله وعنده أحد أقارب ثعلبة فلما سمع ذلك أسرع وأخبر ثعلبة فجاء ثعلبة إلي رسول الله (ﷺ) طالبا العفو والسماح متوسلا راجيا منه أن يقبل صدقته فقال له رسول الله (ﷺ) : إن الله قد منعني أن أقبل صدقتك ، فأخذ ثعلبه يحثو التراب على رأسه ويقول: يا ويل ثعلبه . فقال (ﷺ) : هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني.

انتقل رسول الله (ﷺ) إلى جوار ربه فرفض أبو بكر قبول صدقة ثعلبة وكذلك حذا حذوه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومات ثعلبه في عهد عثمان بن عفان ونهايته يعلمها الله .

والآن أرجو منك أخي القارئ أن تعيرني سمعك وعقلك لنعلق سويا على حكاية ثعلبة بن حاطب الأنصاري من خلال آيات الذكر الحكيم التي نزلت فيه ،تقول الآية القرآنية (٧٥: ٧٧ التوبة)التي نزلت في ثعلبة أنه عاهد الله لئن آتاه الله من فضله ليتصدق وليكون من الصالحين ، فلما آتاه الله من فضله بخل بما آتاه فتولى وأعرض عن إيتاء الصدقة فكان نتيجة هذا العمل هو تمكن النفاق من قلبه إلى يوم أن يلقى الله لأنه خالف وعده مع الله وكذب ولم ينفذ ما وعد الله به فأصبح ثعلبة بذلك منافقا، ومهما فعل من ندم وتوبة فلم يقبلها الله منه لأنه أخلف وعده مع الله (كم مرة أخلفنا

وعدنا مع الله ؟؟..يا حسرتاه)وفشل ثعلبة في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

<u>تعليق مهم جدا علي قصة ثعلبة</u>

كم مرة عاهدنا الله ولم نف بالعهد ؟..كم مرة نذرنا ولم نف بالنذر؟ .. كم مرة كذبنا وتحرينا الكذب ؟ .. فمن يضمن لنا أن لا نكون مثل ثعلبة ؟.. كم مرة عاهدنا الله إن آتانا كذا سنفعل من الخير كذا وكذا ، فلما آتانا الله بخلنا ونسينا ، وحال مرور الأيام سخونة عهدنا مع الله بردا وحرارة رجائنا وتوسلنا إلى الله ثلجا ، ذنوب كثيرة وأيمان غليظة طوتها السنون والأيام بالنسيان فلم نعد نذكرها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦] . وكأن الله أنزل الآية السابقة فينا.

من يضمن لنا أننا أصبحنا مثل ثعلبة لأننا عاهدنا الله ونقضنا العهد مغه ألا نخاف أن يعقب أعمالنا هذه نفاق في قلوبنا ونلقى الله بنفاقنا هذا يوم القيامة ؟ اللهم إنا نعوذ بك من النفاق ونطلب رحمتك ونخشى عذابك ففي نفس كل واحد منا ألف ثعلبة ، اللهم أرزقنا نعمة الإفلات من عذابك يا غافر الزلات ..آمين

<u>أنا وثعلبة والثلاثة الذين خلفوا :</u>

بعد انتهائي من كتابة ثم قراءة قصة ثعلبة أصابني الذعر الشديد ، فثعلبة اقترف ذنبه برفضه دفع الصدقة لرسولي رسول الله (ﷺ) ثم ما لبث أن راجع نفسه بعدما علم بنزول قرآن فيه فهو ما يزال يخشى الله ولم يكفر ولم يخرج من ملة الإسلام بل يمكن وصفه بالمسلم العاصي فلماذا تم التعامل معه بهذه الشدة وبهذه السرعة؟

إن الثلاثة الذين خلفوا قد اقترفوا ذنبهم عندما تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله (ﷺ) في جهاده ضد الروم ولم يتراجعوا ولم يذهبوا نهائيا للجهاد ولم يحاولوا استدراك الأمر ولكن ثعلبة استدرك أمره سريعا وذهب لدفع الصدقة فلماذا التعامل باللين نوعا ما مع الثلاثة الذين خلفوا وبالشدة مع ثعلبة ؟؟

أما بالنسبة لي شخصيا فرغم أنني أعرف قصة ثعلبة جيدا منذ طفولتي إلا أنني عندما درستها جيدا ودرست الآيات التي نزلت فيها أحسست برعب شديد خاصة عندما قرأت قول الله تَعَالَى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [التوبة: ٧٧] .

فقد سبق أن وعدت الله كثيرا ، تمنيت أشياء ونذرت أشياء بعضها فوق طاقتي ، فلم أف لا بوعدي ولا بنذري فهل أعقبني الله بذلك نفاقا في قلبي ؟ هل أنا من المنافقين ؟ إن في تصرفاتي طوال عمري ثعالب كثيرة .. ماذا أفعل؟ لابد أن في قصة ثعلبة أمورا لم أنتبه لها .

لم أنم طوال ليلي حتى صلاة الفجر وضاقت نفسي واضطربت أنفاسي ، وبعد أدائي لصلاة الفجر جماعة بالمسجد حاولت النوم ولكني نمت نوما متقطعا عانيت خلاله من كوابيس شديدة أضجت مضجعي وكلما تقلبت على جنبي جاءني من يسألني لماذا تاب الله سبحانه وتعالى على الثلاثة الذين خلفوا ولم يتب على ثعلبة ؟

إن كان الله لم يتب على ثعلبة فربما (والعياذ بالله) لم يتب علي شخصيا ،فقد أعقب الله نفاقا في قلب ثعلبة ومن يدر ربما أعقبني الله نفاقا في قلبي كذلك (أعوذ بالله)

غزا الهم والغم قلبي ونفسي وأنا أضع نفسي وثعلبة في مقارنه ثم أضع ثعلبة والثلاثة الذين خلفوا في مقارنة أخرى متمنيا لنفسي ما تمناه الثلاثة الذين خلفوا لأنفسهم ، وأرجو من الله أن يحقق لي ما حققه لهم ، وأخذت في وزن الموضوع بميزاني الخاص ذو الثلاث كفات وليس بكفتين كما هو معهود ، والذي انتهيت عنده أن الميزان لا يستوي عندي ، فلماذا تميل الكفة في صالح الثلاثة الذين خلفوا ؟ ، لابد أن هناك أمر لم أنتبه إليه ومن علي إلا أن أقرأ الآيات الكريمة وأقرأ قصتي مرة أخرى : فثعلبه عاهد الله لئن آتاه من فضله فسوف يتصدق وسيكون من الصالحين أما الثلاثة الذين خلفوا فلم يعاهدوا الله على شيء ، ثعلبة استنكر أن يكون ما هو مطلوب منه (صدقة) لكنه اعتبرها (جزية) أما الثلاثة الذين خلفوا فلم يعترضوا على أن المطلوب منهم هو (الجهاد) في سبيل الله ،هم فقط عصوا الله في الالتحاق، ولم ينكروا الجهاد (كفريضة)، إذا الفرق الجوهري بين ثعلبة والثلاثة الذين خلفوا هو قيام ثعلبة باستنكار ورفض بل والتشكيك في فرض من فروض الله أمر الله به رسوله وهو (الصدقة) أما الثلاثة الذين خلفوا فلم ينكروا الجهاد كفرض على المسلمين بل تخلفوا فقط.

إذا وجدتها ....وجدتها .....فثعلبة أراد أن يجتث ويقطع أصلا من أصول الدين الذي يساعد الفقراء من هذه الأمة الوليدة على العيش بسلام مع إخوانهم الأغنياء ، فماذا يحدث لو اقتنع بفكر ثعلبة بقية الأغنياء وحذوا حذوه ؟النتيجة هي انهيار المنظومة المالية لبيت مال المسلمين المعتمدة على الصدقة لإحداث توازن بين فئتي المجتمع من الأغنياء الذين يملكون المال والفقراء الذين يحتاجونه لتسير أمور حياتهم وما أكثرهم في ذلك الزمان .

فأنا لست ثعلبة فلم يسبق لي أن أنكرت ركنا من أركان الإسلام حتى لو تكاسلت عنه فتره ولم أعطه حقه كاملا لحين ميسره .

فلا أنا ثعلبة ولا الثلاثة الذين خلفوا مثل ثعلبة فلم يعترض أحد منا على شرع الله وليس هناك مجال للمقارنة بيننا وبينهم فلم يسبق لنا وأن أنكرنا ركنا أساسيا ولا غير أساسي من أركان ديننا ،فليساعدنا الله على تطبيق شرعه كاملا ويقوي إيماننا والحمد لله رب العالمين .

ولا أريدك أخي القارئ أن تنس أننا استعملنا اسم (ثعلبة) للتوضيح فقط ،وطالما أننا لم نعرف البطل الحقيقي للقصة فبطلها الحقيقي هو كل من يفعل ما جاء بها من إنكار لركن من أركان الإسلام على طول الزمان وعموم المكان .

* * *

النـــار عذاب غافر الزلات

نار الدنيا ، كلنا نعرفها جميعا ، ذاقها وتعرف عليها المؤمن والكافر.لا يفرق ألمها وعذابها بين طائع وغير طائع ، فكل من تعرض لها لسعته ، ولكن نار الآخرة لن يذوقها إلا العاصي و الكافر المنكر لوجود الله ، والغير معترف في ذاته بوجوب العبادة لله وحده خالقه ورازقه ، لذلك نستطيع أن نوجز قولنا بأن نار الدنيا تصيب كل من تعرض لها سواء كان مؤمنا أم كافرا أما نار الآخرة فلكل كافر وعاص فقط .

ولنار الدنيا استعمالات كثيرة كالطهي و الصناعة والتدفئة وغيرها من استعمالات مفيدة وغير مفيدة ، وهي خاضعة في كثير من الأمور إلي توجيهات الإنسان ونشاطاته الحياتية المختلفة من جوانب الخير أو الشر ، أما نار الآخرة فتختلف اختلافا جذريا عن نار الدنيا في شدتها وقوتها وكذلك في استخداماتها ، حيث أن الاستخدام الوحيد لنار الآخرة هو في عذاب الكافرين والعاصين من بني آدم الذين رفضوا منهج ربهم في أرضه وأتبعوا مناهج أخري تتحكم فيها أهواؤهم وشهواتهم ، فلا سيطرة لأحد علي نار الآخرة إلا لله خالقها .

فنار الدنيا يستطيع الإنسان مؤمنا كان أم كافرا أن يشعلها و يطفئها ، أما نار الآخرة فخلقت كي تظل مستعرة ، ولكي نقترب أكثر من الصورة علينا استعراض بعض آيات الذكر الحكيم التي تتحدث عن طبيعة نار الآخرة لنتعرف عليها أكثر وتصير الصورة أوضح و اقرب :- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر: ٣٦] .

لا جزاء للذين كفروا إلا نار جهنم خالدين فيها لا يموتون لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ولا يتم تخفيف العذاب عنهم ، فلكل واحد منهم نصيبه المحدد من العذاب وذلك جزاء كل من كفر بربه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [النساء: ٥٦] .

المسئول عن الإحساس بالألم هو خلايا عصبية طرفية موجودة بالجلد ، فإذا (لا قدر الله) أصيبت هذه الخلايا بعطب فلا يشعر الإنسان بأي الم ، وكثير من الأمراض تؤدي إلي فقد الإحساس لهذه الخلايا فيتعرض الشخص للأذى ولا يشعر به وربما يسيل الدم من جلده ولا يدري به ، وبمجرد تلف هذه الأعصاب يفقد الإنسان إحساسه بكل ما يتعرض له جلده ويؤذيه.

أما في جهنم ولكون الكافر أو المذنب يتعرض و بصورة مستمرة إلى العذاب ، فكلما نضجت وتلفت جلودهم وبما تحتويه من أعصاب ، يتم تبديلها تلقائيا و بقدرة من الله لتستمر عملية الإحساس بالعذاب دون توقف أو راحة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [غافر: ٤٩] .

هنا يصبح الحلم الأكبر لأهل جهنم هو أن ينالوا قسطا من راحة و لو ليوم واحد من العذاب ، ويطلبون ويتوسلون بخزنة جهنم أن يحدثوا ربهم ويطلبوا منه هذا الطلب وهو راحة لمدة يوم واحد من العذاب وهذا يعتبر أقصي أمانيهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطور: ١٢ – ١]

يوم يدعون إلى نار جهنم : أي يوم يساقون ويتم دفعهم بقوة لدخول نار جهنم رغما عن أنوفهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك: ٦- ١١] .

كتب الله للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وَبِئْسَ المصير ، عندما يتم إلقاؤهم في جهنم يسمعون لها شهيقا (أي قوة شفط كبيرة) وهي تفور (أي تغلي) ، تكاد تميز من الغيظ : أي تكاد تتفتت من شدة الغضب والغيظ .

طعام وشراب أهل النار:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الصافات: ٦٢ – ٦٨] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الدخان: ٤٥] .

بعض صفات النار :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [المعارج: ١٥ – ١٨] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤١] . (مهاد : فراش-غواش :غطاء) .

صورة من العذاب في جهنم :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا
رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا
مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا
﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا
﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ ﴾
[الفرقان:١١ – ١٦] .

يبين لنا رب العزة انه قد أعد لمن كذب بيوم القيامة سعيرا ، هذه النار إذا رأت المكذبين من مكان بعيد أفصحت عن نفسها لهم (لاحظ أن الله أعطى النار القدرة على رؤية المكذبين)، فسمعوا لها صوتا شديدا ينم عن غيظها الشديد من أفعالهم وتكذيبهم بيوم القيامة وبالجنة والنار، فتصدر زفيرها من الحمم فتدفعها في اتجاههم ، حتى إذا جئ بهم فتم إلقائهم في مكان ضيق منها ، فهم يتلقون العذاب داخل هذا المكان الضيق ، فلو كان المكان واسعا لكان لديهم فرصة الحركة والحلم بالإفلات من بعض العذاب بالنزوح إلى مكان آخر اقل عذابا (على قدر تفكيرهم) ، ولكن المكان ليس ضيقا فحسب ولكنهم مقرنين أي مربوطين داخل المكان الضيق ، فلا يستطيعون الاهتزاز أو الحركة ، فأصبح حالهم هو اليأس ، فحينئذ أدرك الكافرون انه لا مفر من العذاب فتمنوا لأنفسهم (ثبورا) أي هلاكا و موتا مرة أخري ، فيقول لهم الجبار رب العزة : لا تتمنوا لأنفسكم ثبورا واحد ولكن تمنوا لأنفسكم ثبورا وهلاكا كثيرا .

ثم يأمر غافر الزلات رسوله أن يبين لنا الفرق بين ذلك العذاب والسعادة في جنة الخلد التي وعد الله بها المتقين لتكون لهم جزاء و مصيرا .

وصف دقيق لأهل النار وتعليق مهم :

من يقرأ الآيات آلاتية : **(الآية ١٢ الفرقان)** ، **(الآية من ٧ ~ ١٠ الملك)** ، **(الآية ١٠٦ هود)**، **(الآية ١٠٠ الأنبياء)** ، **(الآية ١٠٦ ~ ١٠٨ المؤمنون)** ، **(الآية ٧٧ الزخرف)** ، **(الآية ٧٧ آل عمران)** ، قد يظن البعض أن هناك تضارب بين الآيات وبعضها البعض وهذا من قبيل سوء الفهم الذي واجهني عند قراءة الآيات ، ولما كان يقيني عندما أواجه مثل هذه المشاكل أن الخطأ هو في عدم فهمي للآيات ، أعاود القراءة مرات عديدة حتى يتم إزالة اللبس الذي التبس علي عقلي ، وحتى لا تعاني أخي القارئ مما عانيت منه سنقوم سويا بإلقاء النظر علي هذه الآيات واحدة تلو الأخرى :

(الآية ١٢ الفرقان) :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾

هنا توضح الآية أن النار بمجرد أن تري الكافرين من مكان بعيد تفصح عن نفسها لهم فتصدر زفيرا له صوت مرعب ، والزفير عبارة عن عملية نفخ للحمم وقذائف اللهب فيسمع الكافر صوت غيظها منه واستعدادها لابتلاعه وحرقه فيها بعملية شهيق تلي عملية الزفير ، وهذا نوع من أنواع العذاب السمعي للكافر ، مع ملاحظة أن الكافر لم يتم إلقاؤه بعد في النار ، فهو ما زال يسمع ما يأتي أذنه من زفيرها وغيظها منه ويمكنك أن تلاحظ هنا أن النار تري الكافر وتستعد له والكافر يعي ذلك جيدا بسمعه وبصره.

(الآية ٧~١٠ الملك) :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

بعد سماع الكافر لزفير النار في الآية السابقة (١٢ الفرقان) تأتي هذه الآيات (٧- ١٠ الملك) لتصف حالة الكافر أثناء إلقائه في النار ، فهو يسمع شهيق النار (أي قوة شفطها) وهي تغلي والكافر ، في هذه الحالة مازال يسمع جيدا ويستطيع الرد علي أسئلة خزنة جهنم وقد تم إلقاؤهم في التو واللحظة الراهنة .

(الآية ١٠٦هود) :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾

تبين هذه الآية أن الذين اختاروا لأنفسهم طريق الشقاء في الآخرة بما اكتسبوه من إثم في دنياهم ، يعانون في النار من عذابين مختلفين ، عذاب الحاجة إلى الشهيق وهو احتياج صدورهم إلي الهواء ، فإذا ما اخذوا (شهيقهم) من هواء جهنم وجدوه نارا تغلي في صدورهم لم يتحملوها ، وعذاب الزفير حيث يقومون علي الفور بإخراج هذا الهواء الساخن وطرده من صدورهم ، وما يلبثون إلا أن يعاودوا الكرة مرة أخرى من شهيق و زفير في عملية سريعة متكررة فلا يطيقونها لا شهيقا ولا زفيرا، لاحظ استعمال (لهم فيها) وعدم استعمال (لهم منها) بمعنى أن أهل النار يعانون من الزفير والشهيق الخاص بهم داخل النار .أما لو تم استعمال (لهم منها) لكان المقصود به معاناتهم من زفير وشهيق النار نفسها وليس زفيرهم وشهيقهم أنفسهم.

(الآية ١٠٠ الأنبياء) :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾

يبين لنا رب العزة في هذه اللقطة الجانبية من حياة الكافرين بعد استقرار الحال بهم داخل جهنم ان للكافر زفيرا قويا يحاول به إخراج ما سبق أن قام بشفطه في صدره من هواء جهنم فلا يتحمله فيسرع بإخراجه وطرده من صدره

بقوة كما كان يفعل في الدنيا عندما يضيق صدره بالهواء فيحاول إخراجه آملا في الشعور بالراحة عندما يستمع إلي صوت زفيره .

لكنه في هذه الحالة ومع ارتفاع غليان نار جهنم وارتفاع صوتها المرعب ، فقد سمعه وأصبح أصما لا يسمع ولا يعرف أي أخبار تدور من حوله ليس بسبب صمم أصابه ولكن بسبب صوت قوة زفيره وزفير النار وما تطرده بقوة من لهيب وحمم فينعدم الأمل عنده ، وهذا جانب آخر من العذاب أن يصبح المعذب أصما لا يسمع ،وبهذا الشرح المطول للآيات السابقة ، نأمل أن نكون قد أزلنا اللبس بين شهيق وزفير النار وبين شهيق وزفير الكافر داخل النار ، وبينا أن الكافر يستطيع السمع قبل أن يلقى به في النار وأثناء الإلقاء به فيها ، فإذا ما القي به داخلها فقد سمعه وأصبح أصما لا يسمع وهذا جزاء له علي تصرفه في الدنيا عندما رفض الاستماع والتعقل لهدي الله عامدا متعمدا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]

الآية السابقة تبين نوعا آخر من العذاب بالندم على رفضهم الاستماع لصوت الحق والتعقل في أمر ربهم والتغافل في الدنيا ،ثم نأتي لمناقشة الآيات الآتية لإزالة ما بقي في فهمنا من لبس :

(الآية ١٠٦ - ١٠٨ المؤمنون)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

هنا يتوجه أهل جهنم بالتضرع مباشرة إلي الله معترفين له بذنبهم وبأنهم كانوا ضالين ويطلبون رحمته وعفوه فيرفض رب العزة طلبهم ويمنعهم من الحديث مباشره معه ، لكنهم لا يفقدون الأمل ويبحثون عن وسيط يتوسط لهم عند ربهم ذو مكانة عظيمة عند خالقه فتاتي الآية الآتية :

(الآية الزخرف ٧٧)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

فبعدما تأكدوا من أنه لا مجال للرحمة بهم ، هنا يطلبون من مالك خازن جهنم أن يتحدث مع ربهم بشأن القضاء عليهم نهائيا فيأتيهم مالك بالرد : إنكم ماكثون في جهنم ويقول الله فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[فاطر: ٣٦] .

بعد تناولنا للآيات السابقة بالشرح نجد ظاهر اختلاف بين الآية (١٠٠ الأنبياء) التي تنفي السمع عن أهل النار والآيات (١٠٨ المؤمنون – ٧٧ الزخرف) واللتان تؤكدان قدرة أهل النار على السمع ،ولإزالة اللبس عما سبق يتضح لنا أن الكافر يفقد القدرة علي الاستماع بسبب ضجيج وعذاب النار ولا يفقد القدرة علي السمع فجهازه السمعي سليم ويعمل بكفاءة عالية ولكن الضوضاء من حوله تفقده القدرة علي الإنصات و الاستماع أحياننا بدليل أنهم يتحدثون مع الله مباشرة ويطلبون وساطة مالك ويستمعون إلي الرد ثم تأتي الآية الآتية التي ربما تدخل أيضا بعض اللبس . **الآية ٧٧ آل عمران**

تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[آل عمران: ٧٧] .

يقول تعالي إن الذين لا يوفون بعهد الله ويحنثون بإيمانهم ابتغاء عرض زائل من أعراض الدنيا فمثل هؤلاء لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يعطيهم أي أهمية (هذا أثناء يوم القيامة فقط) فإذا ما انتهي يوم القيامة ودخلوا النار سمح لهم كباقي زملائهم من أهل النار بالحديث معه لمرة واحده وأخيرة(في الآية ١٠٦ – ١٠٨ المؤمنون) (فبعدها ليس مسموحا لهم بالحديث نهائيا فقط عليهم المكوث في النار وحسب ، مع العلم أن كثرة عددهم في النار

لا يقلل من شدة العذاب المقسوم لكل واحد منهم ، فكل واحد منهم يتم التعامل معه علي حده ويحصل علي نصيبه المقسوم له من نار جهنم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الزخرف: ٣٩] .

وهنا تضطرنا الظروف للنقاش في موضوعين هامين لم أكن أود أن أتحدث فيهما لما لهما من حساسية خاصة لدي البعض و ما آثارا من مشاكل كثيرة بين مؤيد لكل منهما و معارض ، أما أنا فمن كثرة ما قرأت فيهما لا استطيع دفعك أخي القاري في اتجاه معين للأخذ بمنحي معين بقدر ما أريد أن أوضح بعض النقاط التي تحتاج لتوضيح لألقي عليها الضوء ثم اترك الحكم للعلماء المتخصصين في هذا المجال وفي مجال الأحاديث النبوية الشريفة لحسم القضيتين الآتيتين :

١- **القضية الأولي:**

هل من يدخل النار سيخرج منها ؟

٢- **القضية الثانية :**

هل ستقبل شفاعة للمؤمنين من أهل النار تمكنهم من دخول الجنة بعد ذلك؟

وللتعليق علي ذلك سنقوم باستعراض بعض الآيات ومن ثم إلقاء بعض الضوء عليها و ذلك بغرض الحصول علي نتائج .

أولا:القضية الأولي :

(لمن يدعي مكوث أهل النار في النار وعدم خروجهم منها نهائيا)

قال تعالي (الآية من ٨٠-٨١ البقرة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

هنا يدعي اليهود أنهم لن يمكثوا في النار يوم القيامة إلا أياما معدودة ، ويرفض الله سبحانه ادعائهم الكاذب هذا و يقول : هل وجدتم عند الله عهدا بذلك و الله لا يخلف عهده أم تفترون علي الله الكذب ؟ إن من اقترف إثما و استولت عليه خطيئته فهو من أهل النار يقيم فيها أبد الآبدين (لاحظ كلمة (من كسب) هل هي تشمل كل المذنبين من البشر أم من اليهود فقط ؟) ، أظنها للجميع .

خلاصة ما سبق أن إشاعة الناجون من النار هي أكذوبة إسرائيلية وثقها القران الكريم

(الآيات(٥ – ٧) التكاثر – الآية ١٨٥ آل عمران)

أما عن الآيات من (٥ –٧)التكاثر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التكاثر: ٥ – ٧]

روي أن بني (عبد مناف) وبني (سهم) تفاخروا فيما بينهم بالعدد و الكثرة فقال بنو (سهم) : فاخرونا بالأحياء و الأموات (أي اجمعوا عدد أحيائنا و أمواتنا و كذلك اجمعوا عدد أحيائكم و أمواتكم) و عندما عدوا الأموات فغلب بنو (سهم) بني(عبد مناف) ، فنزلت هذه السورة (التكاثر) تبكيتا لهم و تأنيبا علي انشغالهم بالدنيا علي الآخرة و أنه يجب عليهم أن يشغلوا أنفسهم بالآخرة حيث يرون الجحيم و هي نار الآخرة رؤية لا شك فيها ، فالرؤية هنا لا تستلزم الدخول في النار بل هي مجرد النظر فقط من بعيد و لم يتم الدخول بها حتى يتسنى الخروج منها ، ثم تأتي الآية (١٨٥ آل عمران) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

حيث تبين لنا هذه الآية أن كل نفس ذائقة الموت لا محالة و إنما نوفي أجورنا يوم القيامة فمن أبعده عمله عن النار و ادخله الجنة برضا ربه فقد فاز (هنا تؤكد الآيات أن من تم زحزحته أي إبعاده عن النار و الزحزحة في الأصل تكرار الزح و هو الجنب بسرعة و عجلة و لم يدخل في النار من الأصل حتى يخرج منها)

(الآية ٣٦ فاطر)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فاطر: ٣٦] .

لاحظ أن الآية السابقة خاصة بالذين كفروا (كل كفور) و ليست خاصة بالمذنبين من المؤمنين الذين دخلوا النار وسبق أن وجه الكلام للذين كفروا بداية الآية .

(الآية ٧٤ طه)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ [طه: ٧٤] .

لاحظ أن هذه الآية تخص المجرمين و الأجرام علي إطلاق لفظه يشمل الكفر و الشرك بالله و المعاصي الكبيرة .

(الآية ١٠٣ المؤمنون)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣] .

تقول هذه الآية : و من خفت موازينه فلم تحدد الآية من خفت موازينه من المؤمنين أم من الكافرين ؟ (الذين ليس هناك حاجة لوزن أعمالهم أصلا، فيكفيهم الكفر)

(الآية ١٠٨ المؤمنون)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

فيرد الله علي اقتراحهم طلب الخروج من النار بأن قال لهم أخسئوا فيها أي اسكتوا سكوت ذل و قهر و هوان فليس من حقكم طلب الخروج من النار .

(الآية ٣٦-٣٧ المائدة)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾

الآيات السابقة تؤكد أنه لا توجد وسيلة أو طريقة تمكن الكافرين من الخروج من جهنم فعذابهم فيها أليم و مستمر .

(الآية ١٤ النساء)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

لاحظ أن الخلود في النار هو جزاء لكل عاص والعاصي قد يكون مؤمنا أو كافر .

(الآية ١٤-١٦ الانفطار)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾.

الجحيم لن يغيب عنها الفجار ، والفجور يقوم به الكافر وقد يقترفه المؤمن و يحيد عنه أحيانا .

(الآية ٢٢ الحج)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾.

تبين الآية أن أصحاب النار كلما ضاقت أنفسهم من غم و هم و عذاب جهنم و حاولوا الخروج منها تم إعادتهم فيها و لاحظ استعمال كلمة (أعيدوا فيها) و لم يتم استعمال كلمة (أعيدوا إليها) لأنهم ما يزالون فيها و لم يخرجوا منها فلو خرجوا منها لتم أعادتهم إليها و تم استعمال (إليها) بدلا من (فيها) وهو لم يحدث فعلا .

(الاية ٢٣ النباء)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

لم يقل القران : لابثين فيها حقبة واحدة بل قال لابثين فيها أحقابا وليس معني أحقابا عدد معين من الحقب و تنتهي المشكلة تماما ، بل ربما المقصود بأحقاب : أحقابا لا نهائية من العذاب المختلف التي لا ينتهي نوعه ولا ينتهي زمانه ، فلو كان القصد من وراء كلمة(أحقابا) نهاية فترة زمنية محددة لخرج أهل النار من النار و المعني النهائي أن أهل النار كلما أتموا حقبة من الزمن في زمن معين دخلوا حقبة أخري مع نوع أخر من العذاب ....

جميع الآيات السابقة تقول و بصراحة أن من يدخل النار لن يخرج منها نهائيا .

(الآية ٤٨ ابراهيم)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

تؤكد الآية أن يوم القيامة سوف يتغير و يتبدل نظام الكون فتصبح الأرض غير الأرض و كذلك السموات

(الأية ١٠٥ – ١٠٨ هود) والبحث الدقيق عن مخرج لأهل النار

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾.

قرأت الكثير في تفسير الآيات السابقة و خلصت إلي أن المفسرين اتخذوا اتجاهين مختلفين في شرح هذه الآيات :

١- **الاتجاه الأول**

يؤكد أصحاب هذا الاتجاه أن الناس ينقسمون يوم القيامة إلي أشقياء و سعداء ، فالأشقياء هم في النار خالدين فيها خلود السموات و الأرض إلا ما شاء ربك ، حيث يتم استثناء المؤمنين منهم الذين سبق لهم ارتكاب بعض المعاصي للخروج من النار و بالتالي سيدخلون الجنة بعد قضائهم فترة معينة قدرها الله لهم في النار كعقاب علي ما اقترفوه من ذنوب و آثام في حياتهم ، و إلي هذا الحد من التفسير فالكلام جميل و مطمئن لكل مؤمن مذنب أنه و مهما ارتكب من معاص فنهاية طريقه في الآخرة هو الجنة لا محالة و هو ما يدعوا للتفاؤل و يدعو أيضا للتهاون و الاستهانة بالذنوب وهو ما نرفضه ، إلي هنا تم تفسير أهم ما في الآيات من (١٠٥ –١٠٧) هود ، أما عند قيام أصحاب هذا الاتجاه بتفسير الآية(١٠٨ هود) فنجدهم يمرون عليها بحياء مرور الكرام قائلين : أما الذين سعدوا فهم خالدون في الجنة خلود السموات و الأرض و عندما سألت : أي سماوات و أي أرض و نحن في الآخرة ؟... وجدت أن احد التفاسير يذكر أن هذا القول كان قول العرب إذا أرادت وصف الدوام أبدا (وكأن الله سبحانه يردد ما يردده العرب في قرآنه !!) و عندما سألت احد العلماء في تفسير الآية(١٠٨ هود) و وضحت له إننا لو طبقنا نفس التفسير السابق في الآية(١٠٧ هود)علي الآية (١٠٨ هود) لخرج أهل الجنة من الجنة كما سبق و أن خرج أهل النار من النار بجملة (إلا ما شاء ربك) الموجودة في الآيتين ، و إلي أين سيذهب

الخارجون من الجنة ؟ ... إلي النار حتما ، فقال لي : و لما لا ؟ إن الله علي كل شيء قدير و لا يسأل عما يفعل و هم يسألون ، فأزعجني جوابه كما سبق و أن أزعجني جواب الكثير من حملة الشهادات العليا في الدين و الذين لا يختلف جوابهم عن جوابه كثيرا خاصة عندما ذكر لي أحدهم أن إخراج بعض الداخلين إلي الجنة بغرض التخويف للآخرين من باقي أهل الجنة حتى لا تركن قلوبهم و يفتر لسانهم عن ذكر الله.

في الواقع أصابني تفسيرهم بالهم و الغم فكيف يخرج الله أهل الكبائر من النار لإدخالهم إلي الجنة و كيف يخرج أهل الطاعات من الجنة و يلقي بهم في النار ؟ ..

وخلصت إلي أن هذا الكلام غير منطقي للأسباب الآتية

<u>أسباب عدم إخراج أهل الجنة من الجنة نهائيا :</u>

الله سبحانه و تعالي عندما خلق البشر و أمرهم بعبادته عرفهم طريق الخير و نهايته السعادة و النعيم في الجنة و حذرهم من طريق الشر و نهايته العذاب و الشقاء في النار، فلم يذكر رب العالمين و لم يخبرنا رسوله أن احتمال نهاية طريق الخير هو الخروج من الجنة و أن احتمال ، نهاية طريق الشر هو الخروج من النار .

وقد عرفنا ربنا علي نفسه حيث قال :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥٢] .

وربنا لم ينس أنه قال في كتابه الحكيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦] .

و بناء علي الآية السابقة ألا يعتبر إخراج أهل الجنة من الجنة ظلم لم يأمر الله به ؟ خاصة انه قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه: ١١٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٤] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠] .

ثم أذكرك أخي القارئ بهذه الصفقة الربانية حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١] .

هل رجع الله في صفقته بعدما بشرنا ...؟؟ أعوذ بالله .

وقد وصف الله سبحانه و تعالي حال المؤمنين في الجنة أنهم لا يرغبون عنها بديلا و قد و ثق لهم ذلك في قوله قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨] .

عندما قال سبحانه و تعالي في بداية الآية(١٠٨ هود) : و أما الذين سعدوا واصفا من كان موجودا ساعتها في الجنة أكان يقصد الجميع أم كان يقصد مجموعة باقية دون مجموعة خارجة من الجنة ؟ و بماذا نسمي المجموعة الخارجة ؟ هل نسميهم الذين سعدوا ثم شقوا دون ذنب فعلوه ؟؟ و كيف يقول سبحانه أن عطاءه لهم عطاء غير مجذوذ مع انه سيتم جذه منهم بعد ذلك ؟ وهل يسمي هذا عطاء أم يسمي سلب بعد عطاء ؟ مما سبق تأكد لي أن التفسير

السابق الذي يستثني بعض الداخلين إلي النار في الخروج منها و بناء عليه بعض الداخلين إلي الجنة في الخروج منها عبث و هراء و افتراء علي رب العالمين مما دفعني للبحث في الاتجاه الثاني لتفسير الآيات من(١٠٥ – ١٠٨ هود) خاصة بعد قراءتي للآية الآتية من سورة فصلت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[فصلت: ٤٠]

فمن أين يأتي الأمان يوم القيامة إذا سارت الأمور علي هذا النهج الخاطئ في تفسير الآيات ؟

٢- **الاتجاه الثاني في التفسير** :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٥ – ١٠٨] .

يقول أصحاب الاتجاه الثاني في تفسير الآيات السابقة أنه تم استعمال (ما) في الآيات السابقة التي تشير إلي غير العاقل و لم يتم استعمال (من) التي تشير إلي العاقل ، بمعني انه لو تم استعمال (إلا من شاء ربك) بدلا من (إلا ما شاء ربك) لكان المقصود بها فعلا استثناء بعض الداخلين في النار للخروج منها في الآية(١٠٧ هود) مما يترتب علي إعادة استخدامها مرة أخري في الآية (١٠٨ هود) إخراج أهل الجنة من الجنة ، و هو ما تم رفضه نهائيا أو مجرد التفكير فيه ، لذلك تم استعمال (إلا ما شاء ربك) و لم يتم استعمال (إلا من شاء ربك) فالاستثناء لا يخص البشر نهائيا و لكن يخص شيئا آخر غير عاقل ، لذلك بدأت في دراسة (ما) و (من) و استعمالاتهما المتعددة و خلصت إلي النتائج الآتية :

أولا استعمالات (ما) :

أن (ما) لها استعمالات كثيرة جدا في اللغة فهي تستعمل غالبا لغير العاقل ولكنها تستعمل مع العاقل في ثلاث حالات :

١- إذا اختلط عاقل بغير عاقل :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾[الحديد: ١]

فالعاقل في الأرض الإنسان و الجن و في السموات الملائكة وغير العاقل في الأرض باقي مخلوقات الله من حيوان و شجر و حجر و في السموات من كواكب و سحب و نجوم و ما يعلمه الله

٢- المبهم أمره :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩ ــ ١٠] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥] .

فامرأة عمران لم تكن تدر ما في بطنها ذكرا كان أم أنثي .

٢- عندما يذكر العاقل مع بعض صفاته :

عندما أقول لك : صاحب ما عرفت من الزملاء المخلصين المجدين المجتهدين .

استعمالات(من) :

أما (من) فلها استعمالاتها هي الأخرى للعاقل و لغير العاقل .

١- للعاقل :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[النمل: ٨٧] .

٢- لغير العاقل :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النور: ٤٥] .

مما سبق يتضح لنا أن (ما) و(من) يتم استعمالهما للعاقل ولغير العاقل وأن الاعتماد علي أي منهما في الاتجاه الثاني للتفسير ليس له أي قيمة ولا يضيف جديدا في فهم الآيات لذلك فكرت في اتجاه مخالف للاتجاهين السابق ذكرهما .

٣ -الاتجاه الثالث في فهم الآيات :

أن ما سبب لنا مشكلة عدم فهم الآيات هو أننا وجهنا نظرنا صوب جملة (إلا ما شاء ربك) علي أنها تستثني خروج بعض أهل النار من النار مرة في الآية (١٠٧ هود) و قبلنا بذلك فرحين و مرحبين ، و عندما طبقنا نفس النهج و سرنا في نفس الاتجاه مع الآية (١٠٨ هود) فوجئنا باستثناء خروج بعض أهل الجنة من الجنة و هو ما رفضناه و لم نقبله و حزنا من اجله ، فما الحل ؟ ... الحل يجب أن ننسي ما توصلنا إليه من خطأ في فهمنا للآيات و يجب علينا أن نبحث عن شيء أخر لم ننتبه إليه ، فلنناقش الآيات مرة آخري للتعرف علي الهدف و المغزى وكذلك للبحث عن شئ أخر يمكن استثناؤه ب (إلا ما شاء ربك)غير إخراج أهل النار من النار (المقبول بالنسبة لنا) و إخراج أهل الجنة من الجنة (المرفوض رفضا نهائيا بالنسبة لنا)، فلننظر نظرة أخيرة للآيات :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا
ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[هود: ١٠٥ – ١٠٨] .

بداية الآيات تؤكد أن يوم القيامة غير مسموح بالكلام إلا لمن يتم الإذن له بذلك كما تؤكد الآيات أن الناس يوم القيامة علي نوعين :(نوع شقي) و (نوع سعيد) ، فالأشقياء هم في النار خالدين فيها خلود السموات و الأرض (الجدد الذين تم تبديلهم في الآية ٤٨ إبراهيم) إلا ما شاء ربك وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها خلود السموات و الأرض إلا ما شاء ربك ، وهنا يمكن القول أن جملة (إلا ما شاء ربك) في (الآية ١٠٧هود) ربما يستثني بها نوع الشقاء الأقل للإتيان بنوع أخر من الشقاء أشد قسوة ويبين سبحانه ذلك بأن الله فعال لما يريد فالمشيئة هنا أفعال (إلا ما شاء ربك من أفعال) لأنه فعال لما يريد ، أما جملة (إلا ما شاء ربك) في (الآية ١٠٨ هود) ربما يراد بها استثناء وتبديل ألوان مختلفة من السعادة فالمشيئة هنا عطاء(إلا ما شاء ربك من عطاء) ويبين رب العزة ذلك بأنه عطاء غير مجذوذ (مستمر غير مقطوع) و الخلاصة أن الله يستثني الشقاء الأقل بالشقاء الأكبر لأهل النار ويستثني العطاء الأقل بالعطاء الأعظم لأهل الجنة في عطاء دائم غير مقطوع و يقصد بجملة (إلا ما شاء ربك) الاستثناء من الشقاء مرة ومن السعادة مرة أخري فـ (ما) تدل في (الآية ١٠٧)علي استثناء الفعل (إلا ما شاء ربك من أفعال تشقيهم) و في (الآية ١٠٨) تدل علي استثناء العطاء (إلا ما شاء ربك من عطاء يسعدهم) ولا يقصد بها الإنسان ، يبقي لنا في هذا الموضوع سؤالان مهمان:-

<u>السؤال الأول</u> : طالما أن (إلا) لم نستفد منها في استثناء بعض من الداخلين إلى النار للخروج منها، فما الحاجة لها إذن و لماذا لم يتم الاكتفاء بـــ (ما شاء ربك) بدلا من (إلا ما شاء ربك) في الآيتين (١٠٧-١٠٨) هود ؟

الإجابة: لو جاءت الآية علي نسق (ما شاء ربك) لكانت المشيئة موحدة للجميع ولكن (إلا ما شاء ربك) تعني الإتيان بأنواع مختلفة ، فمشيئة الله من أفعال لأهل النار بغرض شقائهم متعددة لكل فئة بقدر ما اقترفت من آثام فالنار دركات تهوى ، أما مشيئة الله من عطاء لأهل الجنة بغرض إسعادهم متعددة أيضا لكل فئة بقدر ما كسبت في حياتها من حسنات ، فالجنة درجات تعلو .

السؤال الثاني : الآيات السابقة تعطي مقارنة بين الذين (شقوا) و الذين (سعدوا) فلماذا تم ضرب مثل في الشقاء في الآية (١٠٦ هود) (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ) و لم يضرب مثلا للسعادة ؟

الإجابة : عندما أقول لك : عندي أخبار سيئة ، فسترد قائلا : لا أريد أن اسمعها ، و لكن نكاية مني فيك سأذكر لك عينة منها و اترك لك توقع الباقي ، فما حجم تألمك و عذابك ؟؟ أما عندما أقول لك عندي أخبار سارة جدا ، هنا سيقفز قلبك من داخلك و تسألني: ما هي ؟ فأقول لك: لن أخبرك بها و سأتركها لك مفاجأة ،علي الفور ستصوخ فرحا ، ففي الحالة الأولي أقصد إيلامك و في الحالة الثانية اقصد إسعادك ، مما سبق يتأكد لنا عدم احتمال خروج أهل النار من النار في هذه الآيات (١٠٥-١٠٨ هود)... و الله أعلم .

ولكي يزداد النقاش لهيبا تأتي الآيات الآتية :

(الآية ٧١- ٧٢ مريم)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢] .

كذبا يظن البعض أن الله سبحانه و تعالي في هذه الآية لا يستثني أحدا من دخول النار (حسب ظنهم) بمعني أن الجميع سيدخلون النار ثم ينجي الله الذين اتقوا و يترك الظالمين فيها و لكي ندحض هذا الظن و نكذبه و نؤكد أن هذه الآية جاءت في وصف مرور الناس علي الصراط و هو الجسر المنصوب فوق

جهنم يوم القيامة حيث يمر الخلق عليه أثناء ذهابهم للجنة و معني الورود عليها هو المرور علي الجسر من فوق النار و ليس الدخول أو السقوط فيها و دليلي علي ذلك أن كلمة الورود تعني المرور و تم استخدامها في الآية ٢٣ سورة القصص :

(الآية ٢٣ القصص) :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.

ففي الآية السابقة ورد موسي عليه السلام ماء مدين أي وصل عنده ومر عليه و لم يقم موسي بغمس جسده بماء مدين و يقال ورد الرجل الماء أي جاءه بغرض الشرب والسقاية أما فيما جاء في الآيتين (٧١-٧٢ مريم) سالفات الذكر فهي تبين أن من نجا من المرور علي النار نجا إلي الجنة و من لم ينج سقط في النار و لم تظهر لنا الآية أن أحدا سقط في النار قد نجي منها ، فلا توجد إشارة للخروج من النار لمن سقط فيها .

(الآية ٤٦ -٤٧ الأعراف)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

الأعراف جمع عرف وهو ما ارتفع من الشيء ، والمراد بالأعراف هنا أعالي الحجاب الذي يفصل أهل الجنة عن أهل النار و هي بمثابة شرفات يطل منها الناظرون ، وأصحاب الأعراف هم قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فوقفوا علي الأعراف بين الجنة و النار حتى يقضي الله فيهم ، (أنظر يا أخي كيف أن قرأن ربنا لم يدع صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها حتى احتمال تساوي الحسنات

مع السيئات أثناء الحساب يوم القيامة أتي به) و ما يهمنا ذكره هنا تعقيبا علي هذه الآيات هو أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا النار أصلا حتى يخرجوا منها فيتم اعتبارهم من الناجين من النار.

ثانيا:القضية الثانية:

و هي للإجابة عن سؤال: هل ستقبل شفاعة للمؤمنين المذنبين من أهل النار تمكنهم من الخروج منها ومن هو الشافع ؟ و هنا نستعرض بعض الآيات التي تؤكد وجود شفاعة لهؤلاء الناس غير معلوم وقتها أو مكانها وهل هي أثناء إقامتهم في النار أم قبل إلقائهم فيها و كذلك نستعرض بعض الآيات الأخرى التي تؤكد عدم جدوي الشفاعة بالنسبة لغيرهم ، و بذلك نصب الزيت علي نار نقاشاتنا لتشتعل مرة أخري :

(الآية ٨٦-٨٧ مريم)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ [مريم: ٨٦ – ٨٧] .

يقول رب العزة: سنسوق المجرمين إلي جهنم وردا وهم لا يملكون الشفاعة ، فالشفاعة لن تكون يوم القيامة إلا لمن سبق وان سألها الله وطلبها منه حيث امتثل لأوامر ربه في الدنيا وعاهد الله علي ذلك و أوفي بعهده مع الله فوفاه الله سبحانه وتعالي عهده ووهبه نعمة الشفاعة ليشفع بها ، والسؤال هنا : هل استفادتهم من الشفاعة وقت أن سيقوا إلي جهنم أي أثناء الحساب و قبل دخولهم في النار؟ أم استفادتهم من الشفاعة بعد دخولهم فيها أثناء أقامتهم في جهنم ؟ هذا يحتاج إلي علماء متخصصين و إلي بحث كبير.

(الآية ٢٦ النجم)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ ..

(الآية ٢٨ الأنبياء)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾.

(الآية ١٠٩ طه) :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) ﴾.

تؤكد الآيات السابقة أن الشفاعة تجوز بشرط إذن الله سبحانه و تعالي بذلك للشافع و رضاه عن المشفع وبذلك يتضح لنا أنه توجد شفاعة ولكن هل يتم الاستفادة من هذه الشفاعة قبل دخول النار أم بعد دخولها ؟

(الآية ٥٣ الأعراف)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾ .

تؤكد الآية بحث الخاسرين عن شفعاء يشفعون لهم و بذلك يتأكد لنا أنه توجد شفاعة يبحث عنها بعض المذنبين ، وعندما لم يجدوا شفاعة طلبوا الرجعة كي يعملوا خيرا مما كانوا يعملون (لاحظ أن العمل الطيب قد يغنيك عن طلب الشفاعة يوم القيامة) .

(الآية ٤٨ المدثر)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾.

تبين الآية أن لا جدوى من الشفاعة ولا تنفع شفاعة الشافعين ، و السؤال هنا هل هذا القول للكافرين فقط أم يشمل المذنبين من أهل الإيمان بالله كذلك ؟

(الآية ١٨ غافر)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) ﴾.

هنا تؤكد الآية أنه لا يوجد أي نوع من أنواع الشفاعة لعدم وجود شافع يستجيب الله له شفاعته وهنا تظهر المشكلة في عقولنا بين أيات تؤكد أن هناك شفاعة و آيات أخري تنكر وجود الشفاعة ، و لتوضيح هذا اللبس و إزالته نهائيا من عقل القارئ نؤكد أنه يجب البحث في الوقت الذي يقبل الله فيه الشفاعة وكذلك الوقت الذي لا يقبل الله فيه الشفاعة و لنضرب في ذلك مثلا :

(الآية ٧ -٩ غافر)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

في الآيات السابقة يقبل الله شفاعة هذه الملائكة و استغفارهم للذين أمنوا كلما اقترفوا ذنبا أو إثما في دنياهم وربما بعد مماتهم ، أما يوم القيامة فلم يوضح لنا القران أن الله يستجيب لهم و يقبل شفاعتهم لذلك أظن أن الموضوع يحتاج إلي بحث و مجهود من العلماء والمفكرين لتوضيح الوقت الذي يتم قبول الشفاعة فيه هل هو في الدنيا فقط أم هو يوم القيامة قبل دخول النار؟ أم بعد دخولها ؟ و كذلك يجب البحث بدقة في السنة النبوية الشريفة لنجد لنا حلا لهذا السؤال : هل يستفيد من دخل النار فعلا من شفاعة تساعده في الخروج منها ....؟

* * *

بعض طرق محاسبة الله لعباده في الآخرة

سبق وأن شرحنا في الأبواب السابقة من كتابنا هذا بعض الطرق التي يمكن أن يتبعها العبد المذنب بنفسه وبتوفيق من الله له تساعده في الإفلات من عذاب غافر الزلات وما يزال لدينا الكثير في الباب القادم من نصائح للتوبة في الدنيا ، لكننا لم يسبق لنا وأن تعرضنا لطرق الرب سبحانه وتعالى في محاسبة عباده من التائبين أو المذنبين الذين ماتوا على حالهم من الطاعة أو المعصية ، فنحن لا نعرف عن طرق الله في مغفرة ذنوب عباده الطامعين في رحمته إلا القليل بقدر ما أفصح لنا القرآن عن ذلك ، ويمكن لنا أن نوجز بعض طرق الحساب يوم القيامة في الآتي - :

١- محو السيئات جميعها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

قال ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له ، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .وخلاصة القول أن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمدُ (صلي الله عليه وسلم) قل لعبادي الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم المعاصي والمحرمات لا تيأسوا من رحمة الله وامضوا في طريق طلب المغفرة فرحمة الله وسعت كل شيء وأنه هو الوحيد القادر على أن يغفر لكم ذنوبكم جميعا ويكفر عنكم سيئاتكم كلها وهذه دعوة موجهة من الله لكافة العصاة والمذنبين بالرجوع إلى طريق الله ومنهجه كي ينجحوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

٢- محو السيئات والمنزلة عند أعلى حسنة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٦] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٧] .

يبين الله لنا سبحانه وتعالى أن الذين آمنوا (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) سيكفر عنهم سيئاتهم أي يمحوها عنهم ، وأن منزلتهم في درجات الجنة عند مستوى أكبر حسنة كسبوها خلال حياتهم ، ولنضرب لذلك مثلا والمثل الأعلى لله . برجل ارتكب العديد من السيئات ثم تاب إلى الله توبة نصوحا وأخذ في عمل الحسنات الواحدة تلو الأخرى لكنه في نهاية حياته قرر تشييد دار للأيتام بها مدرسة ومصنع فهم يعملون ويتعلمون ويأكلون وفي النهاية تصبح الدار مأوى لهم من التشرد ، وبمقارنة ما قام الرجل به من أعمال خيرية في حياته ، نجد أن مشروعه الأخير هو أعظمها وأنفعها على الإطلاق ، وبناء على هذه الآية وبرضا من الله على هذا الرجل يكفر الله عنه سيئاته جميعا وتكون منزلته في الجنة عند قدر ما بلغه من درجات بفضل ما صنعه في حياته بإقامة هذا المشروع العظيم .

٣- اعتماد السيئات والمنزلة عند أسوأ ذنب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [فصلت: ٢٧] .

للجنة درجات تعلو يسكن فيها المؤمنون كل على حسب عمله من الخير ، فدرجة الصائم غير درجة الشهيد ، وكذلك للنار دركات تهبط بالمذنبين كل على حسب عمله من الشر ، فدركة السارق غير دركة القاتل

وفي هذه الآية يعد الله الكافرين أنه سيعتمد لهم سيئاتهم وسيذيقهم بكفرهم (بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) عذابا شديدا في نار جهنم وبئس المصير ، وأن مستوى إقامتهم وعذابهم في دركات النار عند مستوى أسوأ و أبشع سيئة اقترفوها في حياتهم ولنضرب مثلا والمثل الأعلى لله برجل استحل الحرام ومضت به شهوته من سيء إلى أسوأ فسرق وشرب الخمر وقتل ولم يترك في نفسه معصية إلا ارتكبها عندما وجد راحة باله وسعادة نفسه الأمارة بالسوء فيها ، فدركته في النار تهوي به إلى مستوى أبشع ذنب فعله في حياته وأصر عليه ولم يتب منه حتى مماته .

٤- الموازنة بين السيئات والحسنات :

هي موازنة محسومة مقدما لصالح الحسنات ، ولكن بشرط تدخل الله سبحانه وتعالى في التعظيم من شأن الحسنات وكذلك تدخله في التقليل والتحقير من شأن سيئات العبد التائب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر: ٣٥] .

فهؤلاء هم التائبون الراجعون إلى طريق الله حيث تبرءوا من ذنوبهم و تخلصوا من شهواتهم طمعا في مغفرة ربهم وهربا من عذابه ، فالله ينظر إلى سيئاتهم وإلى حسناتهم فيكفر عنهم أبشع وأكبر سيئاتهم في حقه جرما وبالتالي فلن يصبح هناك أي قيمة تذكر لصغائر ذنوبهم أما على الجانب الآخر بخصوص حسناتهم فيرفع مستوى التعامل مع حسناتهم عند أحسن وأعظم حسنة كسبوها في حياتهم كانوا يقصدون بها وجه الله ، ولنضرب مثلا والمثل الأعلى لله برجل ارتكب الكثير من السيئات البسيطة وكلما زاد عمره كبرت سيئاته ثم اختتم صحيفة أعماله السيئة بجريمة الزنا وعندها ندم واستغفر وتاب إلى الله وغير مسار حياته عندما أدرك مصيبته فأخذ يعمل الحسنات بدءا من الحسنات الصغيرة إلى أن وفقه الله وذهب

لأداء فريضة الحج في بيت الله الحرام فمات هناك .

وبناء على هذه الآية الكريمة سينظر الله برحمته إلى صحيفة أعماله، إلى سيئاتها وحسناتها فيمحو كبائر سيئاته من زنا وخلافه ويجزيه أجره عند درجة أعلى حسنة كسبها ومات عليها ألا وهي الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة .

تعجب أخي القارئ من رحمة وحكمة ربك الذي حكم بأن يحتوي ميزان هذا الرجل في كفة حسناته على أعظم الحسنات التي كسبها في حياته ، أما كفة السيئات فتحتوي على أبسط وأهون السيئات وتكون مشيئة الله أن تثقل موازين هذا الرجل بالحسنات ويدخل جنة غافر الزلات .

٥- منزلة المؤمن الصابر في الجنة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل: -٩٦] .

أرجو منك أخي القارئ التفكير في الشطر الأول من الآية (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ)وملاحظة قوله تعالى : ما عندكم ينفد : أي كل ما لديكم من معاناة أو عذاب أو غير ذلك من متاع الدنيا ينتهي بنهاية عمركم في هذه الحياة ، وما عند الله باق : أي يبقى عند الله ما ادخرتموه لأنفسكم من جزاء ومن صبركم على البلاء أو بمعنى آخريقول الله عز وجل ليذكرهم بأن كل ما يرهقون فيه أنفسهم في الدنيا لتحقيقه هو متاع زائل ونافد وأن ما يدخرونه لأخرتهم هو الباقي الذي سينتفعون به انتفاعا ويسعدون به سعادة دائمة وأن جزاء الذين صبروا هو عند آخر درجات تحملهم من الصبر في سبيل الله على مرض أو فقر أو ظلم أو فقد حبيب أو أي عرض من عوارض الدنيا الذي يحتاجون فيه للصبر لتحمل ما يعانونه من هذا العرض ،فالصبر هو منع اللسان من التشكي ومنع النفس من الجزع والهلع

، فما أصابك ما كان ليخطئك وما أخطأك ما كان ليصيبك .

وهناك تقسيم جميل آخر للصبر لم يسبق لنا الإشارة إليه :

١- الصبر بالاختيار :

في هذا النوع يكون العبد مخيرا في الأخذ به أو عدم الأخذ به ، و العمل به في الدنيا يترتب عليه الرضا بالمكتوب و هو من أسباب دخول الجنة و لنضرب لذلك مثلا لسيدنا يعقوب عندما صبر علي فراق ابنه الحبيب يوسف

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٨] .

٢- الصبر بالإجبار :

في هذا النوع من الصبر لا يكون عند صاحبه فرصة الاختيار فهو مجبر بالعمل بهذا النوع من الصبر أما كجزاء له علي سوء عمله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[الطور: ١٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٥] .

وأما يتم فرض الصبر علي العبد كامتحان و كاختبار يمكنه من الوقوف بنفسه علي قوة إيمانه وقوة ثباته و صبره علي ما أصابه الله من ابتلاء . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥] .

٦- تبديل السيئات جميعها بحسنات :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: ٧٠] .

كي نحاول فهم هذه الآية يجب أن نلاحظ الترتيب المقصود من قبل رب العزة في الكلمتين(تاب ــ آمن) فالمسلم يجب أن يتوب عن المعاصي أولا (فالسارق لا يسرق وهو مؤمن) (حديث سبق شرحه مرارا) لأنه لو كان مؤمنا ساعتها بالله موقنا أنه يراه ويمكن لله أن ينزل بطشه عليه في الحال لخاف وتراجع وما فعل جريمته... ولكن رحمة الله جرأت السفهاء عليه ، حيث يدخر الله لهم يوما تشخص فيه أبصارهم

فإذا تاب المسلم و أصبح مؤمنا ودخل الإيمان قلبه فسلك طريق المؤمنين وعمل الصالحات واكتسب الحسنات فجزاء مثل هؤلاء الذين ندموا على ما اقترفوا من ذنب .ونجحوا في عمل الصالحات أن يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وهنا تصبح منزلتهم عند منزلة أسوأ ذنب قاموا به (بدله الله لهم حسنات) ، ولنضرب لذلك مثلا والمثل الأعلى لله : لو كان الذنب كبيرا والسيئات عظيمة فعند التبديل يبدل الله هذا الذنب وهذه السيئات إلى حسنات كثيرة وعظيمة كمكافأة للعبد الذي تاب وقتل في نفسه شهوة القيام بهذا الذنب إكبارا وتعظيما وإجلالا لشريعة الله التي لم يكن يفهمها حتى دخل الإيمان قلبه بعد إقلاعه عن ذنبه وتمام توبته خشية من عذاب ربه ، فيا أخي المسلم العاصي فرصتك عظيمة في دخول الجنة بأن تتوب وتقلع عن الذنوب وقتها سيدخل الإيمان إلى قلبك فتصبح مؤمنا فتعمل من الصالحات وأنت مؤمن فتموت على ما أنت عليه من توبة وإيمان فتكون منزلتك ودرجتك في الجنة عند تمام توبتك عن أعظم ذنب ارتكبته في حياتك وقد أبدله الله لك بحسنات كثيرة .

هيا فلا تضيع الفرصة ، إنك محظوظ ... محظوظ جدا أن تركك الله رحمه بك حتى هذه اللحظة ولم يقبض روحك وأنت على معصيته فيجازيك بأسوأ ما كنت تعمل .

٧- دخول الجنة بغير حساب :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ [الزمر: ١٠] .

فلا يعلم كمية وشدة ومثابرة العبد على ابتلاء ربه له وصبره على معاناته إلا رب العالمين لذلك يكون جزاؤه هو دخول الجنة بغير حساب .

والصبر نوعان:-

١- **الصبر على المحظور**: والمحظور هو كل ما حرمه الله على عبده سواء ذكره في كتابه أو أوصى به رسوله (ﷺ) كالزنا والقتل وقذف المحصنات من الكبائر والمحرمات ... إلخ .

٢- **الصبر على المقدور**: والمقدور هو ما قدره الله لعبده من خير أو شر وليس للعبد أي دخل في ذلك فقد يولد الإنسان غنيا أو فقيراً أو مريضا أو سليما ، فليس للإنسان أي حيله قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾[الأنبياء: ٣٥] .

بين الرضا والسخط أو يمكن أن نقول بشكل أوضح بين الإيمان والكفر شعره اسمها (الصبر) من تمسك بها دخل الجنة بغير حساب .

٨- الحسنة بعشر أمثالها و السيئة بمثلها :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠ ﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

الله سبحانه و تعالي ينحاز إلي جانب أعمال الخير و يضاعفها علي حساب أعمال الشر وذلك رحمة للمؤمن خاصة و لمصلحة المجتمع عامة

٩-المؤمن الصالح منزلته عند اعلي حسنة اكتسبها في حياته :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧ ﴾ [النحل: ٩٧] .

١٠- تكفير السيئات مع تعظيم الأجر :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] .

من فهمنا لهذه الآية يتضح لنا أن تسعيرة الحسنة تزيد برضا من رب العالمين فمثلا عمل الخير الذي جزاؤه حسنة واحدة تزيد لتصبح أكثر و يتضاعف الأجر عنه إلي ما شاء الله و علي جانب السيئات يتم محوها جميعا بشرط الالتزام بتقوى الله .

١١- الجزاء أعلي من مستوي العمل :

قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور: ٣٨] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦] .

هنا يجازي الله فاعل الخير علي ما فعله ثم يقوم بصرف مكافأة له في شكل علاوة أو منحة أو عطاء خاص جدا تشجيعا له علي عمل حياته.

١٢- مضاعفة الأجر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٤] .

١٣- مضاعفة العذاب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٩] .

* * *

بعض طرق الإفلات من عذاب غافر الزلات

١- وقفة مع النفس لاستلهام العبر :

يجب على الإنسان أن يقف مع نفسه وقفة حاسمة فهو بين أمور ثلاثة **لأمر الأول:** عمر مضى حدث فيه ما حدث وفعل فيه ما فعل ، إن كان فد فعل فيه خيرا فلا يستطيع إكثاره وإن كان قد اقترف فيه إثما فلا يستطيع محوه أو مجرد تقليله ،فهل يجب عليه أن يقضي حاضره كله يبكي على ماضيه ولم يعد بيده حيلة ؟؟

الأمر الثاني :هو حاضره بكل معطياته وهو أهم شيء يملكه الإنسان في حياته ، فهو يستطيع خلال حاضره من تضميد جراحه التي مازالت تنزف بسبب ماضيه ،كما يستطيع تجميع وإعادة تكوين ما كسره الماضي الأليم ويمكن إصلاحه في الحاضر ، أما أهم ما يستطيع عمله حاليا هو رسم خطة مستقبلية مستفيدا من أخطاء وإنجازات ماضيه وهي خطة باقي طريقه إلى حياته الآخرة

الأمر الثالث: هو المستقبل الذي من أجله يضع له الخطط ومهما اتخذ من احتياطات ووضع الخطط وتحري الدقة فهذا المستقبل هو في علم الله ، فقط عليه اختيار الطريق الذي يراه منا سبا من وجهة نظر دينه والأخذ بالأسباب وليس عليه تحقيق النتائج فالنتائج يعلمها الله ويكفيه أنه لو مات لمات علي هذا الطريق مع نيته الخالصة ولا ينسى قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾[البلد: ١٠] . وما عليه إلا تدبر قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣] .

٢- إقامة قواعد الدين الخمسة :

أ- شهادة أن لا إله إلا الله .

لو استيقظت في صباح أحد الأيام فوجدت حفرة تم حفرها أمام منزلك ممتلئة بالماء ووجدت مصباحا كهربائيا معلقا فوق باب منزلك ما هو أول سؤال ستسأله لأول رجل يمر من أمامك ؟ من الطبيعي أن تسأله من حفر هذه الحفرة ومن ملأها بالماء ومن علق هذا المصباح الكهربائي ؟ فإذا لم يجبك هذا الرجل ولا غيره ستذهب إلى إدارة البلدية بمجلس المدينة لتسأل ، فإذا لم تجد إجابة ربما ذهبت إلى مركز الشرطة ، فإذا لم يعطك إجابة هنا سيرتفع ضغط دمك وربما تصاب بحالة هستيريه بسبب أن داخلك قناعة لا مجال فيها للشك أن هناك فاعل لما حدث ... لا بد أن هناك من فعل ذلك وما يصيبك بالغيظ أنك لم تعرفه .

عجبا لك أيها الإنسان ، بسبب حفرة صغيرة بها كمية بسيطة من الماء ومصباح كهربائي قلبت دنياك رأسا على عقب ولم يسبق أن سألت نفسك من الذي خلق هذا المصباح الكبير المعلق بلا حبل المسمى (بالشمس) التي تضيء للبشر منذ ملايين السنين وتعمل بلا نفط ولا كهرباء!! ألم تسأل نفسك من الذي حفر كل هذه البحار ووضع فيها هذه الكميات الهائلة من المياه المالحة ، ومن حفر كل هذه الأنهار ذات المياه العذبة وفصل بينهما ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٠] .

ورغم ارتفاع الضغط الإسموزي في المياه المالحة مما يعطي مائها القدرة على جذب السوائل من أجسام الأسماك ذات الضغط الإسموزي المنخفض فلا تنتقل السوائل من جسمها إلى الماء المالح حتى لا تيبس وتموت ولا يندفع ماء النهر العذب ذو الضغط الإسموزي المنخفض إلى

داخل أجسام أسماكه ذات الضغط الإسموزي المرتفع فتنتفخ السمكة وتنفجر، فالسمك في كلا الحالتين يحتفظ بطراوة لحمه في المياه المالحة كما يحتفظ بطراوته في المياه العذبة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ [فاطر: ١٢] . ألا تنظر بعينيك إلى السماء والنجوم والكواكب وتتدبر قوله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الملك: ٣ – ٤] .

ألا تنظر لكل ما حولك من نبات وحيوان وطيور وحياة برية وبحرية ؟ ألم تسأل نفسك من الذي صنع كل هذا وكيف يعمل هذا الموتور الموجود في صدرك يدفع الدم المحمل بالغذاء لجميع أجزاء جسمك ثم يجمعه مرة أخرى بغرض غسيله وتنقيته من السموم ومن ثم دفعه مرة أخرى ، هذا الموتور يعمل بدون كهرباء وبدون تحكم منك بل يعمل أثناء نومك ، من الذي يديره ؟ الذي يديره هو الذي خلقه وخلق كل هذا من حولنا ويشرف على عمل كل مخلوق في هذه الدنيا هو الله له كل الاحترام والتقدير في أنفسنا له السمع والطاعة والذل والخضوع هو السيد ولا سيد سواه إن عبوديتنا لله عزة ولغير الله مذلة ومهانة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢] .

وأخيرا يحذرنا رب العزة من الشرك تحذيرا شديد اللهجة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] .

ب – شهادة أن محمدا رسول الله .

بلغ الرسالة الإبراهيمية السمحة وأدي الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، لا يزيغ عنها إلا من ارتضى لنفسه الخسران المبين .

١–جاء محمد مرسلا من عند ربه وأتي منذ أكثر من ألف وأربعمائة وثلاثين عاما بكتاب عربي تحدي به علماء عصره وكل العصور من الأدباء والشعراء الجهابذة وعلماء الكلام أن يأتوا بمثله فلم يأت أحد بمثله وبعد مرور كل هذه القرون وجاء علم الكمبيوتر بمعجزاته الخارقة عجز أرباب الكمبيوتر بما غذوه من معلومات أن يأتوا بمثل هذا القرآن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

٢– بشر قرآن رب محمد بأحداث لم تحدث ثم حدثت :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الروم : ٢ – ٤] . هنا تحدثت الآية عن معركة بين الفرس والروم يكون نتيجتها هزيمة الروم في أدنى منطقة انخفاضا في الأرض وهي منطقة البحر الميت ثم تعود الكرة وينتصر الروم مرة أخرى خلال بضع سنوات وقد حدث ذلك بالفعل

قال تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً) [الفتح : ١] . هنا أتى الفعل في الماضي كأنه حدث مع أنه لم يكن قد حدث وقت نزول الآية ولم يكن

المسلمون قد فتحوا مكة من قبل نزول هذه الآية ثم حدث بعد ذلك أن فتح المسلمون مكة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل: ٨] . مالا نعلم من سيارات وطائرات وصواريخ وكبسولات فضائية وغيرها .

٣- أثناء هجرة رسول الله (ﷺ) ذهب أهل قريش يمسحون الصحراء بحثا عنه وعن صاحبه أبي بكر فلحق بهم سراقة فطلب الرسول (ﷺ) منه أن لا يخبر أحدا عن مكانهم مقابل جائزة وعده إياها، أتعرف ما هي الجائزة عزيزي القارئ ؟ إنها أساور كسرى ملك الفرس (ابتسم وتعجب أخي القارىء) رجل يسير مع صاحبه مطارد من قومه وسط الصحراء حيث لا طعام ولا مأوى ولا ماء ، يعد من خرج يبحث عنه لينال الجائزة الكبرى من قومه عندما يلقي القبض عليه وعلي رفيقه بأساور كسرى !!

ونكمل ما حدث في القصة ، رجع سراقة زاهدا في مكافأة قومه ولم يبلغ عن رسول الله (ﷺ) وصاحبه ثم مات رسول الله (ﷺ)ولم ير أساور كسرى، ثم مات أبو بكر رفيقه في الهجرة ولم يشاهد أساور كسرى كذلك.

فتح المسلمون بلاد فارس في عهد عمر ابن الخطاب وعادوا بالغنائم إلى المدينة ومن ضمنها أساور كسرى وسلموها لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وما إن وقعت عيناه على الأساور إلا أن أمر أن يأتوا له سريعا بسراقة ،جاء سراقة الرجل العجوز الهرم فألبسه عمر أساور كسرى وكان قد ضعف ساعده فلم يتمكن من الاحتفاظ بالأساور فيه فضحك عمر ابن الخطاب وقال قولته الشهيرة : صدق رسول الله (ﷺ) وكذبت يد سراقة .

لدي عدة استفسارات أريد أن أستفسر عنها : لماذا صدق سراقة كلام رسول الله (ﷺ) ولم يخبر قومه؟ رغم الجائزة الكبرى من الإبل التي رصدها قومه والتي كانت كافية لجعله من الأغنياء وربما عاش وسط أهله فخورا بالقبض على محمد ونال شرف الجاهلية بعمله هذا .

مات رسول الله (ﷺ) للذي وعد سراقه بالجائزة ثم مات أبوكر الشاهد الوحيد على الاتفاق الذي تم بين رسول الله وسراقة فلماذا لم يمت سراقة قبل أن يفتح المسلمون بلاد فارس رغم بلوغه من العمر أرذله ؟ .

لماذا لم يتم ضياع أو سرقة أساور كسرى أثناء انهيار الدولة الفارسية؟

لماذا انتبه الجنود المسلمون لهذه الأساور وأرسلوها لعمر ابن الخطاب في المدينة ؟

لماذا لم تضع أساور كسرى أثناء المسافة الطويلة عند نقلها من بلاد فارس إلي المدينة ؟

وأخيرا لماذا لم تتكسر وتتفتت أساور كسرى وسط ما تم نقله من أشياء؟ الإجابة أنها إرادة الله ، إرادة رب محمد ليثبت لنا أن محمدا جاء بالحق وأنه خاتم الأنبياء والرسل فلماذا لم يأت رسول آخر من بعده حتى الآن ؟ لأنه الصادق الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين ، (أشهد أن محمد رسول الله) (ﷺ) .

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر: ١٧]

صدق رب العالمين حينما قال أن القران سهلا و يسرا عندما يذكر الناس به ربهم و خالقهم ، فالانجليز و الفرنسيون و السوفيت و الأسبان و غيرهم من عجم المسلمين يحفظون القران و يتلون آياته والكثير منهم يحفظونه كاملا مع أنهم لا يعرفون حرفا واحدا من حروف اللغة العربية

فلو ذهبت إلي الحرم المكي أو الحرم النبوي لشاهدت وسمعت بنفسك العجب العجاب ، فمن يسر لهم حفظه ؟

ج- إقامة الصلاة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨] . خمس مرات تقابل فيها ربك ، ابحث عن صديق لك يصلي خمس صلوات في جماعة ، أنظر إلى شكله، ، تصرفاته ، حركاته ، سكناته ،لفتاته ... إنه مختلف ..إن عليه لنور ، إن عليه لسكينة ووقار ،راقبه فجرا وهو يذهب إلى الصلاة إنه ذاهب لمقابلة ربه بعيدا عن الضوضاء وزحمة الخلق والناس.

تذكر رجلا من أهل الصلاة في المسجد ، تذكر يوم جنازته ، الذين يسيرون في جنازته رفقاء المسجد ، إن لجنازته لنور و إن عليها لسكينة ووقار ، إنها تشبهه في ذهابه وإيابه من المسجد.

د-إيتاء الزكاة :

على طول عمرك أخي القارئ أذكر لي رجلا تعرفه كان ينفق ماله على الفقراء والمساكين سرا وعلانية ويساهم في أعمال الخير وبناء المساجد وقد مات فقيرا أو محتاجا ؟..من المستحيل لأن الله قد سمى ذلك صدقة أو زكاة أي زيادة ونماء رغم إنها في ظاهرها نقصان في المال ولكنها في الحقيقة زيادة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الإنسان: ٨] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٣] .

هـ - صوم رمضان :

من الذي يصبغ ليالي وأيام شهر رمضان بهذه الألوان من الخشوع والرضا والبركة ؟ ..من الذي يلون أيام هذا الشهر بالسعادة ؟.. من الذي أعطى الطعم الخاص لهذه الآية -التي أطلب منك تذوق طعمها بعد أن تشم رائحتها وتتمتع بلحظاتها الفريدة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥ – ١٨٦] . ألا تشعر بمتعة ونشوه خاصة عندما تستمع لهذه الآيات ؟ ألا تذكرك هذه الآيات بطعم خاص ورائحة خاصة ورحيق خاص ؟ أي حب وحنان ورقة تشعر بهم عندما تقرأ أو تسمع قوله تعالي : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

من الآية السابقة يتضح لنا أن الصيام سبب من أسباب تمكن تقوى الله في قلب المؤمن وتمكن المؤمن من دخول زمرة المتقين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وسؤالي الأخير هل تشاهد الهلال في كل شهر عربي ؟ هل شاهدت هلال شهر رمضان ؟ إنه مختلف في الشكل والمضمون وأنت تشهد معي بذلك .

و- حج بيت الله الحرام :

قد تختلف معي أخي القارئ عما أكتبه تحت هذا العنوان أو قد تتفق معي فكل ما أكتبه عبارة عن أحاسيس خاصة لم اقرأها في القرآن ولا في الأحاديث النبوية الشريفة ولكنها مشاعر خاصة بي عشتها مرارا في الأراضي المقدسة فأثناء الحج تطوف بحجارة تشعر معها بالسعادة التامة ، تبكي على جدار الكعبة بكاء يغسل روحك قبل أن تسكب العين له العبرات.

وتقبل حجرا أسودا أو قل حجرا أسعدا تسعد به نفسك وتكاد من حبك فيه أن تدخله إلى قلبك (فلا يوجد من هذا النوع من الحجر مثيل آخر على كوكبنا هذا باعتراف العالم كله) فمن أتى به إلى هنا ؟ عندما تقبله تجف دموعك التي سكبتها على جدار الحجر الأول (جدار الكعبة) ثم تذهب لترجم حجرا آخر بغل وقسوة إنه مثال لإبليس اللعين وكما يقول المثل (حجر يقبل وحجر يحقر فالحجر واحد وأمر الله مختلف).

هذه الأحاسيس من أين تأتي لك ومن ينزلها في قلبك ؟ إنه تخليد لذكرى سيدنا إبراهيم وزوجته هاجر وابنه إسماعيل بل قل هو شريان الدين الممتد من آدم مرورا بإبراهيم وموسى وعيسى وحتى محمد وإلى قيام الساعة . ذكر أحد المستشرقين مهاجما الإسلام : انه لولا الركن الخامس في الإسلام لاعتنق الإسلام ، فالحج في نظره بما يحتويه كالطواف بالكعبة والمبيت بمزدلفة إلي عملية الرجم بمنى ما هو إلا أفعال تشبه أفعال الوثنية التي كان يمارسها الناس في الجاهلية قبل الإسلام ، و للرد عليه نوجز الأتي :

أولا :الكعبة :

الكعبة عبارة عن حجارة تم بناؤها و هدمها عدة مرات علي مدار التاريخ ، أما القيمة الحقيقية للكعبة وقدسيتها فهي ترجع إلي الأتي :-

١- الكعبة هي أول بيت لله في الأرض وهي مركز وقلب المسجد الحرام.

٢- الكعبة هي أول اتصال ظاهر وملموس بين السماء والأرض حيث يلتقي أهل الأرض بشريعة السماء التي تنظم حياتهم في الدنيا و حياتهم في الآخرة.

٣- الكعبة هي هذا المكان و هذا البناء الصغير الأجوف الذي يلتف حوله المؤمنون منذ بداية الخلق الماضي إلي الخلق الحاضر في زماننا هذا مستمرا إلي الخلق الذي سيأتي بعد ذلك وإلي قيام الساعة ،يتجهون إليها بمشاعرهم وأحاسيسهم في كل صلاة يقصدون من ورائها رضا ربهم ، ويمكنك أن تقول أن الكعبة هي الوعاء الأجوف الصغير الذي يتسع في مشاعرنا وداخل أنفسنا ليحوي قلوب كل من أمن وسيؤمن من البشر بشريعة رب الكعبة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها وربما يفسر هذا من وجهة نظري سببا لعدم بناء الكعبة بصورة صماء وتم بناؤها بصورة مجوفة لأنها في الأساس بيت ولتخيلها تحوي كل هذه الأحاسيس والمشاعر في عقل وقلب المؤمن

٤- ذكرت الكثير من الكتب والمراجع أن الكعبة هي مركز الأرض وتقع تحت عرش الرحمن .

٥- عملية الطواف حول الكعبة هي عملية تحويل الجانب المعنوي لقيمة وأهمية ومكانة الكعبة في نفس المؤمن إلي جانب مادي يستمتع به المؤمن وهو يقوم بتحية بيت الله الحرام حيث ترتاح به نفسه عندما

تستجمع شوارد عواطفها في نقطة مركزية واحدة هي مركز الكون من حوله وحيث ترتاح أعضاء المؤمن مستسلمة لاتجاه طواف الدم المتدفق من قلبه إلي سائر عروقه متوازية مع طوافه عندما يطوف جاعلا الكعبة عن يساره .

٦- أما عن الطواف سبع مرات لا أكثر ولا أقل فهو راحة نفس يشعر بها المؤمن عندما يطلب من عقله ساعة الطواف الخلود إلي الراحة التامة وعدم التفكير نهائيا كي لا يضيع علي نفسه فرصة الاستمتاع والامتزاج بين روحه و بين ملكوت الأرض و السماء ، فقد سبق للمؤمن و أن أرهق فكره و عقله حتي وصل بهما إلي انه لا اله إلا الله مالك الملك و عندها أذعن و استسلم لأمر ربه بالطواف سبع مرات ، فلو قام المؤمن بتمرير و عرض كل أمر رباني أمره الله به علي عقله أولا فان قبله عقله رضي به و إن رفضه عقله أنكره ما اكتمل إيمانه ولأصبح المؤمن مؤمنا بعقله صاحب السيادة عليه وليس مؤمنا بربه خالق عقله ، فعندما يسأل المؤمن نفسه لماذا الطواف سبع أشواط و ليس ستة أو ثمانية ؟ هنا نقول له أن ذلك من أمر الله و من شأن الله وليس من شأن عقلك فعقلك إمكانياته محدودة و اضرب لك مثلا : عليك أن تطلب من عقلك أن يفسر لك كيف تم رفع السماء بدون أعمدة ......؟ إذا وجد عقلك تفسيرا لذلك فربما يجد لك تفسيرا لعدد مرات الطواف حول الكعبة ، فعجز العقل عن تفسير كيفية رفع السماء بدون عمد لا ينفي أن السماء مرفوعة فعلا بدون عمد و أن رفعها حقيقة واقعة يستطيع الإنسان أن يراها بأم عينه في نفس الوقت الذي لا يجد عند عقله التفسير المقنع لهذه الظاهرة ، فقبول عقله أم رفضه و عدم إيجاده حلا لهذه المعضلة لا ينفي أن عملية رفع السماء هي حقيقة واقعة ، فعند هذه النقطة (نقطة ألا عودة للتفكير) نجد أن الواجب احترامه ليس عقل الإنسان العاجز ذو الإمكانيات المحدودة بل خالق عقل الإنسان

سبحانه صاحب الإمكانيات ألا محدودة في التدبير و التنفيذ علي أرض الواقع، عندها يجب أن يسجد المخلوق أمام عظمة الخالق و أن يرضخ لأوامره و يعلم أن دور عقله مقصور علي أن يوصله إلي معرفة ربه فإذا ما وصل فعليه الطاعة و الاستسلام لرب الأنام عندما يأمره بالطواف سبع مرات أو الصلاة خمس مرات مع اختلاف عدد الركعات وهنا لا يفيدني أي تفسير مقنع أو غير مقنع لعدد مرات الطواف أو عدد ركعات الصلاة فعلمي به لا يفيدني وجهلي به لا يضرني ولكن ما يفيدني فعلا هو الثواب العائد علي من تنفيذي وتفعيلي للأمر الرباني بأداء هذه المناسك التي أنول بها عفو ربي ومغفرته ، أما إذا ألححت علي عقلك و دفعته إلي التحدي وأعدت عليه السؤال مرة أخري فسيهرب منك و يقول لك : صنع الله الذي أتقن كل شيء ، هنا يحترم العقل نفسه و لا يتعدي حدوده مع خالقه فالعقل له حدود و الله ليس له حدود (راجع قانون الحمار و الكومبيوتر في فصل الهندوسي وصاحب البقرة)

٧- تلعب الكعبة دورين هامين في عقل ووجدان المؤمن : <u>الدور الأول</u> : أن المؤمن يتخيل أن لها قوة مغناطيسية هائلة تستطيع تجميع دعوات وأحاسيس المؤمنين من شتي أنحاء الأرض من حولها أما <u>الدور الثاني</u> : فهو يتخيل أن لها قوة دفع هائلة يرتفع بها الدعاء إلي الله من فوقها بسبب ما حباها الله به من مهابة وجلال وذلك لوجودها في سرة بيت الله الحرام ، فالكعبة في إحساس المؤمن تتعدي كونها حجارة جامدة إلي شئ يتم التعامل والتفاعل معه عاطفيا ووجدانيا (هذا علي حسب إحساسي الخاص ولا ألزم أحدا بأخذ أو رفض إحساسي هذا فهو عبارة عن شعور شخصي بحت)

٨- ربنا مالك السماوات و الأرض يخصص لنفسه هذه البقعة الصغيرة (الكعبة) بيتا له في الأرض يستقبل فيها زواره من المؤمنين مع

أن الأرض كلها وما حوت ملكا له ، ألا يدفعك هذا إلي التواضع أمام عظمة الله وعدم الرغبة في كثرة التملك الزائل بالنسبة لك ؟ .... ألا يدفعك ذلك إلي الزهد في الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة؟

٩- وأخيرا أقول لك أن الكعبة هي سفارة مملكه السماء في الأرض و سفيرها القرآن الكريم .

ثانيا : الوقوف بعرفات :

حجاج بيت الله الحرام كلهم في وادي عرفه حيث يجتمع **الزمان والمكان والهدف** فالزمان هو يوم الحج الأعظم ذلك اليوم المشهود والمكان طاهر هو وادي عرفه والهدف هو من اجل عفو الله ومغفرته فيطلع الله علي آهل عرفه ويقول : اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لهم .

ثالثا : المبيت بمزدلفة :

(مزدلفة) هي منطقة عبارة عن أرض منبسطة يحيط بها جبال كثيرة متلاصقة و ممتدة إلي (منى) فإذا من الله عليك بنعمة الحج و ذهبت للمبيت بمزدلفة لشاهدت مزدلفة وقد افترش ملايين الحجاج أرضها و جبالها بلباسهم الأبيض و لعانيت معهم من الازدحام الشديد الخانق ، إنها صورة مصغرة ربما تذكرك بيوم الحشر العظيم يوم يقوم الموتي من قبورهم ينفضون عن أجسامهم و أكفانهم البيضاء ما علق بها من الثرى ، أليس في هذا الحشر الصغير تدريبا على ما سيكون يوم الحشر الأعظم يوم القيامة.....؟

رابعا : الرجم :

الرجم هو انصياع لأمر الله في رسم صورة قبيحة لكل من يتجرأ و يخالف أمرا من أوامر الله ولا يتراجع عن موقفه حتي لو سبق و أن كان

طاووسا للملائكة و ليعلم المؤمن و يتأكد بنفسه أن الله يعز من يشاء و يذل من يشاء فيخشي عاقبة سوء عمله .

٢- اجتناب الكبائر :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] .

الله يعد المؤمنين به أنهم باجتنابهم الكبائر التي ينهاهم عنها فلديهم فرصة في تكفير ذنوبهم السابقة (قال رسول الله (ﷺ) (اجتنبوا السبع الموبقات)(سبق ذكره) .

٣- الندم على ما فات :

ليس للندم فائدة في إصلاح الماضي ، ولكنه يعطي القوة للثبات وعدم تكرار أخطاء الماضي في الحاضر كي لا نندم مرة آخري و نبكي في المستقبل .

فعدم التفكير في معاودة فعل الذنب هو التأثير الايجابي المباشر لكثرة الندم علي ما فات .

٤- عدم الإسراف في التفاؤل :

الإسراف في التفاؤل يعطي الإنسان الاعتقاد بأن ذنوبه قد غفرها الله له جميعا وبذلك أصبحت صفحته بيضاء وناصعة مرة أخرى ، ومن ثم يمكن أن يسمح لنفسه أن يلوثها قليلا مع إمكانية تنظيفها مستقبلا باستغفار بسيط أو دعوة مستجابة في ساعة رضا أو في مكان طاهر مبارك كبيت الله الحرام أو في زمن مبارك كرمضان أو الحج ، وهذا الاعتقاد الواهم قد يجره إلى مالا تحمد عقباه .

(راجع فصل عشم إبليس في الجنة)

٥- أن يوقن أنه إذا عاد فسينتقم الله منه :

ذكرنا قبل ذلك أن قلب المؤمن أشد إرتكاضا من الذنب يصيبه من العصفور حين يغدق به (أنظر فصل وجادلهم بالتي هي أحسن) فلا بد أن يكون المؤمن على حذر وخوف دائما من الوقوع في نفس المعصية السابق له ارتكابها وإنه وإن لم يعاقبه الله عليها في الدنيا فهناك احتمالين:- إما غفرها الله له أو أجل الله عقابه عليها إما إلى أجل قادم في حياته أو سيتم عقابه عليها في الآخرة ، ولا تنسى أن هناك بعض الذنوب إذا كررها المؤمن فسينتقم الله منه مستقبلا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة: ٩٥] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

٦- رد المظالم والحذر من غضب الله :

قد يتجاوز الله برحمته عن حقه تجاه العبد ولكنه ربما لا يتجاوز عن حقوق العباد تجاه عبده الظالم لحقوقهم فالله كفيل برد حقوق المظلومين من عباده إن عاجلا أم أجلا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [النساء: ١٢٩] .

٧- البدء في إنشاء علاقات جديدة وصالحة

قال رسول الله (ﷺ) عن أبي موسى الأشعري(رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: "**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يهديك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**"

خذ الرفيق قبل الطريق واختر الجار قبل الدار فالصديق الصالح والجار الصالح والنسب الطيب والزوجة المؤمنة والعلاقات الطيبة بين الناس والتي يرضى عنها الله وتؤيدها سنة رسوله تؤدي إلى طريق النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، أما علاقات السوء وأصدقاء السوء فتذهب بالإنسان إلى الخسران المبين في الدنيا والآخرة، فلو دفعت بابنك للذهاب إلى خمارة أو نادي ليلي ماذا ستظنه يتعلم ؟ ، هل يتعلم الصلاة وقراءة القرآن ؟هل تتوقع منه معاملتك بأدب جم وحسن خلق؟ أمالو دفعت ابنك لتعلم القرآن لجاءك وقرأ عليك قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦] .

٨- ضع حدودا للصغائر حتى لا تقع في الكبائر

عن النعمان بن بشير(رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول (**إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه**

ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)

لا تحوم حول الذنب معتقدا في نفسك أنك محصن منه وأنك تأمن عواقبه لأنك تقوم بمجرد استطلاع للعلم بالشيء لا أكثر ، فربما في غفلة منك وهفوة انزلقت قدمك فهوت بك شهوتك في هاويته ولم تستطع الخروج منها .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]

هنا لم يحرم الله الزنا فحسب ، بل حرم مقدمات الزنا من نظرة فابتسامة فسلام ، فكلام ، فقبلة ، فكارثة تهدم حياة الشخص في الدنيا و تهوي به في نار الآخرة فلكل عضو دوره في إتمام جريمة الزني ، فزني القلب النية وزني العين النظر وزني الأذن السمع وزني اللسان في الخوض ومناقشة التفاصيل الدقيقة وزني العقل التصور وإخراج الحلم السيئ في فيلم سينمائي رائع يستمتع به المقبل علي هذه الجريمة كلما عرضه علي مخيلته أما زني القدم فهو المضي قدما في طريق الجريمة وزني اليد اللمس ثم يصدق الفرج علي كل هؤلاء أو يكذبهم وينقذهم في الوقت الضائع ويصبح معهم من الذين نجحوا في الإفلات من عذاب غافر الزلات.

٩ - حذار أن ترى سوء عملك حسنا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر: ٨]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ – ١٠٤] : تحر العمل الصالح وأرجعه في عقلك لكتاب ربك وسنة رسولك ، واسأل كثيرا في الدين واقرأ

وتعلم قال رسول الله (ﷺ) " **فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** " رواه الترمذي ، وقال (ﷺ) " **نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " الحديث رواه الطبراني**

١٠ - أقلع عن الذنب وأنت قادر عليه :

فعملية الإقلاع عن الذنب (بما فيه من لذة) شئ صعب علي النفس العاصية الأمارة بالسوء وقد تصبح عملية الإقلاع عن الذنب شيئا قاتلا لما لذلك من اثر قاهر عليها حيث ينطبق عليها وهي تودع الذنب وداع هذا الرجل لحبيبته عندما قال الشاعر :

ودع جهينة أن الركب مرتحل ** وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟

ففي البيت السابق يعلم الشاعر مدي تغلغل حب جهينة في نفس وقلب الرجل الذي يهواها لذلك نصحه بسرعة وداعها حيث قررت جماعتها الرحيل بها إلي مكان آخر، وعلي نفس النسق الشعري أنصحك يا صاحب الذنب ويا من تهوي الرذيلة أن تلحق نفسك وتودع شبابك الذي أهدرته في المعاصي حيث أصبح حبك للمعاصي هو أهم شئ في حياتك بل أهم من شبابك الذي لوثته بالذنوب فأنصحك بان تنقذ باقي شبابك من الضياع واسالك سؤالا :

ودع شبابك أن العمر مرتحل ** وهل تطيق وداع الذنب يا رجل؟

نعم كن رجلا وقل: أطيق وداع الذنب ، وسأودع شبابي بعمل طيب وليس بذنب خبيث ، قل: سأكون رجلا حقيقيا ولن أبيع آخرتي السرمدية الدائمة بدنيا وقتية زائلة .

فيا أخي : إذا أقلعت عن الذنب دخل الأيمان قلبك مرة ثانية وما عليك الآن إلا ان تعمل عملا صالحا فيبدل الله سيئاتك حسنات ، فمن

جمال وروعة وتمام توبة العبد هو إقلاعه عن الذنب وهو قادر على فعله ، ومن المضحك حقا أن يقول لك نشال أنه تاب عن السرقة نهائيا تكتشف أنه تم قطع يديه في حادث أو يقسم لك عجوز أصابه الوهن أنه تاب عن فعل فاحشة الزنا أو يتوب متجسس متنصت على أسرار الناس بعدما أصيبت أذناه بالصمم أو يتوب ناظر للحرام هاتك لأستار البيوت متخصص مشاهدة الأفلام الإباحية بعدما فقد بصره ، فكل ما سبق يعتبر هراء وكذب إنما التوبة الصادقة للشخص تكون وهو أتم قدرة وعافية على اقتراف الذنب ويكون الدافع الوحيد لتوبته هو خوفه من ربه .

١١ - انصب ميزانك لنفسك قبل أن ينصب لك :

عليك أخي المؤمن أن تقيم أعمالك بصفة يومية وأن يكون لديك استشعار داخلي خاص تقيم به أداءك ، فلكل واحد منا ميزانه الشخصي الذي يزن به أعماله ، فمن الناس من يتغير لون جلده عندما يقترف ذنبا ، ومنهم من يجف ريقه ، ومنهم من تزداد ضربات قلبه ، وغيرهم قد تتلعثم ألسنتهم .

فكلما كان الذنب كبيرا والخوف بسيطا هنا يجب أن يقلق الإنسان على نفسه ،وكلما كان الذنب تافها والخوف والرعب كبيرا فقد يوحي ذلك بالاطمئنان وعندي ميزان شخصي أزن به أعمالي التي قد يختلط على نفسي تقيمها فأسأل نفسي سؤالا : لو حضر رسول الله وأصحابه هذا الموقف هل كان الرسول سيرضى عن تصرفي هذا ؟؟أن كانت الإجابة نعم فأحاول البحث في القرآن والسنة النبوية الشريفة على ما يؤيد موقفي وإن كانت الإجابة لا .. أتراجع فورا وأستغفر الله (راجع مقولة : إن قلب المؤمن اشد إرتكاضا من الذنب يصيبه من العصفور حين يغدق به في باب و جادلهم بالتي هي أحسن) .

١٢- الاستفادة من الذنوب السابقة :

الذنوب القديمة خاصة الكبائر منها تعتبر طاقة هدامة كامنة في قلب المؤمن وكلما تذكرها أصابه اليأس وتكاثرت في نفسه سحب الخطيئة السوداء (إن كان قد ندم عليها فعلا) .

رضي المذنب أم أبى فهو قد اقترف الذنب في الحقيقة ويجب عليه أن يحول عملية اقترافه للذنب من عامل هدم نفسي له إلى عامل بناء وذلك بإتباعه الأساليب الثلاثة الآتية : -

١- عندما يشعر بالشيطان يعبث بداخله أو يدق بابه قليلا عليه أن يسرع ويحبس نفسه لفترة يعيش فيها أسيرا داخل ذنبه القديم خائفا من الخروج منه لاقتراف ذنب آخر فيكفيه ما يعانيه من آلام ذنبه القديمر ولا يسمح لنفسه في الدخول لذنب جديد قد يعاني منه أكثر مستقبلا ، فقد اعتاد ألم وحسرة الذنب القديم على غرار المثل الشعبي القائل (الذي تعرفه أفضل من الذي لاتعرفه) .

٢- كي يصبر على التعايش مع ذنبه القديم الذي لا يستطيع إخراجه من صدره فعليه أن يصدق ويؤمن في داخله أنه إذا تاب وأصلح فسيبدل الله سيئات هذا الذنب حسنات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠] .

٣- ألا يفكر في عملية العودة لاقتراف الذنب ومن ثم التوبة مرة أخرى لسببين <u>**السبب الأول:**</u> ربما يموت أثناء قيامه بالذنب والإيمان منزوع منه فلا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن (الحديث سبق تكراره) أما **السبب الثاني** : انه يجب عليه أن يؤمن أن بعض الذنوب

إذا عاد الإنسان لتكرارها ربما ينتقم الله منه إذا عاد، سبق ذكر الآية (المائدة : ٩٥).

١٣- تقوى الله وحسن الخلق :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٨]

التقوى هي الخوف من الله ، إتباع أمر الله والابتعاد عما نهى عنه ، إن لم يكن في عملك خشية وتقوى لله فلن يقبل منك عملك فالله يحب المتقين ويتقبل العمل من المتقين قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الطلاق: ٥]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [الليل: ١٤ – ١٨] .

فكرت كثيرا في الآيات السابقة وتأملت قول الله تعالي ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ فلماذا لم يقل الله سيجنبها التقى؟ وهل الأتقى هو شخص واحد فقط في هذه الدنيا؟؟

لكني وبعد تفكير عميق وجدت الإجابة في نفسي تقول لي : ربما كان المقصود (بالأتقى) في كل فئات المؤمنين ، فالأتقى من الأطباء ... والأتقى من المهندسين والأتقى من العمال ... وربما كان الأتقى في البلدة والأتقى في الشارع والأتقى في المنزل ، وسألت نفسي : لماذا لا أكون الأتقى في كل مجال من مجالات حياتي أتعرض له ؟؟

وتظهر التقوى علي صاحبها في صورة حسن الخلق لذلك وصف ربنا سبحانه وتعالي نبيه بالخلق الجميل في قوله تعالي ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] .

قال رسول الله (ﷺ) " **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" رواه احمد والبيهقي ولكي يحكم الإنسان على نفسه هل هو طيب حسن الخلق أم فاسد سئ الخلق فليراجع نفسه مع هذه الآيات ويسأل نفسه كم آيه من هذه الآيات تنطبق عليه وكم آية لا تنطبق عليه ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ – ١١] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١٢] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] .

و قد وصف رسول الله (ﷺ) المؤمن بصفات كلها جميله وتدل على حسن الخلق قال رسول الله (ﷺ) " **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه**" ، وقال (ﷺ) " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** " وقال (ﷺ) "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره** " والثلاث أحاديث السابقة متفق عليها .

مما سبق يتضح لنا أن حسن الخلق في الإسلام فرائض وليس فضائل ، بمعني أن حسن الخلق ليس فضلا من شخص علي شخص أخر ولكن فرضا من الله علي كل مؤمن تجاه أخيه المؤمن ، بل يتسع حسن الخلق أكثر ليشمل باقي الناس جميعا من مؤمنين و غير مؤمنين .

١٤- التغير إلى الأفضل :

يجب على الإنسان أن يغير نفسه إلى الأفضل دائما وأن يحسن نفسه بنفسه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد: ١١]

١٥- التحكم في اللسان :

اللسان عضو صغير يتكون من عضلة صغيرة ذات أهمية كبيرة ، وهو يساعد في الكلام وتحريك الطعام ، لذلك حماه الله بأن خلقه بين فكين محملين بالأسنان الحادة وشفتين لا يعمل وهما مغلقتين ، فرغم صغر حجمه فعظيم طاعته وشديد جرمه فبه ينطق الإنسان الشهادتين و به ينطق كلمة الكفر، فلا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان .

فالإيمان هو غاية الطاعة والكفر هو نهاية العصيان ولا ينجو إنسان من شر لسانه إلا قيده بلجام خوفه من ربه وإيمانه . وفي فضل الكلمة الطيبة التي تخرج من اللسان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ – ٢٦]

قد يحتاج المرء لبذل الكثير من الجهد للقيام بأي عمل من أعمال حياته ولكنه لا يكاد يبذل جهدا عندما يطلق عنان لسانه في الكلام الذي يترتب عليه أشياء كثيرة ، فعندما يستشري خطر اللسان في نطق مالا يجب نطقه فلا مفر من حبسه داخل فكيه وإغلاق شفتيه عليه قال (ﷺ) "

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" متفق عليه ويقول المثل الشعبي إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وقال عقبة ابن عامر (ﷺ) : (قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : " **أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك"** أخرجه الترمذي

وقال معاذ(ﷺ) : قلت : يا رسول الله أنأخذ بما نقول ؟ فقال :" **ثكلتك أمك يا ابن جبل ، وهل يكب الناس في النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم** " أخرجه الترمذي. وروي في الأثر أن أبا بكر الصديق (ﷺ) كان يضع حصاة في فمه كي يمنع بها نفسه عن الكلام ، وكان يشير إلى لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾ [النساء: ١٤٨] .

فالفضل للصمت سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس بما هو ليس فيها والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات والأعراض . فكل ما سبق من آفات اللسان لا يشق عليه فعلها ولها حلاوة في الحلق منشأها القلب وتحث عليها بواعث من الطبع السيئ وتوجيه من الشيطان فالمؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذئ و الخوض في هذه الآفات خطر وفي إمساك اللسان عنها سلامة كي يتجنب الإنسان طريق الندامة ويستطيع الإفلات من عذاب غافر الزلات .

١٦- أن تحترم نفسك وتحترم ربك :

إذا كنت تسرق أو تزني أو تقتل أو تفعل فاحشة من الفواحش التي تغضب الله في كتمان وسرية تامة وخفاء تام بعيدا عن الناس لأنك تخاف

الناس وتعمل لهم ألف حساب وتعلم أن الله يراك ، فلا تجعل الله أهون الناظرين إليك.

وإذا كنت تقذف محصنة أو ترمي الناس ببهتان في الخفاء وأنت متأكد أن الله يسمعك فلا تجعل الله أهون السامعين لك .

احترم نفسك واحترم ربك ولا تستهن بمن خلقك ووهبك القدرة على فعل الخير لكنك تفعل السوء فلا تجعل الله أهون المطلعين عليك لأن الله سبحانه هو المطلع الوحيد علي نيتك وعلي خفايا نفسك بل الله أعلم بك من علمك بنفسك .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٩] .

١٧ـ الاستعاذة بالله من السلب بعد العطاء :

من الآفات الخطيرة التي تصيب الإنسان هي آفة السلب بعد العطاء ، ولكي أقرب إليك الموضوع كي تستوعبه جيدا دعني أقص عليك هذه القصة .

فعندما شاهدت برنامجا تليفزيونيا وكان ضيف البرنامج أحد المشهورين من الذين ولدوا بعاهة فقد البصر ، سألته المذيعة : هل أنت حزين لأنك ولدت أعمى ؟ فرد الضيف لا والله أنا لست حزينا ، فتعجبت المذيعة ، فاسترسل الضيف أنا لست حزينا بسبب العمى لأنني لا أعرف ما هو الإبصار أصلا حتى أبكي عليه ، ويمكنك سؤال من كان بصيرا ثم أصابه العمى فهو أجدر مني بالإجابة على هذا السؤال .

فالإنسان الذي لم يتذوق طعامًا حلوا في حياته كيف يحزن على فقده وهو شيء لم يسبق له أن ذاقه أو عرفه قبل ذلك ؟ ولنضرب مثلا فهناك الآلاف من أنواع الفواكه التي لا تنمو أشجارها في بلادنا ولا نسمع عنها ولم يسبق لنا أن ذقناها قبل ذلك فكيف نشتاق إليها ؟وكيف نشتاق إلى شيء لا نعرفه ؟

ونظرا لأهمية السلب بعد العطاء فقد تحدث القرآن الكريم واصفا حال الإنسان الذي يذيقه الله نعمة من النعم ثم يسلبها منه فوصفه بأنه سيصبح يئوسا كفورا

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود: ٩] .

ولما كان اليأس يؤدي إلى الكفر والكفر هو نهاية طريق العصيان المؤدي إلى نار جهنم والعياذ بالله فأنصحك أخي المسلم بهذا الدعاء ، فلا تمل منه ولا تفتر عنه ليل نهار وسوف تجد له حلاوة في قلبك إن شاء الله تعالى (أعوذ بك من السلب بعد العطاء ومن عضال الداء ومن شماتة الأعداء وأعوذ بك من تحول نعمتك وفجأة نقمتك) ولا تنس أخي المؤمن أبيك ادم و أمك حواء فهما أول من ابتليا بمصيبة السلب بعد العطاء عندما و هبهما الله حلاوة العيش في الجنة ثم سلبهما نعمة العيش فيها و أبدلهما العيش في الأرض حيث الأمراض و الآفات و المفترسات بسبب عصيانهما لله و مخالفة أوامره حيث أطاعا الشيطان و أكلا من الشجرة ، فأعلم أن معصية الله كانت أول سبب من أسباب أول سلب لأحلي عطاء وهبه الله لإنسان علي مدار تاريخ البشرية ألا و هو الجنة .

١٨ ـ العمل بتجارة النجاة للإفلات من عذاب غافر الزلات :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٢] .

١٩ ـ أن تحب ما يحبه الله وتكره ما يكرهه الله :

القرآن الكريم به الكثير من الآيات التي تذكر أشياء وأفعالا يحبها الله وكذلك أشياء وأفعالا يبغضها الله وعلي سبيل المثال لا الحصر . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج: ٣٨] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨] .

٢٠ - تدريب النفس علي العفو و السماح :

لا يوجد مجتمع تنتشر فيه صفتا العفو و السماح بين أفراده إلا عاش الناس فيه بسعادة وأمن و راحة بال حتى ولو كان هذا المجتمع كافرا ، فالعفو و السماح صفتان كفيلتان بمحو كافة الآثار الضارة للكره والحقد في أي مجتمع ، ولتوضح الفكرة نسوق لك الآتي :

١- نذكرك بمثل العبد الذي سقط من بين يديه الإناء وهو يصب الماء لسيده ، فغضب السيد غضبا شديدا و قبل أن يقبل علي معاقبة عبده

إلا بادره عبده قائلا : و الكاظمين الغيظ ..؟ فأخذ السيد يحاول السيطرة علي أعصابه قائلا :كظمت غيظي ، فلما أمن العبد بطش سيده وخوفا من أن يعاود الغيظ السيطرة علي سيده مرة آخري لحقه بالثانية : والعافين عن الناس ...؟ فهدأت نفس سيده و قال له : عفوت عنك ... وعندها أحس العبد أنه يحقق انتصار من بعد انتصار مع سيده ، فبادره بالثالثة دون هوادة : والله يحب المحسنين ... هنا هدأت نفس سيده و انكسرت حدة الغضب في نفسه تماما لكنه تذكر أن عبده يرشقه بأدب و حسن خلق بآيات القران الكريم التي أطفأت لهيب غضب قلبه ونفسه ، لكنه في الحقيقة شعر بهزيمة جميلة من عبده لم يكد يتحمل حلاوتها عندما ذكره وبشره بأن الله يحب المحسنين ، وبدون تفكير القي السيد في وجه عبده قنبلة الحب التي انفجرت وزلزلت أركان المكان واهتز لها كيان هذا المملوك الضعيف : أذهب فأنت حر طليق لوجه الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

تعليقي علي القصة أن هذه المحادثة لم تستغرق أكثر من دقيقة كان يمكن أن تنتهي بصفعة علي وجه العبد الضعيف أو ركلة في صدره بقدم سيده كما انتهت إليه ملايين الحكايات المماثلة و طواها عالم النسيان ، و لكن انظر يا أخي القارئ أن قتل الغضب فيها و تملك العفو و السماح منها جعلها تروي إلى يومنا هذا ، مات العبد و مات سيده و بقي راوي القصة لم يمت إلى أن يشاء الله ، أتعرف من هو راوي القصة يا أخي القارئ : انه العفو و السماح .

١- عندما يطلب منك أحد العفو و السماح ربما لا يعجبك قوله و لكن ما قولك عندما يأمرك رب العزة بالعفو و السماح ...؟ ... أضرب لك مثلا في أبي بكر الصديق(ﷺ) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ

وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور: ٢٢] .

نزلت هذه الآية في مسطح بن أثاثة لما تكلم وخاض مع الخائضين في عرض عائشة بنت أبي بكر أثناء حادثة الإفك وكان ينفق عليه أبو بكر الصديق لقرابته به و لحاجة مسطح الماسة بسبب فقره الشديد فأقسم أبو بكر أن لا ينفق علي مسطح بعدما صدر منه من أقوال في حق ابنته فنزلت الآيات تعرض عن عدم رضا رب العالمين عن هذا التصرف ، فقال أبو بكر والله أني أحب أن يغفر الله لي ورجع ينفق علي مسطح ثم عاد أبو بكر و أقسم : والله لا أنزعه منه أبدا .

وتعليقي علي هذه القصة هو سؤالي لك عزيزي القارئ ألا تحب أن يغفر الله لك ؟ ... أتقول نعم ..؟ ... إذن عليك بالعفو و الصفح و السماح لأخيك المؤمن الذي أساء إليك ، ما عليك الآن إلا أن ترفع سماعة الهاتف و تبلغ أخاك أنك قد عفوت عنه و سامحته من أجل أن يسامحك و يعفو عنك رب العالمين .

٢١- لا تنقض عهدك مع الله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ﴾ [المائدة: ١٣] .

لا تنقض عهدك مع الله كما نقضه آخرون من قبلك فاستحقوا اللعنة ، فإذا عاهدت الله فأوف العهد و إذا عاهدت الله الإقلاع عن ذنب ما سبق و أن اقترفته فأقلع عنه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

٢٢ - لا تعرض عن ذكر الله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤] . لا تعرض عن ذكر الله حتى لا تعش في ضائقة تلو ضائقة و ذلك بإعراضك المستمر عما أمرك الله به في القرآن ، ثم بعد ذلك تحشر أعمي يوم القيامة .

٢٣- لا تكثر الحلف بالله و لو كنت صادقا :

كثرة الحلف بالله من الآفات التي تصيب اللسان و لها مرارة في حلق الحالف و لو كان صادقا لأنها تبين له مدي عدم ثقة من طلب منه اليمين تجاهه ، و لربما وقع كثير الحلف في مصيبة الحنث باليمين فوقع في يمين غموس تسبب في غمسه في نار جهنم ، غير أن كثرة الحلف تزيل المهابة من وجه الحالف و تورثه المهانة و الذل ، لذلك نصحنا الله سبحانه و تعالي بعدم كثرة الحلف إلا في حدود ضيقة جدا لإحقاق حق أو لنفي باطل توهم وقوعه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [القلم: ١٠] .

٢٤ – استغفر الله واتبع السيئة الحسنة تمحها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢]

إذا اقترفت ذنبا فاستغفر الله فان الاستغفار من موجبات المغفرة و سبب للمطر والرزق و يكثر عدد الأولاد و الأموال ، و إذا اقترفت سيئة اتبعها بحسنة من صدقة أو عمل صالح فذلك يمحو آثارها و حاول إصلاح ما أفسدت و خالق الناس بخلق حسن

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٢].
وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦]

قل دائما : أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم وحاول أن تفكر في الآية القادمة جيدا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣] .

٢٥ – صدق التوبة عند مرارة الاجترار:

الاجترار هو عملية حيوانية يقوم بها بعض أنواع الحيوانات وذلك بإعادة ما سبق بلعه وتخزينه من طعام كان موجودا في معدته إلي فمه مرة آخري لمضغه و تذوقه و من ثم بلعه و هذه العملية ممتعة جدا بالنسبة للحيوان و قد يقوم الحيوان أثناء اجتراره بلفظ ما سبق بلعه بسبب و جود طعم كريه غير مستحب بالنسبة له لطعام سبق و أن جمعه في معدته دون تذوقه في البداية و فوجئ بمذاقه السيئ أثناء عملية الاجترار .

أما الإنسان فلا يستطيع الاجترار بهذه الطريقة بل يقوم بعملية الاجترار مستخدما جهازه العصبي حيث يقوم باسترجاع ذكرياته القديمة المخزونة في نفسه علي صورة شريط سينمائي يقوم بمشاهدته عدة مرات في عملية اجترار عقلي متكرر كلما اختلى بنفسه .

فالإنسان في هذه الحالة يكره اجترار الذكريات السيئة في حياته و يفضل اجترار الذكريات السعيدة التي يتلذذ بها و يعاود مشاهدتها في خياله مرات عديدة كلما أتاحت له الظروف ذلك .

فان كان الإنسان قد تاب و اقلع عن كبيرة ارتكبها لكنه ما يزال و حتى وقتنا هذا يختزنها في ذاكرته و يشعر بسعادة و نشوة كلما اجترها في

خياله حيث تهيج في نفسه أحاسيس و مشاعر ممتعة يتسلي بها مع نفسه وقت فراغه.

أقول لهذا الإنسان أن توبتك غير كاملة واحذر بأنك قاب قوسين أو ادني من العودة لفعل مثل هذه الكبيرة التي مازلت تتلذذ بها كلما تذكرتها وذلك في اقرب فرصة تتيحها الظروف لك ، لان جسدك مازال يرغبها و عقلك الباطن مازال يهواها و لن تسلم من ذنب هذه الكبيرة السابق لك ارتكابها إلا في حالة واحدة و هي شعورك بالمرارة و الضيق و الاكتئاب كلما قمت باجترارها و ما عليك إلا تدريب عقلك الباطن باستمرار علي كره ولفظ ما سبق لك اقترافه من ذنوب تحاول طردها من داخلك كلما تذكرتها ، فصدق توبتك عند درجة مرارة اجترارك لهذه المعصية وقوة طردها من عقلك الباطن .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٣] .

٢٦- لاتنشر الفاحشة بين الناس:-

إذا فعلت فاحشة أو اقترفت ذنبا وستره الله عليك فلا تفضح نفسك حتى لا يسمع به غيرك وربما وافق هذا الذنب هوى في نفس سامعه فزين له الشيطان فعل هذا الذنب وربما زينته كل نفس أمارة بالسوء فتحمل أنت وزر ذنبك ووزر من عمل به إلى يوم القيامة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩] .

٢٧- عدم استعجال الموت:-

تمنيك الموت لنفسك إذا ألمت بك مصيبة أو أحاطت بك ضائقة ، ليس له معنى إلا اعتراضك على قضاء الله فيك، واعتراضك على قضاء

ربك يخرجك من حظيرة الإيمان ، احمد الله أن مصيبتك ليست في دينك ، ارض بما قسمه الله لك ولا تيأس من روح الله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧] .

٢٨- تزكية النفس بكثرة الصدقة: -

الصدقة حينما يقبلها الله سبحانه من عبده تعتبر مؤشر لرضاه وقبوله لتوبة عبده ، فالصدقة تطهر النفس من دنس الذنوب وتبارك في صاحبها .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٣ – ١٠٤] .

٢٩- إذا أردت أن تشكر الله فاعمل الشكر:-

يجب على المؤمن إذا أراد أن يشكر الله ألا يكتفي بالجانب المعنوي من الشكر بأن يقول فقط أشكرك يا رب العالمين ، ولكن عليه بتحويل شكره لله من جانب معنوي إلى جانب مادي وذلك بتفعيل الشكر أي جعله فعلا بمداومة الصلاة ، الصيام ، الصدقة وكافة الأعمال الخيرية حتى يجد الله شاكرا عليما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٨] .

لم يكتف الله سبحانه وتعالى من آل داود بكلمة الشكر ولفظها ولكن أمرهم بتفعيل كلمة الشكر وذلك حين قال لهم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣]

٣٠- حذار التحقير من شأن توبتك :

بأن تقول في نفسك ما فائدة التوبة طالما أنني أعيش نفس الظروف التي تحتم علي معاودة اقتراف نفس الذنب مرات عديدة ؟ ... أقول لك: تب إلي الله فمن يدريك أنك ستقوم باقتراف نفس الذنب مرة ثانية..؟ فربما تموت قبل أن تعاود فعله مرة أخري ، فلا تصر علي فعل ذنب وتكرره فالمصر علي ذنبه كالمستهزئ بعقاب ربه وإن عذاب ربك لشديد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠] .

* * *

نصيحة إلي كل من يئس من رحمة الله

إلي كل إنسان اسودت الدنيا في وجهه و ظن ألا فائدة من وجوده في هذه الدنيا و قد سدت في وجهه جميع طرق الراحة و الأمان و ظن أن وجوده أصبح شيئا تافها لا هدف منه، أقول له تأمل الآية الآتية جيدا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] .

هل قرأت الآية السابقة ووعيتها جيدا ؟ هل تظن أن ربك خلقك عبثا؟ ... حاشى لله ... إنما خلقك الله لغاية و صنع ما صنع فيك لحكمة يعلمها وحده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

وهذا كي لا يعتقد الشخص الذي أصابه الله بالخير حبا ورضا من الله له ؟ و لا يعتقد الشخص الذي أصابه الله بالمرض والفقر غضبا من الله عليه ويوثق ذلك قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٧] .

حيث ينفي الله سبحانه هذا الظن الخاطئ من الإنسان بـ (كلا) أي أخطاء من ظن ذلك فالخير ابتلاء والشر ابتلاء، فعندما يبتليك الله بالخير لينظر كيف تتصرف فيه ، كيف تتصرف في مالك هل تنفقه في حلال أم تنفقه في حرام ؟ ... وكيف تتصرف بصحتك هل تهبها في سبيل الله دفاعا ونشرا لدين الله أم تبليها في خمر وسكر وإفساد و ظلم ؟ ... وعندما يبتليك بالشر في مرض أو فقد عزيز أو ضياع مال .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥] .

ولو تدبرت الآية السابقة لوجدت البلاء بالعلة والشفاء بالصبر والبشري لكل صابر استسلم لأمر الله عندما يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون

و عند الابتلاء العظيم بالشر قد يصل الإنسان مع ابتلاء ربه له لدرجة الكفر و ذلك عندما يبتليه ربه بمرض عضال أصابه أو يحرمه من حبيب غال ،و يوثق الله ابتلائه هذا بقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ [هود: ٩] .

أقول إلي مثل هذا الإنسان الذي ابتلاه الله بشديد بلائه: ليس معني ابتلاء الله لك بالشر انه لا يوليك اهتماما ، أو إهمالا منه لك (حاشى لله) أو نسيانا منه لوجودك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤] . ولكن الحقيقة التي لا تراها عينك و البرهان الذي لا يستوعبه عقلك هو أن الله يهبك بصبرك أعلي درجات الاهتمام عندما يقول لك :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الطور: ٤٨] .

فأنت يا من رضيت و صبرت و استقبلت حكم المحكمة الإلهية فيك بكل رضا و استسلام و عدم غضاضة تجاه قاضي المحكمة. في نفسك واثقا أن حكمه فيك ليس بغضا منه لك وليس انتقاما منك فجزاؤك أنك في ضيافة و رعاية الحكيم العليم عندما يقول لك :(فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) وتحت رحمتنا جزاء لك علي صبرك .

فأصبر في الدنيا و أصلح قدر استطاعتك حتى لا تندم و تطلب من الله الرجعة بعد الموت قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ

﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] .

ثم يحذرنا من قلة عمل الخير في حياتنا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [المؤمنون:١٠٣ – ١٠٤]

ويعرف الله لنا نفسه في الآيات الآتية فربنا رب العزة منهجه واضح لنا حتي لا نشك أو يصيبنا القلق :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [طه: ٥٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ [مريم: ٦٤] .

من الآيات السابقة يتضح لنا أن منهج ربنا سبحانه وتعالي هو الاستقامة والعدل بين العباد ، فلم يسبق له أن نسي (كما تزعم الأديان الأخرى) ولا يدخل في حكمه النسيان ، فعليك يا بن آدم الاطمئنان التام خاصة عندما يعطيك ربك هذا التعهد علي نفسه :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧] .

وأعطانا صورة تحذيرية للموقف الأخير لكل البشر مع نصيحة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ ﴾ [طه: ١١١ – ١١٢]

في البداية علم الله آدم كيف يتوب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧]

ثم انزل علي رسولنا قرآنا يعلمنا به كيف نتوب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٨]

كل ما سبق عبارة عن عقود و مواثيق ألزم الله بها نفسه تجاه عباده ومع ذلك ترى كثيرا من الناس يائسين من رحمة الله و من عفوه و رضاه وأقول لهم :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ ﴿١﴾ ﴾ [المائدة: ١] .

فليس من المعقول و لا المقبول أن يأمرنا الله بالوفاء بالعقود ولا يف هو بذلك (استغفر الله) ...!! و هو سبحانه الذي يبشرنا عندما يقول :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

ولماذا ينصحنا بسرعة التوبة قبل الموت طالما انه يريد أن يعذبنا في الأساس ؟ (علي حسب ظن البعض) أتعرف الإجابة....؟ لأنه واسع المغفرة ، ومغفرته تتسع لتشمل جميع التائبين ممن يرغبون العفو من صاحب العفو رب العالمين . قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[الزمر: ٥٤ – ٥٩]

ثم أرجوا منك أن تقرأ هذه الآيات قبل أن أتوجه لك بسؤالي القادم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [غافر: ٧ - ٩] .

وسؤالي الآن : ألم يخلق الله هذه الملائكة (من الذين يحملون العرش ومن حوله) لتستغفر لك أيها المؤمن المقصر في الاستغفار لنفسك ؟ ماذا تريد أكثر من ذلك ؟ أي إله تتمناه أو تتخيله نفسك المريضة(يا من تيأس من رحمة ربك) يهبك أكثر مما يهبه إلهك الرحمن الرحيم بك ؟ أمازلت تخشي ذنوبك و ما يترتب عليها من عذاب ينتظرك ؟ ألا يكفيك قوله تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ [الزمر:٣٦] .

وهنا عليك الاطمئنان ، فطالما لزمت جانب الله فلا تخش شيئا ولا تخف عاقبة ذنب أقلعت عنه وتبت وتبرأت منه ، فالله معك يغفر لك ويطمئنك ويحميك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٠] .

ألم يتعهد الله لك بالمغفرة شريطة توبتك ؟ ألا يطمئنك قوله تعالي : ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه: ٨٢] .

ثم بعد هذا كله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٤] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الكهف: ٣٠] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [الطلاق: ٥] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٨] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يوسف: ٨٧]

الآية القرآنية السابقة تبين لنا أن الذي وصل لدرجة اليأس من رحمة ربه هو الكافر ، فكيف ذلك ؟ ولنجيب علي هذا السؤال نقول : أن اليائس من رحمة ربه هو من لا يجد لنفسه خلاصا من ذنوبه وخوفه من الله إلا بطريقة واحده وهي إنكار وجود الله أصلا و ألا يجد لنفسه طريقا للصبر علي بلاء الله له إلا قتل نفسه وذلك بأن يأتي بنفسه ولنفسه ببراهين كاذبة ومختلقة توحي له بأن الله غير موجود ، عند هذه النقطة تنتصر نفسه الأمارة بالسوء علي نفسه اللوامة التي كانت وما تزال تعذبه وتلومه علي ما اقترف من آثام في حقها وحق دينه وحق ربه بالكفر أو الرغبة في قتل نفسه، فإذا ما كفر وأنكر وجود الله وانتصر لنفسه الأمارة بالسوء كونه انصاع لها فلا يوجد عنده من إله يحاسبه (في ظنه) وبالتالي لا يوجد ذنب اقترفه ولا يوجد حق لنفسه اللوامة ولا يوجد ندم علي شئ اقترفه أو فكر في اقترافه ويحيا أيامه الباقية المعدودة مرتاحا مع نفسه الجديدة (الأمارة بالسوء) مستمتعا بالمزيد من ذنوبه فلا ضمير يؤنبه ولا رب يحاسبه .

فإذا كنت قد وصلت مع نفسك إلي هذه الدرجة من اليأس من روح الله وبدأت أولي خطوات الكفر بغافر الزلات ومازلت تشك في نفسك و توقن أن الله شديد العقاب و تنس أن الله غفور رحيم ؟ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

إذا كنت وصلت مع نفسك إلي هذه الدرجة من اليأس و عدم الثقة في مغفرة الله لك أو كشف بلائه من فوقك فهذه أخر نصيحة يقدمها لك رب العزة : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحج: ١٥] .

ومعني النصيحة أنك إذا كنت تظن أن الله لن ينصرك فما عليك إلا أن تعلق حبل ثم تشنق به نفسك و تنتحر فلا خير لك في نفسك و لا خير لك في إسلامك المزعوم و الإسلام ليس في حاجة لأمثالك من اليائسين فالله لا يحب اليائسين من رحمته وقد حذرنا من ذلك حيث قال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[يوسف: ٨٧]

أن كل ما تعانيه أيها اليائس من رحمة ربك في حياتك هو بسبب ما غرسه الشيطان في نفسك لقربك منه و إتباعك أوامره فيكون جزاؤك انه يخيفك ليحطم معنوياتك فيصبح قائدا لك و تصبح أنت مطيعا سهل الانقياد له قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

أما نصيحتي الخاصة لك فأنصحك أن تفعل الخير وتفكر دائما فيما ينتظرك من نعيم الجنة وسعادة العيش فيها بعد العفو والمغفرة وأنصحك أيضا أن تفكر دائما في قوله تعالي: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا

مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٣٨] .

وما رأيك أخي المؤمن أن ربك لديه الرغبة في التوبة عليك.... ربما تسألني كيف.. ؟ أقول لك تأمل قول الله تعالي ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٧ – ٢٨] .

وأقول لكل من يدعون انه لا توجد توبة لأهل الكبائر مار أيكم في الأتي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ [القصص: ١٦] . قالها موسي بعدما قتل الفرعوني .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وما رأيك أخي المؤمن أن ربك لديه الرغبة في رحمتك ومن أجلك كتب على نفسه الرحمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٤] وعلاوة على أن ربك غفور رحيم فقد تعهد بأنه لن يعذبك ولكن بالشرط الآتي في الآية القادمة : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣] .

قل : استغفر الله العظيم ...

وإلي اللقاء في رحاب الله مع كتاب أخر إن كان في العمر بقية إنشاء الله تعالي .

دكتور/ عبد الله احمد تاج الدين

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .....

أما بعد فيا أخي القاريء ، ما ذكرته لك في كتابي هذا هو القليل من كثير موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فمحيط القرآن واسع وعميق والإبحار فيه يحتاج إلى خبرة وعزيمة وصبر من نوع خاص ، لذلك حاولت جاهدا بالرغم من ضعف بصري أن أبحر فيه محاذيا الشاطئ حتى لا أتوه وأواجه أمواجه العاتية التي لا قدرة لي بتحملها وكنت أقتنص الفرصة من حين إلى آخر للغوص متحسسا طريقي كي أفوز بلؤلؤة صغيرة أصعد بها إلى السطح فمثل هذا العنوان: (**الإفلات من عذاب غافر الزلات**) يمكن أن يكتب فيه من كبار الكتاب والعلماء ممن هم أكثر مني علما وخبرة بكثرة إطلاعاتهم ومعرفتهم .

وأعتذر لك ، فادع لي ولنفسك بالثبات على دين ربنا وعلى سنة رسوله (ﷺ) وادع الله لي ولك بالشفاء من كل داء وأن يجعلنا مع الذين نجحوا برحمته في الإفلات من عذاب غافر الزلات .

وإلى اللقاء في كتاب قادم إن شاء الله تعالى إن قدر الله لي في العمر بقية .

دكتور / عبد الله تاج الدين

المصادر والمراجع

- تفسير الشعراوي / تأليف الشيخ محمد متولي الشعراوي .
- التفسير الميسر / تأليف الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر .
- تفسير الطبري / تأليف أبي جعفر الطبري .
- المصحف الميسر / تأليف محمد فريد وجدي .
- كتاب الكبائر / للإمام أبي عبد الله الدمشقي .
- حقيقة الشيطان بالمنظور القرآني / تأليف شاكر عبد الجبار .
- مختصر ربع المهلكات / تأليف راجي المديني .
- قصص القرآن / محمد أحمد جاد المولى ، على محمد البيجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، السيد شحاته .

* * *

المحتويات

***

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٣٣٧٢ لسنة ٢٠١١
حاصل على موافقة
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف
رقم ١٨١١٥/٢١ لسنة ٢٠١٣

